

مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب
في سوريا

العدد 621 / كانون الثاني 2023 / السنة الثانية والخمسون

الموقف الأدبي

المدير المسؤول
رئيس اتحاد الكتاب العرب
د. محمد الحوراني

رئيس التحرير
فلك حصرية
مدير التحرير
د. عبد الله الشاهر

هيئة التحرير

أ. رجاء كامل شاهين أ. سهيل الشعار
د. عاطف البطرس أ. غسان كامل ونوس
أ. محمد حسن العلي د. نادية خوست
د. نزار بربريك هنيدى

أمين التحرير

ميرنا أوغلانيان

التدقيق اللغوي : أ. أيمن الحسن

الإخراج الفني : وفاء الساطي

للاشتراك في المجلة

داخل القطر للأفراد في الأقطار العربية للأفراد	9600 ل.س	
خارج الوطن العربي للأفراد	180000 ل.س	\$850
الدوائر الرسمية داخل القطر	240000 ل.س	\$960
الدوائر الرسمية في الوطن العربي	216000 ل.س	\$1100
الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي	240000 ل.س	\$1200
أعضاء اتحاد الكتاب العرب	6000 ل.س	
المراسلات باسم رئيس التحرير		
اتحاد الكتاب العرب		
دمشق . المزة أوستراد / ص.ب: 3230		
هاتف: 6117240 . 6117242 . 6117243 / فاكس: 6117244		
البريد الإلكتروني: E-mail:mawkif@tutanota.com		
موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت: www.awu.sy		

فهرس العدد

إطلاة البداية	
د. محمد الحوراني	تحديات الثقافة العربية... معالم المُهوض 5
نواخذ	
أ. د. عيسى الشمامس	الأدب الساخر... الشعر العربي نموذجاً 11
أ. عيسى إسماعيل	السخرية في مسرح "برنارديشو" 27
أ. نبوغ أسعد	السخرية الجادة في الأدب 32
أ. وجдан أبو محمود	الجذر الفلسفـي للأدب 36
بقعة ضوء	
أ. منذر يحيى عيسى	من حكايا العشق 49
سحر البيان	
أ. وائل أبو زيدك	حوارية 59
أ. رجاء كامل شاهين	ما بين "أبو تمام - والمتني" 62
أ. نعيم علي مينا	هذا صریغ هواه 64
وجهة نظر	
د. غسان غنيم	سيرة روح.. وتبقى الجبال 69
كاتب وكتاب	
أ. عبد الكريم الخير	قراءة في رواية عرب أمريكا عندما تكتب كلاديس مطر 77
رجوع الصدى	
أ. د. جميلة مصطفى الرفاعي	الأبعاد القيمية عبر الأنسنة في مسرح الطفل 107
د. مأمون الجنان	عند د. هيثم يحيى الخواجة 119
د. سمير الخليل	الخطيب في حضرة الشعر 125
قامة سنديان	
أ. فلك حصرية	لاتبك يا حنظلة فالدم له طعم المأساة (1963 - 1987) 137

في رحاب القصة	
أ. ملك حاج عبيد	القمر الأخير 141
أ. توفيقة خضور	خيبة شاهقة 150
أ. ايمن أبوشعر	اسم على مسمى 152
أ. مفید العبدون	كيف صرتُ لصاً... 155
صفاف	
قصص منوعة في مجموعة (حين تتمزق الظلال)	159
أ. عوض سعود عوض	للقاص بدیع حکی
مسك الختام	
د. عبد الله الشاهر	وإلى لقاء 167

**لوحة الغلاف للفنان
Ludvig Munthe
(1896 - 1841)**

رسام ألماني من أصل نرويجي اشتهر بلوحات المناظر الطبيعية الشتوية، يتبع ما يعرف باسم مدرسة "دوسليورف" في الفن.

تمييز لوحاته بمعالجة واقعية تماماً، بل وتکاد تكون توثيقية، للقطة تخلد مظاهر الشتاء الأوروبي، بثلوجه، وجليده، وخيوط شمسه الباهتة المطلة بخجل من بين أغصان أشجار الغابات التي سرباتها

نُدف الثلج والضباب بطيف رائع من تدرجات لونية تتносّب بين الظل والنور.

تکاد لا تخلي لوحاته من العنصر البشري، بملابس الشتوية، يمارس أعماله اليومية، في أجواء اتخذ فيها الثلج دور البطولة المطلقة.

من أشهر لوحاته: "غابة الصنوبر في الشتاء" و"الخريف في هولندا" و"شارع في مدينة دوسليورف".

إعداد وترجمة: ميرنا أوغلانيان



تحديات الثقافة العربية...

معالم النهوض

د. محمد الحوراني



مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها المنطقة العربية حديثاً، غدت الثقافة العربية أمام مفترقات طرق صعبة ومفصلية وشديدة الوعورة، ذلك أن الشعب العربي أصبح أمام تداعيات سلبية من شأنها أن تؤثّر في الهوية الثقافية العربية الوطنية، وربما تؤدي إلى انسلالٍ تدريجيٍّ عنها، ولا سيما مع حالة التشبه، بل التماهي والتباكي، بالثقافات الوافدة التي من شأنها أن تؤدي إلى خلق وضعٍ غير متوازن في الانتماء ومعرفة الذات.

وقد بدا هذا جلياً في ارتقاء فئة غير قليلة من أبناء الأمة ومثقفيها في أحضان الثقافات الأجنبية (الاستعمارية)، مع الإساءة المنهجية الكبيرة إليها وإلى أهلها، والاستخفاف بثقافة أمتها القومية وتراثها الحضاري، وهذا لا يعني انعدام وجود مثقفين وطنيين حاوّلوا، ولا يزالون، إعادة الاعتبار إلى الموضوعات الثقافية الوطنية الأصيلة، ووقفوا في وجه المُخطلّات التي تستهدفُ أمّتهم، وتعمل على تزييف وعي شعوبهم وتشوييه تراث أمّتهم وثقافتها، إلا أنّ ما ينبع عن العمل عليه هو خلق استراتيجية منهجية مشتركة بين المعنيين جميعاً، استراتيجية تكونُ أساسها العمل على تقديم الوعي القومي لدى المثقف العربي، بحيث يستطيع أن يتجاوز مرحلة الصراع، وأن يُحيل الشكوى إلى نداءٍ وعملٍ حقيقيٍّ، وأن يُصبح النداء في مرحلة

ثانية شعراً، وهذا يعني أن المثقف بدأ بتوضيح المعلومات وتبصير الناشئة بحقيقة ما تعرّض له أمته من تهديدات تحاول اقتلاعها من جذورها، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا عبر تعزيز الأدب والثقافة الوطنية وتجذير حضورهما ثقافياً وتربوياً وإعلامياً، وهذا يحتاج إلى وعي كبير من المثقف وبذل الجهود كلها لأجل التخلص من التوتر الذي طالما قاد بعضهم إلى التقرير الانفعالي، ولا سيما أن التوتر يقودنا إلى موقع حماسية آنية تُمْيِّز في أنفسنا حساسية مفرطة شديدة التأدي، سريعة الانجرار، منطوية على نفسها، وهو انطواء يذهب بصاحبه إلى الانكفاء، ويجعل مرحلة القلق مُسيطرة على هذا المثقف.

إن الثقافة العربية تمتلك من الأسس والمقومات الحضارية ما يجعلها أعمق وأثراً من أن تُجَبَّ أو تُرَاجَّ إلى الحد الذي تفقد فيه طاقتها وفاعليتها كلها، لأنها راسخة في البناء مستمرة ومتعددة في الزمان والمكان.

وأول هذه العناصر أن المنطقة العربية هي مهد الحضارات الإنسانية، إذ إن الفرعونية والبابلية والآشورية تُعد من أقدم الحضارات، كما أن هذه المنطقة مهبط الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام. وهذا العنصران انصهرا مع عناصر أخرى في عملية إنتاج التاريخ الاجتماعي للوطن العربي، ولا يمكن فهمه إلا في حضورهما، وجاءت اللغة العربية من خلال قوتها الذاتية لتعزز عناصر التوحد الثقافية العربي، وتجعله أكثر تماساً وقوّة. صحيح أن بعضهم يرى أن الثقافة العربية عنصر كثیر التعدد، شديد الاختلاف، إلا أنها في الوقت نفسه غزيرة التوّع، راسخة الحضور، قوية البناء، وعلى أساسها تتمايز المجتمعات، وتحتفل الجماعات تماثيلاً واحتلافاً مكناً علماء الإنسنة من استياب الوسائل النظرية التي أتاحت لهم دراسة الخصائص الاثنية التي تميّز البشر في صنوف اجتماعهم وطرائق معيشهم، إذ يتسع لنا أن نتبين إلى أي حد يمكن للثقافات أن يكون شرياً في تعدد، وعقيرياً في تنوّعه، كما أن الثقافة انعكاس للمستوى الحضاري لأيّ أمة أو بلد أو جماعة، وهي حصيلة فهم الإنسان لتراثه ودينه أيّاً كان، وهذا لا يتحقق إلا عبر تواصل الجيل القديم مع الجيل الجديد، وحرصه على تمية مواهبه وتطوير ثقافته والارتقاء بها، ولا سيما في مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة، وفي ظلّ عزوف المجتمع عن الألوان الثقافية، وهو ما يجب أن يحظى برعاية المؤسسات الثقافية الرسمية في الدول العربية كلها، لتحقيق دعم لأنشطة والفعاليات الثقافية، والعمل على

تشييط الوزارات المعنية: إعلام، ثقافة، تربية، تعليم، أوقاف، وغيرها... وهذا لا يمكن أن يحدث إلا بعد إدراك عميق لأهمية هذا العنصر الناعم الذي يُضاهي في قوته وجماله كل شيء.

لقد آن الأوان لتغيير واقع التعاطي مع الثقافة على أنها عنصر هامشي، دون إدراك أبعاد العامل الثقافي ودوره في صناعة التحولات، ورسم الحدود الجيوسياسية، ذلك أن رسم المسار الثقافي الحضاري القائم على الوعي والأصالة، من شأنه أن يُسهم في إعلاء قيم الخير والفن والجمال، وأن يضع حدًا لتفوّل الصراعات السياسية والعسكرية وما تجُرُّه من كوارث وسلبيات على المشهد الثقافي.

إن مد جسور التبادل الثقافي وتدعيمها بين الدول العربية، هو وحده الكفيل بإزالة الحاجز النفسي التي خلفتها السياسة والحروب، كما أنه وحده قادر على تبديد وحشة المعارك الإعلامية التي أريد لها أن تُشتتَ الأمة، وتدمر بنيتها الحضاري والمعرفي.

من جهة أخرى فإن حالة الضعف التي تعيشها الثقافة العربية تعود في بعض أسبابها إلى نرجسيّة المثقف وجُموده، كما أن حالة التبعية للسياسيّ وقبول بعض المثقفين بانتصار بعض الساسة لهم، يُشكّلُ أحد أهمّ أسباب ضعف الثقافة وقصورها، فضلًا عن مجازاة بعض المثقفين لبعض رجال الدين على الخطأ قبل الصواب، وانطلاقاً منه، لا بد من تكثيف الجهود مستقبلًا لتنمية الجانب الدولي للثقافة العربية ومعالجة القضايا الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية التي يتخطّط فيها الوطن العربي، حسب رؤية المفكّر الاقتصادي اللبناني جورج قرم، من دون أن يتمكّن من الخروج من التخلف الاقتصادي والمعرفي، مع إشارة خاصة إلى هجرة الأدمة العربية إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا، وهو ما من شأنه أن يعمّق من مستوى التخلف العربي مقارنة بما تُتجزّه من إنجازات علمية وتكنولوجية حضارات أخرى مثل الحضارة الصينية وحضارة دُول شرق آسية أخرى.

والجدير بالذكر هنا أن المجتمعات العربية كانت أكثر تقدّمًا من الناحية الاقتصادية من اقتصادات شرق آسيا في بداية الخمسينيات، وهذه ظاهرة يجب أن تُثير الاهتمام لفهم الأخطاء التي حدثت في بلدانا العربية، وتوطيد اتجاهات اقتصادية واجتماعية جديدة تُخرجنا من التخلّف في التخلف عن ركب الحداثة بأوجهها كلّها، وهي رؤية تتقاطع، إلى حد كبير، مع ما يراه المفكّر والباحث

المغربي عبد الله العروي، ولا سيما تأكيده قصور التحليل الاقتصادي في فهم الواقع العربي، متجهاً بالبحث إلى العوامل الأيديولوجية والثقافية الكامنة وراء إخفاق الحركة التحريرية العربية التي كان في وسعها أن تصمد لو أنها أنجزت الحلقة الفائية في مشروعها: الثورة الثقافية.

ومن هنا لا بدّ من استيعاب معطيات المرحلة الليبرالية وتوطينها، والإقلال عن نقد التراث الليبرالي، لأن الليبرالية حاجة طبيعية في الفكر العربي وضرورة تاريخية للمجتمع والسياسة والثقافة، والانصراف بدلًا من ذلك إلى النقد بوصفه استراتيجية معرفية.

بقي أن نقول: إن حالة المراوحة في المكان منذ قرون في عالمنا العربي، وإخفاقه في عمليات التحول الحضاري المطلوبة لصلاح الحاضر، والاستعداد للمستقبل، إن هذا الإخفاق يعود على نحو أساسي إلى أسباب كثيرة، من أهمها حالة (النوستالجيا) الفكرية التي أصيّبت بها فئة من مثقفينا ومبدعينا، ويجب علينا جميعاً أن نُسْهِم في التخلص من استبداد هذه الحالة، لأن التخلص منها خطوة لا بد منها للوصول إلى التواصل الثقافي بين أبناء الأمة في أمصارها كافة، وهي مرحلة متقدمة عن التعdidية كما يقول عالم الاجتماع علي راتansi، وهو ما أكدّه اجتماع الأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب الذي استضافه اتحاد الكتاب العرب في سوريا تحت عنوان: "أدباء من أجلعروبة"، فقد أكدّت اللقاءات والندوات والفعاليات الشعرية التي أقيمت في أشاء الاجتماع، أن ما يربطُ بين أبناء الأمة ومثقفيها أكبر بكثير مما يفرقهم، كما أن الانتماء والأصالة والوطنية هي السمة الغالبة على كتاباتهم ومنجزهم الإبداعي في الأجناس الأدبية المختلفة، لكن المشكلة تكمن في التواصل بين أبناء الأمة في مختلف الأمصار العربية، وكذلك في سوء تخصيص الحكومات العربية شيئاً من الدعم للقاءات وفعاليات كهذه، فمن غير المنطقي أن يتسابق بعض المسؤولين في هذه الدولة أو تلك إلى دفع ثمن بطاقة طائرة وإلى التكفل بنفقات إقامة هذا الفنان أو تلك المغنية فضلاً عن المبالغ المالية الطائلة التي تُنْدَقُ عليه في هذه الدولة أو تلك، في الوقت الذي لا يجد فيه المثقف أو المفكر من يدفع له ثمن بطاقة الطائرة لحضور هذا المؤتمر أو تلك الندوة.

لقد آن الأوان لإعادة الاعتبار إلى الثقافة والفن، لأن الأمة القوية هي الأمة التي تحسن بناء ثقافتها وتربيتها، وتحترم قادة الفكر والرأي والتربية فيها.

نواخذ

- الأدب الساخر... الشعر العربي نموذجاً أ.د. عيسى الشماس
- السخرية في مسرح "برناردشو" أ. عيسى إسماعيل
- السخرية الجادة في الأدب أ. نبوغ أسعد
- الجذر الفلسفـي للأدب أ. وجدان أبو محمود



الأدب الساخر...

الشعر العربي نموذجاً

أ. د. عيسى الشمامس

أديب وباحث أكاديمي في الأدب والتربية



مقدمة:

الأدب الساخر ليس نموذجاً أدبياً مستحدثاً، وإن شاع مصطلحه ومضموناته حديثاً، فهو يعود إلى ما قبل الميلاد بآلاف السنين؛ ويشير إلى ذلك التاريخ، النص البابلي الشهير الذي يعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد، ويتضمن حواراً بين سيد وعبدة. حيث يذكر النص بوح السيد لعبدة بكل ما يفكرة به، بما في ذلك تناقض أقواله بين جملة وأخرى. وكان العبد يبرر لسيده تناقضات حديثه كلّها، من خلال موافقته على كلّ ما يقول السيد، حتى قال السيد لعبدة: أفكّر أن أقتلك، فقال العبد: تستطيع يا سيدي أن تقتلني ببساطة، ولكنك ستموت من بعدي جوعاً وعطشاً، فأنت لا تجيد شيئاً سوى إصدار الأوامر، وأخر أوامرك القاتلة لك: هو قتل من يخدمك.

اتّخذ الأدب الساخر أشكالاً الواقع بقصد تشخيصه ومحاولته البحث عن علاج ناجع لبعض مشكلاته إن أمكن ذلك. لأنّ الأدب الساخر يعبّر عن حالة رفض للواقع ولكن بشكل قادر على التعبير من دون الاصطدام أو خلق حالة مواجهة بالسخرية المباشرة مع أية جهة كانت، حيث تتفاوت أشكال السخرية بين التصرير والتلميح. ويساعد متّوّعة تتراوح ما بين النكات والطرائف، وما بين الشعر والقصّة والرواية والمسرحية، وغيرها من الفنون الأدبية التي تعبر عن متنفس شخصي واجتماعي. فثمة من يظنّ أنّ الأدب الساخر هو لإضحاك الناس فحسب، ولكنه يوظّف الضحك من أجل نقد

الساخر أن يكون بياناً سرياً بين الكاتب والقارئ، بين الألم والضحك، بين القلم والورقة، أو كرسائل العشاق السرية والخجولة، كما يقال.

إن المضي في عالم الشعر الساخر يوضح دوافع وأسباب عديدة، تقود الشاعر ليعبر عمّا يذهب إليه بأسلوب ساخر، وهذه الأسباب المختلفة تحدّد الأشكال التي سيكون عليها فنّ السخرية، وقد يكون أهم هذه الأشكال الهجاء، والتهكم، والضحك الذي يشبه البكاء أو الضحكة المرة، والسخرية من المجتمع، والفكاهة والدعاية، والسخرية من دعم الآراء والمواقف. ولكن إذا كانت السخرية من سمات الأدب الساخر، فإنه من الخطأ أن تقرن السخرية بصورة مطلقة، بهذا الأدب بوجه عام، وبالشعر الساخر بوجه خاص، بقصد الإضحاك أو الملاحة؛ لأن السخرية قد تكون وليدة مأساة، أو انعكاساً تصويرياً لها.

وفي ديوان الشعر العربي نماذج شتى من القصيدة الساخرة. وبعد الحُطْيَة أبرز أصحاب هذا الفن في الشعر العربي القديم، واعتبره بعض الدارسين رائد السخرية في الشعر العربي. غير أن هذا الفن أزدهر، فيما بعد، على أيدي جرير والفرزدق والأخطل وأبي نواس، وبشار بن

الأديب الساخر في ذلك ذكاؤه النادر، وفراسته، وإدراكه لطبع الناس واتجاهاتهم وميولهم، كما يساعده في إشاعة الضحك بشكله الظاهر.

وهناك أسباب دوافع كثيرة، غالباً ما تكون متلاصقة أو متباعدة، وهذا ما تفرزه طبيعة السخرية التي هي بالأساس تحتمل أكثر من معنى وأكثر من تأويل وتفسير. لذلك تفتّن العديد من الأدباء والكتّاب والشعراء - في كل زمان ومكان - في إنتاج هذا اللون الأدبي الساخر، فصارت للأدب الساخر قاعدة قراءً ومهتمين تتسع يوماً إثر يوم، بعد أن تموّض في مكانة بارزة بين فنون الأدب وأغراضه المختلفة.

أولاً- الشعر الساخر

ترتبط السخرية بمعانٍ عدّة منها: الهراء، الذي يبعث على الضحك، والضحك في بعض معانيه سخرية، وأكثرها براءة هو ما يسمى بالفكاهة، أو الدعاية، وكذلك التتدرّج. ويأخذ بعضها الآخر منحىً مختلفاً، فهو مجرد تعداد لعيوب الآخر الموجودة فيه أو التي يفترض الشاعر وجودها، وهذا ما سُمي في الشعر هجاء أو الذمّ وهو ضدّ المدح. وهذه الأشكال تساعد في رسم الوجه الأبيض لفن السخرية؛ التي تدرج ألوانه من الأسود الحالك إلى الأبيض الناصع. لذلك فإنّ من السمات الأساسية للنصّ

والسخرية اللاذعة، فكانوا يتطاولون بعضهم على بعض بـألفاظ قبيحة ويسيرون بعضهم من بعض في الخلق والتصرف. كما أنهم كانوا يطعنون في أنساب الآخرين، حيث يتطاولون فيها كل عيوبهم ومعاركهم الخاسرة، وحتى الطعن في النسب، وذلك من باب إنقاص شأن القبيلة الأخرى والحطّ من مكانتها بين القبائل. لذلك كانت القبائل تتناقض فيما بينها في مثل هذا النوع من الشعر، الذي يعتبر حرباً لفظية، في قالب فكاهي ساخر من أجل جذب الانتباه. وكانت الأسواق الأدبية مجالاً مناسباً لمجالس مبارزة الشعراء.

فهذا الشاعر أمرؤ القيس، وهو من أهجى شعراء العصر الجاهلي، يهجو أهل البراجم بأسلوب ساخر، يعبر فيه صفاتهم السيئة في القتال، وفي معاملة الجار، وكل الصفات التي تخالف الأعراف العربية الأصيلة، في الشجاعة والإغاثة والكرم:

ألا قَبَّحَ اللَّهُ الْبَرَاجِمَ كُلَّهُ
وَجَدَعَ يَرِيُوعًا وَعَفَرَ دَارِمًا
وَأَكَرَّ بِالْمُحَاةِ آلَّ مُجَاشِعٍ
رِقَابَ إِمَاءِ يَقْتَنِينَ الْمَفَارِمَا
فَمَا قَاتَلُوا عَنْ رَبِّهِمْ وَرَبِّيهِمْ
وَلَا آذَنُوا جَارًا فَيَظْفَرُ سَالِمًا

بُرد الذي اعتبر مؤسس المدرسة الشعرية الساخرة، وكذلك المتنبي سيد الشعر والشعراء بما فيه من الشعر الساخر ومن يبدعونه.

ولكن إنّ من ينظر إلى الشعر الساخر عند الشعراء المعاصرین، يجد أنه أقلّ مما كان عليه من قبل، فربما يعود السبب في ذلك إلى الحساسية الموجودة في العلاقات الاجتماعية، وما يمكن أن ينجم من تأثيرات الشعر الساخر على هذه العلاقات. كما أنّ الهجاء وهو لون من الشعر الساخر، لم يعد متداولاً كما كان عليه في شعرنا القديم، الذي كان يعني بالنقائض والمعارك الأدبية والعصبية القبلية التي تدعو إلى الفخر من جهة، والهجاء الساخر من جهة أخرى. لذلك لم يعد الموضوع الهجائي الساخر يسترعي الاهتمام والمتابعة، من الشعراء والباحثين والمتلقين.

وقد يكون اهتمام مجلة "الموقف الأدبي" بهذا الفنّ الأدبي، لفتة مهمة في إعادة الحياة لهذه النوع الأدبي / الشعري، كما في الشعر الوصفي، والاجتماعي، والملزم، والوجيز، وغيرها .

ثانياً - شعر الهجاء الساخر في العصر الجاهلي

شهد العصر الجاهلي العديد من شعراء الهجاء، حيث تميّز هذا العصر عن غيره بكثرة شعراء الهجاء الفاحش

وأَعْجَبَكُمْ فِيهَا أَغْرُّ مُشَهَّرٍ تلادُ
إِذَا نَامَ الرَّبِيعُ تَقْفِمَهَا

وكان بشار بن برد يهجو الكثرين
ممن حوله، بأسلوب يتم بالسخرية
اللاذعة، إذا رأى منهم إساءة أو موقفاً لا
يعجبه. ومن قصائده في هذا المجال، تلك
القصيدة التي هجا بها / المقدع الخبيث
/ وضمنها ذمه إليه لأنّه الجبان البخيل
الذي يغلق بابه في وجه مسكين طالب
الماعدة، أو يخاف من سائل عن أمر ما
فيقول:

خلييٌّ من كعبٍ أعينا أخاكما
على دهره إنَّ الْكَرِيمَ معينٌ
ولا تبخلَا بخلَ ابن قزعة إلهٌ
مخافةَ أن يُرجى نداءُ حزينٌ
إذا جئتهُ في الخلقِ أغلقَ بابهُ
فلم تلقهُ إلَّا وأنتَ كمينٌ
إذا سلمَ المسكينُ طارَ فؤادهُ
مخافةَ سؤلٍ، واعتراهُ جنونٌ

هكذا وصف بن برد، ذلك
الشخص من آل قزعة، بأسلوب هجائي
ساخر، كما غيره من شعراء الجاهلية
الذين امتهنوا الهجاء للنيل من خصومهم

وَمَا فَعَلُوا فَعَلَ الْمُوَيْرِ بِجَارِهِ
لَدِي بَابِ هَنْدٍ إِذْ تَجَرَّدَ قَائِمًا

أما / أوس بن حجر/ وهو أيضاً من
أهجي شعاء العرب فكان يكتب في
الهجاء الساخر ليرفع من مكانته بين
غيره من الشعراء، ومن أجل ردّ حقّ قبيلته
حين ظلم، كما كان يفعل الشعراء في
الجاهلية، ومن هجاء أوس بن حجر
خصومه وأعدائه ، وهو يمنّ عليهم بهذا
الهجاء، بينما هو يسخر منهم أشدّ
السخرية :

فَإِنْ يَأْتُكُمْ مِنِّي هِجَاءٌ فَإِنَّمَا
حَبَّاكُمْ بِهِ مِنِّي جَمِيلٌ ابْنُ أَرْقَمَا
ئَجْلَلَ غَدْرًا حَرَمَلَاءَ وَأَقْلَعَتْ سِ
حَائِبَةُ لَمَّا رَأَى أَهْلَ مَلَهَمَا
فَأَخْرِجَكُمْ مِنْ ئَوْبِ شَمَطَاءَ
عَارِكٍ مُشَهَّرٍ بَلَّتْ أَسَافِلَهُ دَمَا
وَلَوْ كَانَ جَارٌ مِنْكُمْ فِي عَشِيرَتِي
إِذَا لَرَأَوا لِلْجَارِ حَقًا وَمَحْرَمًا
وَلَوْ كَانَ حَوْلِي مِنْ تَمِيمٍ عَصَابَةَ
لَمَّا كَانَ مَالِي فِيكُمْ مُتَقَسَّمًا
أَلَا تَتَّقَنَ اللَّهَ إِذْ تَعْلَفُونَهَا
رَضِيَّخَ النَّوَى وَالْعُضُّ حَوْلًا مُجَرَّمًا

السيادة والنجدة والكرم، وكان الحلم والوفاء والحزن من الفضائل التي يتجادلها المتقاضون، فيدعى الشاعر لنفسه ولقومه الفضل في ذلك. ولعل جريراً والفرزدق، يمثلان هذه النقائض الهجائية الساخر، أحس تمثيل في الشكل والمضمون.

بدأ الهجاء بين جرير والفرزدق حين استعان أحد الشعراء من قبيلة الفرزدق به للرّد على جرير، فقام الفرزدق بالانتصار لصاحبه، ورد عليه جرير، واشتعلت بينهما نار هجاء لم تطفئ ألاّ بموت الفرزدق. وقد كان الهجاء بينهما يركّز على ذمّ القبيلة وذمّ النسب وتحقير صفات الخصم، بأسلوب شديد السخرية من لؤمهم وبخلهم.

ومن قول الفرزدق في جرير وقومه:
ووْجَدَ قَوْمَكَ فَقَوْءَا مِنْ لُؤْمِهِمْ
لَمْ يَعْبُرُوا بِمَكَارِمِ الْأَقْوَامِ
صَفَرْتُ دَلَّوْهُمْ فَمَا مَلَؤُوا بِهَا
حَوْضًا وَلَا شَهْدًا عَرَاكَ زَحَامٍ

فأجابه جرير بالأسلوب نفسه من هجاء العيار الثقيل، المفعم بالسخرية الحادة، وهو يصف قوم الفرزق بضعف القلوب، وخفة العقول، ونشر الشرّ أينما حلوا، فيقول:

بِتَعْدَادِ مَثَالِبِهِمْ وَحْدَرَ أَصْحَابِهِ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ الْبَخِيلِ، بَلْ يَكُونُوا كَرْمَاء يَقْدِمُونَ عَلَى كُلِّ سَائِلٍ وَمَحْتَاجٍ.

ثالثاً - شعر الهجاء الساخر في العصر الأموي

اعتمد الشعر الساخر في العصر الأموي على الهجاء الذي يعبر عن النقائض في صورتها الكاملة بوصفها عناصر أساسية في لغة الشعراء، منها التّسّب الذي أصبح في بعض الظروف، وعند بعض الناس، من المغامز التي يهاجم بها الشعراء خصومهم حين يتربّكون أصولهم إلى غيرها، أو يدّعون نسباً ليس لهم. وكانت المناقضة تُتّخذ من النسب مادة للتحقيق أو التشكيك أو نفي الشاعر عن قومه أو عده في رتبة وضيعة، مقابل الفخر بالأنساب وبمكانة الشاعر من قومه وقرباته من أهل الذكر والباس والمعروف أساساً، تدور حوله النقائض سلباً أو إيجاباً. فاعتمد الشعراء المناقضون على مادة النسب وجعلوها إحدى ركائز هجائهم على أعدائهم وفخرهم بأنفسهم. فكان الشعراء يُتّخذون منها موضوعاً للهجاء ويتحاورون فيه، كما صور جزء من النقائض الحياة الاجتماعية أحسن تصوير، ووصف ما جرت عليه أوضاع الناس، ومنها العادات المرعية والأعراف والتقاليد التي يحافظ عليها العربي أشد المحافظة. فكانت

يا ابن المراعة أين خالك إبني
 خالي حبيش ذو الفعال الأفضلُ
 وشغلت عن حرب الكرام وما بنوا
 إن اللئيم عن الكرام يُشغلُ

فرد جرير على الفرزدق في قصيدة معارضة، بشكلها وبأسلوبها، فكانت أشد هجاء وأكثر سخرية، من المكانة والأم والخال من قبيلة ضبة :

لما وضعْتُ على الفرزدق ميسمي
 وضفاً البغيثُ جدعتُ أنفَ الأخطلِ
 أخزى الذي سملَ السماءً مجاشعاً
 وبنى بناءك في الحضيضِ الأسفليِّ
 كان الفرزدقُ إذ يعودُ بخالهِ
 مثلَ الذليلِ يعودُ تحتَ القرمليِّ
 فافخر بضبةَ إنْ أَمْكَ منْهمْ
 ليسَ ابنَ ضبةَ بالمعْنَى المخولِ

إنَّ الأمرَ الذي يثيرُ إعجابَ الكثيرين، أنَّ جريرَ والفرزدقَ على الرغمِ مما كانَ بينَهما من قصائدِ الهجاءِ والنَّقائضِ، فقدَ كَانَا صديقيْنَ مقربيْنَ، وكثيراً ما شوَاهداً معاً في الأسواقِ، كما أنهُ جريرُ رثا الفرزدقَ عندَ وفاتهِ قصيدةً مدحًّ ذكر فيها صفاتِه وفضائلِه.

مهلاً فرزدقُ إنْ قومَكَ فيهمُ
 خورُ القلوبِ وخفةُ الأحلامِ
 الظاعنوْنَ على العمى بِجَمِيعِهِمْ
 والتازلُونَ بِشَرِّ دارِ مقامِ

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الدوافعُ القبليةُ والشخصيةُ هي الأساسُ لهذا الهجاءُ النَّقائصيُّ الساخرُ، فالفرزدق لم يهجِ دفأعاً عن القبيلةِ فحسبُ، بل لأنَّه أرادَ منافسةَ جريرٍ على زعامةِ تميمِ الشعريةِ، كما أنَّ الأخطلَ سخطَ أيضاً على جريرٍ لأنَّه مدحَ قبيلةَ قيسِ المعاديةِ لبنيِ تغلبِ رهطِ الأخطلِ، كما خافَ أيضاً أن يزاهمه جريرٍ على مكانتِه في بنيِ أميةِ.

في قصيدة يفخرُ فيها الفرزدقُ بنفسِه وبقوَّتهِ، وبهجوِ جريراً بأسلوبِ ساخرٍ طالَ جريرَ وقبيلتهِ، من خلالِ ضعفِهِ، ونعتِهِ بأمَّهِ وذُمَّ خالهِ، مقابلِ رفعةِ مكانةِ الفرزدقِ وحالِهِ:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنِي لَنَا
 بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعْزَّ وَأَطْوَلُ
 لَا يَحْتَبِي بِفَنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلَهُمْ
 أَبْدًا إِذَا عَدَ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ
 ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا
 وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمَنْزُلُ

يقول ابن الرومي في وصف رجل
أحدب:

قصرتْ أخادعهُ وغارَ قذاله
فكانَهُ متريصٌ أن يُصفعا
وكأنما صُفتْ فقامَ مرة
وأحسنَ ثانيةً لَا فتجمّعا

لقد كانت الصورة حسية، كما تخيلها الشاعر، تعبّر عن بروز الأخداع، أي العروق في رقبته، وعن اختفاء رأسه من شدة الانحناء إلى الأمام، كما لو أن صفة قوية أصابته وآلت له فأدّت إلى هذه الانحناءة الكبيرة، ويترقب أن تأتيه صفة أخرى ، فقام بهذه الانحناءة لوقاية رقبته ورأسه من الصفة المرتقبة. وبذلك يبدو وكأنه سيظلّ مصفوعاً إلى نهاية حياته .

ويصف ابن الرومي بأسلوب ساخر رجالاً أصلع، فيقول:

فوجهُه يأخذُ من رأسه
أخذَ نهارِ الصيفِ من ليله

إنّها صورة ساخرة، ولكنّها جميلة في الشكل والمضمون؛ فالصلع يجعل الوجه أكبر مما هو لأنّه يتّصل بالرأس الأصلع، ولا سيّما من جهة الجبين،

رابعاً - شعر الهجاء الساخر في العصر العباسي

يعدّ الهجاء الساخر واحداً من الأغراض والموضوعات التي شهدت تطورات فنية في العصر العباسي، استهدفت إضحاك الناس على المهجو والساخرية منه، حيث يرسم الشاعر شخصية المهجو المعنوية والحسية رسمًا ساخراً أو كاريكاتورياً يضحك الناس. وقد يستخدم الشاعر في هذا النوع من الهجاء عناصر الفكاهية الشائعة بين الناس، لأنّ الهجاء الساخر يصور بطريقة تعبيرية فردية، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، في محاولة لكشف الرزيف ومواجهة التشويه، بقصد تجاوز الواقع والوصول إلى ما هو أفضل من خلال الإصلاح والتغيير.

كان الشعر الساخر في العصر العباسي، لوناً بارزاً من الأدب الشائع، حيث انتقل من الهجاء الساخر، إلى الوصف الساخر. ولعلّ الشاعر / ابن الرومي / يعبر عن هذا النوع الشعري أصدق تعبير، من خلال مواقفه الساخرة تجاه كثير من المظاهر الشخصية والاجتماعية. فكانت له لقطات ذكية يدعها في الوصف الساخر، ولا سيّما للعيوب الجسدية عند بعض الأشخاص، كالصلع والأحدب، والطويل جداً أو القصير جداً، فيبدع في تصويره لهذه العيوب. وفيما يأتي بعض الأمثلة:

المتشدد يدعوا إلى التساؤل عن السبب الذي جعل ابن الرومي يستخدمه في تصوير أشخاص مختلفين في المجتمع؟ وقد يكون الجواب في احتمالات عدّة، يجمع بينها أنه انتقام من وضع اجتماعي معين كان يريده ولم يحصل عليه؛ فكانت كلماته الساخرة / اللاذعة، دفاعاً انتقامياً يعبر عمّا في نفسه تجاه ظلم لحق به وأعاق وصوله إلى منزلة كان يطمح إليها.

أما الشاعر / منصور الأصفهاني / فيهجو المغيرة، فيسخر من أنفه ووجهه، وشكله بوجه عام، فيقول :

وجه المغيرة كُلَّهُ أَنْفٌ
يحنُو عَلَيْهِ كَأْلَهُ سَقْفٌ

رَجُلٌ كَوْجَهِ الْبَغْلِ طَلْعَتْهُ
مَا يَنْقُضِي مِنْ قَبْحِهِ الْوَصْفُ
مِنْ حِيثُ مَا تَأْتِيهِ تَبَصْرَةُ
مِنْ أَجْلِ ذَاكَ أَمَامَهُ خَلْفُ
جَفَّتِ الْمَدَائِحُ عَنْ خَلَائِقِهِ
وَلَقَدْ يَلِيقُ بِوَجْهِهِ الْقَدْفُ

يا لها من سخرية لاذعة، أصابت المغير في أنفه الكبير الذي يغطي وجهه حتى لا يظهر منه أثر، وكان الأنف كما سقف البيت الذي يحجب عمّا في

والصورة الأكثر دقة وتعبيرًا، هي تشبيه الوجه بالنهار والرأس بالليل إذا ما كان مكتسيًا بالشعر الأسود.

أما سخرية ابن الرومي من المغترين فهي كثيرة، فيها هجاء مؤلم، فله في وصف معلم صبيان وهو أيضاً مغنًّا، يلقب بأبي سليمان، فيقول ابن الرومي:

أبو سليمان لا ترضى طريقَهِ

لَا في غناء ولا تعليمِ صبيانِ
عواءٌ كليٌ على أوتارِ مندفعٍ
في قبحِ قردٍ وفي استكبارِ هامانٍ
وتحسب العينَ فكِيهِ إِذَا اخْتَلَافَا
عندَ التنفُّعِ فَكَيْ بَغَ طَحَانٍ

فهل هناك تعبير أعمق مما أجاد به ابن الرومي؟ لتصور معلمًا بهذه المواصفات، كيف يتقبله المتعلمون؛ أو نتخيل مطرباً يغنى بهذا الصوت الذي يشبه نباح الكلب، فكيف تكون ردود أفعال المستمعين؟ وليس ذلك فحسب، بل إن الشكل قبيح وغير مقبول كما شكل القرد، ويفتح فكيه وهو يغنى كالبغل المتعب من حمل الاتصال في المطحنة. إنها لوحة ساخرة بأجمل الألوان الفاقعة.

إذا كان الشعر الساخر يصور حالات اجتماعية معينة لإبرازها وتقديم حلول لها، فإن هذا اللون الساخر

خامساً - الشعر الساخر في العصر الحديث

على الرغم من شيوع الشعر الساخر في فترات سابقة، فقد أصبح في الآونة الأخيرة نادراً، إلى حدّ ما؛ فهل يعود ذلك إلى جفاف في القرية، وعدم خفة في الروح؟ أم هو استهتار بهذا النوع المهمّ من الأدب الذي يرُوّح عن النفس، ويزيل الهموم عن القلب هذا العالم المضطرب؟ ألم ينصح علماء النفس بالضحك لأنّه عامل مهمّ من عوامل الصحة العامة، النفسية والجسدية معاً؟

ولكن على الرغم من قلة هذا الفنّ الأدبي عند الشعراء المعاصرين، فما من شاعر من هؤلاء الشعراء إلاّ وحاول أن يقصد هذا الفنّ، إما لمزاجه المرح وإما لأسباب أخرى تفصّح عنها سخرياته، فأجاد بعضهم فيه وأبدع، وثمة فريقان من الأدباء / الشعراء يُخذلون الكتابة الساخرة مجالاً لأعمالهم الشخصية / الاجتماعية:

- الفريق الأول: اتّسم أصحابه بالروح المرحة دائماً، ويُعرفون بمزاج ساخر في كتاباتهم ونظمهم كله، وقد تناولوا السخرية من وجهتين:

1- في نظم مدعاة أو نادرة، أو في رِيْ شعرى ساخر يختصر نكتة أو التفاته طريقة.

داخله. وكذلك هيئـة المغيرة التي تراهاـ كما هي إن نظرة إليها من الأمـام أمـنـ الخـلف، وكـأنـ قـفـاه يـشـبه وجـهـه (كـما يقول المـثلـ الشـعـبـيـ). والـخـلاـصـةـ أنـ خـلـقـةـ المـغـيـرـةـ لاـ تـشـبـهـ خـلـائـقـ الآـخـرـينـ منـ النـاسـ. وهناك الشاعـرـ / دـعـبـلـ الخـزـاعـيـ / الذي كـانـتـ لـهـ إـسـهـامـاتـ كـبـيرـةـ فيـ الشـعـرـ السـاخـرـ، وـمـنـهـ آـنـهـ هـجـاـ جـارـهـ الذي سـرـقـ لـهـ دـيـكـاـ عـزـيرـاـ عـلـىـ الخـزـاعـيـ، وـأـكـلـهـ معـ أـسـرـتـهـ، وـأـنـكـرـ ذلكـ الفـعلـ. فـاغـتـاظـ الخـزـاعـيـ، وـرـاحـ يـشـهـرـ بـجـارـهـ فيـ الـمـسـجـدـ، بـعـبـارـاتـ سـاخـرـةـ وـمـسـتـهـزـئـةـ بـهـكـذاـ جـارـ، لـمـ يـحـترـمـ معـنـيـ الجـيـرـةـ :

بعـثـواـ عـلـيـهـ بـنـيهـ وـبـنـائـهـ
مـنـ بـيـنـ نـاقـةـ وـآـخـرـ سـامـطـ
يـتـازـعـونـ كـأـنـهـمـ قـدـ أـوـثـقـواـ
فـلـقـانـ أـوـ هـزـمـوـاـ كـتـائـبـ نـاعـطـ
نـهـشـوـهـ فـأـنـتـزـعـتـ لـهـ أـسـنـانـهـ
وـتـهـشـمـتـ أـقـفـاؤـهـ بـالـحـائـطـ!

إـنـهـ صـورـةـ رـائـعةـ بـسـخـرـيـتهاـ، كـيـفـ
تسـابـقـ أـفـرـادـ أـسـرـةـ الـجـارـ مـنـ الـبـنـاتـ
وـالـبـنـيـنـ، عـلـىـ أـكـلـ الـدـيـكـ الـمـسـرـوقـ، وـهـمـ
يـنـهـشـوـنـ لـحـمـهـ بـأـسـنـانـهـمـ، فـيـنـحـنـونـ إـلـىـ
الـأـمـامـ وـإـلـىـ الـخـلـفـ، حـتـىـ يـصـدـمـوـ
بـالـحـائـطـ مـنـ شـدـةـ النـهـمـ وـقـوـةـ النـهـشـ.

فما كان من شوقي إلا أن ردّ بلهجة
مستكراً وساخراً جداً، قائلاً:
استأمنت الكلب والإنسان أمانة
فالإنسان خان الكلب حافظاً

يلاحظ أنّ شوقي أراد أن يؤكد أنَّ
الكلب أكثر وفاء وأمانة من الإنسان،
ولكنّه أتبع الكلب بحافظ، ليُسخر من
شاعر النيل من جهة، ويُشيد به من جهة
أخرى، وقد يكون ذلك على مبدأ "المدح
في معرض الذمّ". أو العكس.

وفي جلسة ودية جمعت بين الشاعر
أحمد شوقي وصديقه الدكتور/
محجوب ثابت / الذي حقّق حلمه وشتري
سيارة، ولكنّها كانت قديمة جداً،
فأراد شوقي، أن يداعب صديقه من
خلال وصف ساخر لهذه السيارة
القديمة، فقال له:

لكم في الخطّ سيارة
حديث الجار والجارة
إذا حركته أمالتْ
على الجن بين منهارة
وقد تحرنْ بأحيانٍ
وتمشي وحدها تارة

- 2- في توسيع أغراض الشعر
وتتوسيع أساليبه، مما يساعد في إظهار
المعاني اللطيفة، ولا سيما في الهجاء حيث
للسخرية باب واسع في هذا المجال.

- الفريق الثاني: أفاد من الفكاهة
في بعض كتاباته للنقد والهجاء معاً.
فيستخدم فنون السخرية للنيل من
الخصوم، أو لنقد مذهب أو أساليب
أدبي، وبوصفها سلاحاً هجومياً لا يخالف
الأعراف والقوانين الأدبية والاجتماعية،
إذا أحسن استخدامه شكلاً ومضموناً،
وبأسلوب ذكي ومقنع.

ومهما يكن الجفاف في هذا النوع
الأدبي، فشّمة شذرات من هنا وهناك ما
تزالت تعبّر عن وجود الشعر الساخر،
بشكل أو باخر، وفي مناسبات مختلفة
حيث يسمح الموقف لقول الشعر المناسب
في وصفه والتعبير عنه بأسلوب ساخر.
والأمثلة كثيرة على ذلك في الشعر
الحديث.

في لقاء وديّ جمع بين شاعرين
حميمين، شاعر النيل حافظ إبراهيم،
وأمير الشعراء أحمد شوقي، أراد شاعر
النيل أن يداعب أمير الشعراء فقال:
يقولون إن الشوق نار ولوعة
فما بال شوقي أصبح اليوم بارداً

ويفي زيارة قام بها اليازجي، إلى
صديقه إبراهيم سركيس / في منزله،
فسأل السيد سركيس ضيفه اليازجي
ممازحاً: كيف تشرب القهوة؟ ويقول
عنها الشاعر:

فِي وَهْرَانٍ حَرَامٍ بْنُ الْمَوْلَى
عَنْهُ أَنَّهُ نَاهُونَ

* * *

فظر اليازجي إلى فجان القهوة
 ملياً، وأجاب باستغراب:

كيف تدعوهـا حرامـاً

وأنا أشرب منه

1

فقد ظهر اليازجي وكأنّ يعاتب صديقه، بأسلوب ساخر، كيف يقدم له القهوة وهو يعرف أنّها محرمة؟ فهل يريد أن يحرج الشاعر الضيف، أم لمداعبته؟ وهو يعرف أنّ اليازجي يحب الدعاية والمزاح اللطيف.

أماً الشاعر العراقي /أحمد مطر/
شاعر الهجاء والسخرية الذي مات
معزولاً، ولم ينل حقه في الأهمية والشهرة
والمنزلة، فله مساهمات عديدة في الشعر
الساخر. ففي أحد أشعاره يسخر من عدم
نشر كتاباته، على الرغم من تحاشي
الرقابة وحديث وسائل الإعلام الواشية،
فكتب ومحما، ونَقَحَ ووضع توقيعه ثم

إِنَّهَا سِيَارَةٌ تُسْتَحِقُ هَذَا الْوَصْفِ
السَّاحِرُ بِدُعَابَةٍ تُسَمِّ مَبْلُودَةً وَالْمَرْحُ، إِنَّهَا
سِيَارَةٌ أَصْبَحَ الْحَدِيثُ عَنْهَا عَلَى كُلِّ
لِسَانٍ لِمَا فِيهَا مَلْفَتٌ لِلنَّظَرِ، خَفِيفَةٌ إِلَى
دَرْجَةِ أَنَّهَا تَمْبَلُ إِذَا مَا حَرَكَهَا أَحَدٌ، وَقَدْ
تَحْرَنَ كَمَا الْحَمَارِ وَتَحْتَاجُ إِلَى مَنْ
يُدْفِعُهَا، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَمْشِي لَوْحَدَهَا لِعدَمِ
صَلَاحِيَةِ الْمَكَابِحِ.. إِنَّهَا صُورَةٌ حَسِيَّةٌ
بِوَصْفِ عَلْمِيٍّ سَاحِرٍ.

لـ الشاعر ناصيف اليازجي،
مساهمات جديّة في الشعر الساخر؛ فقد
دُعى إلى إحدى الحفلات، لتناول الطعام
على مائدة مأكّلاتها إفرينجية؛ فقدموا
له الشوكّة والسكين ليستخدماها في
تناول الطعام. فـ كـ رـ قـ لـ يـ لـ اـ ثـ مـ قال
بـ أـ سـ لـ وـ بـهـ السـ اـ خـ رـ وـ هـ يـ صـ الفـ شـ وـ كـ ةـ /
فرـ تـ يـ كـ ةـ / بالـ لـ هـ جـ اـ ةـ الـ لـ بـ بـ اـ نـ يـ اـ ةـ، فيـ شـ يـ بـهـا
تـ اـ رـ اـ تـ اـ رـ ةـ بالـ سـ رـ طـ اـ نـ، وـ تـ اـ رـ اـ تـ اـ رـ ةـ بالـ حـ سـ نـ اـ ئـ اـ ئـ ةـ التي
تـ رـ تـ دـ يـ فـ سـ تـ اـ نـ اـ جـ مـ يـ لـ اـ، وـ تـ سـ يـ رـ بـ قـ بـ قـ اـ بـ اـ

آنـ يـ صـ دـ رـ اـ صـ وـ اـ تـ اـ فـ يـ قولـ:

وبأنملي فرتیکہُ أو شوکہُ

أبداً تدبُّ كأرجلِ السرطانِ
أهوي بها، فتكادُ تسقطُ من يدي
لو لم أدارَكُها بكمي الثاني
فكأنها وكأنني سنيورةٌ
تمشي على القبقاب بالفستانِ

* * *

الجمعي في مجتمعه متمثلاً بالجهل والانكسار والخنوع..

يقول البردوني في قصيدة "أبو تمام وعروبة اليوم" مخاطباً من يسخرون من عماد ومنظره، فهكذا خلقه الله، وأراد أن يشيب في صغره، ويبدو عجوزاً قبل الأوان، فلماذا العجب:

حبيبُ هذا صداقَ الْيَوْمِ أَنْشَدَهُ
لَكُنْ لِمَاذَا تَرَى وَجْهِي وَتَكْتُبُهُ
مَاذَا؟ أَتَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ عَلَى صِفْرِي؟
أَلَيْ وُلِدْتُ عِجْوَزاً، كَيْفَ تَعْجَبُهُ؟

* * *

ربما كان العمى عاملاً رئيسياً لسخرية البردوني، مثلما كان عاملاً مهماً لنفاذ بصيرته ومخيلته. ولكنه استطاع أن يحدث انقلاباً في بنية القصيدة الساخرة في الشعر العربي عامة، وفي الشعر اليمني خاصة، إذ منح القصيدة الفصحى قدرة رائعة على الإبداع الساخر.

لقد انتقد بأسلوبه الساخر ظاهرة الانقلابات العسكرية التي حفلت بها الساحة السياسية اليمنية منذ أواخر السبعينيات إلى أواخر السبعينيات، وازدرائه الحكام الذين تأتي بهم الدبابات إلى القصر الرئاسي، فيقول في قصيدة (13 حزيران):

محاه، حتى لا يعرفه أحد، ومع ذلك رفضت كتاباته، فيقول:

فكرت بأن أكتب شعراً لا يهدُّ وقتَ الرقباء
لا يتعب قلبَ الخلفاء
لا تخشى من أن تشرأهُ كلُّ وكالاتِ
الأنباء

ويكون بلا أدنى خوفٍ في حوزةِ كلِّ القراء
هيأتُ لذلك أقلامي ووضعتُ الأوراقَ
أمامي
وحشدتُ جميعَ الآراء
راجعتُ النصَّ بإمعانٍ فبدتْ لي عدَّةُ أخطاء

قمت بحُكٍ بياضِ الصفحة واستغنىتُ عن
الإمضاء!

* * *

وهناك شاعر اليمن الكبير/ عبد الله البردوني / أحد أعلام الشعر العربي الحديث والمعاصر، وأحد أبرز شعراء العربية سخرية.

فالبردوني ليس شاعراً فكهاً ظريفاً فحسب؛ بل هو شاعر مقاتل يُخذ من السخرية سلاحاً في مواجهة كل صور الظلم والاستبداد والقهر، وعلاجاً في الوقت نفسه للألم المجتمع ومعاناة الناس.. ومثلما سخر من العمى الخاص لديه، فإنه سخر أكثر من العمى

أني لكم يا أصدقائي اللغة القديمة
والكتب القديمة

أني لكم
كلامنا المثقوب كالأخذية القديمة
ومفردات العهر والمجاء و الشتيمة
أني لكم ... أني لكم
نهاية الفكر الذي قاد إلى الهزيمة

* * *

إذا خسرنا الحرب، لا غرابه
لأننا ندخلها
بكل ما يملكه الشرقي من مواهب
الخطابه
بالعنتريات التي ما قتلت ذبابة
بمنطق الطلبة والربابه
السرُّ في مأساتها
صراخنا أضخم من أصواتنا
وسيفنا أطول من قمامتها

* * *

خلاصة القضية
تجزُّ في عباره
لقد لبسنا قشرة الحضارة
والروحُ جاهليه

صور القباني بأسلوبه الساخر،
أسباب النكسة الكامنة في كثرة
الكلام الخطابي وقلة الفعل الحقيقي،

جبينة دبابة واقفة
أهدابه دبابة زاحفة
ليس له وجه، له أوجه
مسوحة كالعملة التالفة
ساقاه جنزيران، أعرقه
إذاعة مبحوحة راجفة
تلغو كما تسفي الرياح الحصا
تحمر كالجنيه الراغفة

يبدو الشاعر الكبير عبدالله البردوني فناناً رافضاً بأسلوب شديد السخرية؛ يقرأ جوانب الحياة من خلال هذا المنحى الفني، ويؤكد يتميز بهذه الخصوصية عن سائر الشعراء العرب. فقارئ شعره في هذا المنحى الساخر أو المستمع إليه يلمس بوضوح تام أن معانيه وصوره وتعابيره وأخيته، إنما جاءت من صلب واقعه المادي المعاش وتجربته الشعرية الخاصة المدهشة، حتى يستحيل التصديق بسهولة أنَّ فاقد البصر يمتلك هذه القدرات الوافرة على التعبير الناقد والساخر بصور رائعة.

وكما سخر البردوني من أصحاب السياسة، كذلك فعل الشاعر نزار قباني، ومن أشهر قصائده السياسية الساخرة، تلك القصيدة التي تحمل عنوان "هوامش على دفتر النكسة" أي نكسة حزيران عام 1967، يقول في بعض أبياتها:

كُنْ غَامِضًا ...
 في كُلّ مَا تَكْتُبْ
 وَالزَّمْ مَبْدأ التَّقْيَة

يا لها من نصائح مهمّة جدًّا . جدًّا ،
 من يريد فعلاً أن يكون شاعرًا نفطياً ،
 ينال مكانة في المال على حساب
 الكرامة والجاه . إنّه الشاعر الذي
 يكون كالخادم المطواع ، الذي لا يسمع
 ولا يتكلّم ولا يرى ، إلا بأمر سيدّه ، ولا
 يجاهر بهويته القومية ، أو بطلب الحرية
 والمساواة ، فهذه كلّها من المحرّمات في
 الحظائر النفطية ، وإلا قطع رزق الشاعر
 وضاق عيشه .

والخلاصة: لقد أخذ الشعر الساخر
 حيّزاً واسعاً بين فنون الشعر ، إذ كانت
 السخرية الشعرية المستخدمة في شعر
 الشعرا ، تمثّل الواقع العربي ، قد يمه
 وحديّته ، وتقدّم صوراً واضحة عن قضايا
 هذا الواقع ، وتساعد في الاطلاع على
 بعض المشكلات غير المنظورة من جوانب
 مختلفة . وإن كانت السخرية في الشعر
 الحديث أقلّ مما كانت عليه ، نتيجة
 تغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية
 والسياسية . فالسخرية تتّبّع من أيّة
 حرّكة أو كلمة أو موقف ، ولا تقتصر
 على مجال محدّد ، فإنّ أيّ موضوع له
 صفة عمومية أو خصوصية ، يمكن أن
 يكون مادة صالحة للسخرية بشكل
 يختاره الشاعر .

والتباهي بالشعارات الطنانة بالأصوات
 العالية والسيوف الطويلة عديمة الجدوى .
 ولذلك كانت النتائج سلبية كمن
 يطلبون وي Zimmerman في الهواء ولم يسمعهم
 أحد . وكيف لا ، وما زالت العقول تفكّر
 بمنطق العصر الجاهلي ، وتدعى التقديم
 الحضاري ، وهي بعيدة عنه .

وبلغة ساخرة عميقه المعنى والتأثير ،
 يقدم نزار قباني نصائح مهمّة إلى كلّ
 شاعر أو كاتب يريد أن يكون في
 حظيرة الأدب النفطي ، ويحظى بمكانة
 مرموقة لدى أصحاب النفط وأمرائه ،
 فيقول :

**لو شاءت الأقدار أن تكون كاتباً
 يجلس تحت جبة الصحافة النفطي**

فهذه نصائحني إليك :
 - أدخل إلى مدرسة ثعلم الأمية
 - أكتب بلا أصابع .
 وكأنّ بلا قضيبة
 إمسح حذاء الدولة العليّة
 إشطب من القاموس كلمة الحرية
 لا تتحدّث عن شؤون الفقر ،
 والثورة ،

**في الشوارع الخلفية

**لا تستقد أجهزة القمع ، ولا تضع
 أنفك في المسائل القومية .**

مراجع البحث

- أبو موسى، محمد محمد (2005) الشعر الجاهلى دراسة في منازع الشعراء، مكتبة وهبة للطباعة والنشر ، القاهرة.

- البوغبيش، عبد الكريـم (2010) السـخرية فيـ الشـعرـ الـحرـ، نـزارـ قـبـانـيـ نـموـذـجاـ، 22ـ أـيلـولـ <https://www.diwanalarab.com/السـخريةـ-ـفيــالـشـعرــ>

- تاج الدين، أحمد (2001) نـزارـ قـبـانـيـ وـالـشـعـرـ السـيـاسـيـ، الدـارـ الثقـافـيـةـ لـلـشـرـ، القـاهـرـةـ.

- الجبوري، عبد الرحمن (2011) السـخريةـ فيـ شـعـرـ الـبرـدـونـيـ 'ـدـرـاسـةـ دـلـالـيـةـ'ـ، المـكـتبـ الجـامـعيـ الحـدـيثـ، الإـسـكـنـدـرـيـةـ.

- راغـبـ، نـبـيلـ (2000) الأـدـبـ السـاخـرـ، مـهـرجـانـ القرـاءـةـ لـلـجـمـيعـ، القـاهـرـةـ.

- الصـفـارـ، إـبـتـسـامـ مـرـهـونـ (2005) آـفـاقـ الأـدـبـ فيـ العـصـرـ الـأـمـوـيـ، دـارـ حـنـينـ لـلـشـرـ وـالـتـوزـيـعـ، عـمـانـ – الأـرـدنـ.

- ضـيـفـ، شـوـقـيـ (2008) تـارـيخـ الأـدـبـ الـعـرـبـيـ: العـصـرـ الجـاهـلـيـ، دـارـ المعـافـ بـمـصـرـ.

- الطـبـاعـ، عـمـرـ فـارـوقـ (1991) موـاـقـفـ الأـدـبـ الـأـمـوـيـ: تـحـلـيلـ، درـاسـةـ، منـتـخـابـاتـ، دـارـ القـلمـ، دـبـيـ.

- طـلـيمـاتـ، غـازـيـ (2018) الشـعـرـ فيـ العـصـرـ الـعـبـاسـيـ الـأـوـلـ، دـارـ قـدـيلـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـشـرـ وـالـتـوزـيـعـ، دـبـيـ.

- عبد الفتاح، سـيدـ صـدـيقـ (1993) حـيـاةـ وـأـعـمـالـ شـعـرـاءـ الأـدـبـ السـاخـرـ، الدـارـ المـصـرـيـةـ الـلـبـانـيـةـ، القـاهـرـةـ.

- عبد الوارث، حـسـنـ (2017) الـبـرـدـونـيـ ذـاـكـرـةـ الشـعـرـ السـاخـرـ، يـنـايـرـ /ـ كـانـونـ الثـانـيـ <https://www.alkhaleej.ae/ملحق/البردوني- ذاكرة- الشعر- الساخر>

- العـضـيـبـاتـ، دـعـاءـ (2020) أـشـعـارـ الـهـجـاءـ السـاخـرـ فيـ العـصـرـ الـعـبـاسـيـ، 0ـ تمـوزـ /ـ يـولـيوـ <https://e3arabi.com/الآدـابـ/أشـعـارــ الـهـجـاءــ السـاخـرــ فيــ الـعـصـرــ>

- عـطـيـةـ، عـادـلـ (2013) الـبـحـثـ عنـ الشـعـرـ السـاخـرـ، دـيـوانـ الـعـربـ، 14ـ كـانـونـ الثـانـيـ <https://www.diwanalarab.com/الـبـحـثــ عنــ الشـعـرــ السـاخـرــ>

- العـفـيفـ، دـلـيمـةـ حـسـينـ (2016) السـخرـيـةـ فيـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ الـمـعاـصـرـ؛ مـحمدـ المـاغـوطـ وـمـحمـودـ درـوـيـشـ وـأـحـمـدـ مـطـرـ نـماـذـجـ، عـالـمـ الـكـتـبـ الـحـدـيثـ، إـربـدـ، الـأـرـدنـ.

- قباني، نزار (1999) الأعمال السياسية الكاملة، ج6، منشورات نزار قباني، ط2، بيروت.
- محمد، ريم (2022) شعراء الهجاء في العصر الجاهلي، المرسال، 24 آذار /
www.almrsal.com/post/1155673
- مواسي، فاروق مواسي(2017) من الشعر الساخر، (ديوان العرب)، 9 تشرين أول ،
www.diwanalarab.com/%d9%85%d9%86
- يحيى، عمر (2021) أحمد مطر.. شاعر الهجاء والسخرية الذي مات معزولاً، 15 كانون الثاني - يحيى، عمر (2021) أحمد مطر.. شاعر الهجاء والسخرية الذي مات معزولاً، 15 كانون الثاني /<https://www.qallwdall.com>



السخرية في مسرح برناردشو

أ. عيسى إسماعيل

قاص وروائي وعضو اتحاد الكتاب العرب في سوريا

مقدمة:

لعل أبسط تعريف للأدب الساخر هو النقد الذي يثير الضحك والاستهزاء، وهذا معناه أنّ غرض السخرية هو أولاً النقد، وثانياً الإضحاك. والإضحاك هنا ليس عادياً، بل له طعم مر، كما يقولون، وربما كان ضحكاً كالبكاء، (وشر البلية ما يضحك) وهو ضحك يعبر عن الرفض والغضب والاستهجان لأن ما يحصل ليس صحيحاً ...!

ولها جذورها، ولعل الأميركي (أمبروز بيرسي) الذي ظهر في القرن التاسع عشر، أحد الكتاب الأميركيين البارزين، وهو ساخر، وله كتاب بعنوان (قاموس الشيطان)، الذي ينتقد فيه، بمرارة المجمع الأميركي، بعاداته وتقاليده، وبصفة الضحالة وليس له تاريخ، وهو خليط غير متجانس من المهاجرين، وفي الأدب الروسي ظهر (أنطون تشيخوف) والكاتب الأكثر سخرية من خلال قصصه ومسرحياته، أما الأديب الانكليزي الشهير جورج برنارد شو فقد وصفه النقاد بأنه

جاء في (المعجم الوسيط) أن (سخر) منه وبه أي هزء به واستسخر منه أي نفس المعنى (سخر) و(السخرة) من يسخر من الناس و(المسخرة) ما يجلب السخرية والجمع (مساخر) و(السخرية) أي المزء.

جاء في معجم اللغة الإنكليزية (Longman) عن المادة ما يلي:

satire قدح، ذم، هجاء

satirical هجائي

satirist كاتب ساخر

Satariz يهجو، يسخر من

والسخرية، في الأداب العالمية قديمة

الكاتب الذي سخر في نتاجه الأدبي من كل شيء، من الناس ومن نفسه ...!
جورج برنارد شو:

ولد جورج برنارد شو في السادس والعشرين من شهر أيلول عام 1856 وتوفي في الثاني من تشرين الثاني عام 1950

وخلال الستين سنة الأخيرة من حياته كتب ستين مسرحية، ففي أعماله ساخرة ودعابة وتهكم يعبر عن نقه اللاذع للعادات والتقاليد والسياسات في عصره وكان يرى أن المتهم الرئيس في أعمال القتل والإجرام والسرقة والخيانة بأنواعها، هو الفقر، وبهذا، وبشكل كوميدي ساخر كان يجعل من المجرمين ضحايا ومن المجتمع المتهم. ولعل أهم مسرحياته الساخرة التي لازالت تقدم على المسارح في كل دول العالم مسرحيات: الإنسان والسلاح، المليونيرة، الإنسان والسوبرمان، بيوت الأرامل، بجماليون / الميجور بريارة .. الخ ونسنعرض بعض هذه المسرحيات من المنظور النقيدي الساخر وعنابر السخرية فيها، كنماذج من أعمال شو المسرحية الساخرة.

الإنسان والسلاح (Arms and themam)

في هذه المسرحية ثمة سخرية واستهجان ورفض لمبررات الحرب، فإذا كانت الحرب لن تدوم إلى الأبد وإذا كان السلام سيأتي والصلاح سوف يحل

لماذا هذه الحروب العبثية؟! قد تكون كفراً ومشاهدين، مع هذا الطرح وقد تحفظ عليه أو نرفضه لكن لا نستطيع إلا أن نحترم وجهة نظر المبدع برنارد شو والمسرحية عن الحرب الصربية - البلغارية.

أبطال المسرحية (رينا) وهي بلغارية وخطيبها (سارانوف) وهو مقاتل بلغاري وتقائماً أن مقاتلاً صربياً (عدواً) يتسلل إلى غرفة نومها، وهو النقيب بلوتشي وعندما تلاحقه القوات البلغارية يجد باب منزل (رينا) مفتوحاً ويجد بنفسه في غرفتها ..! وعندما تلاحقه القوات البلغارية، وتسأل عنه رينا، تذكر هذه وجوده وتأويه في غرفتها.

إن بلوتشي، ضد الحرب، كما يصرح لها، بينما هي تقاصر بأن خطيبها (سارانوف) شجاع في مواجهة الصرب وبعد جدال، ساخر، ومثير، يستطيع بلوتشي أن يقنع رينا بعدم جدو الحرب وأن الناس خلقوا ليعيشوا معاً ويتعاونوا وليس ليقتلوا بعضهم بعضاً...! وتكلون المفاجأة السارة والمدهشة عندما يفتح بلوتشي حقيقته ويخرج منها الشوكولا بدلاً من الذخيرة ورينا تعشق الشوكولا وتعشق الضابط العدو ...

تسهل خروجه من المنزل بإعاراته معطفاً قديماً، وعندما يعود ليعيده المعطف إليها، بعد انتهاء الحرب، يتعرف على والديها ويعجب بأسرتها. يبتعد

والمفارقة المثيرة ليس فقط للسخرية بل للاشمئزاز هي وصفه البيوت على أنها (مرحية وجميلة، قوية، واسعة) في حين هي (مزعجة وقبيحة، هشة البنيان وضيقة)

إن استخدام برنارد شو للثائيات الضدية، هنا بشكل فني على لسان (سارتورياس) ويرتبطها الواقع المكشوف فيما بعد للمشاهد أو القارئ، ما بين كلام سارتورياس والواقع، تضاد، مدهش ومراارة وتبدو الصورة كما يلي :

الصورة الأولى: سارتورياس في وصفه للبيوت التي بيعها: مرحة + آمنة + جميلة + قوية

الصورة الثانية : الواقع الذي يشاهده المشاهد أو يدركه القارئ أنها بيت : مزعجة + تقاد تهار + قبيحة + ضعيفة. يبدو سارتورياس في واد، كنموذج للأثرياء المنافقين، وفي واد آخر ضحاياه من الناس الفقراء، كأكثرية، وهم بسطاء مسحوقون، همّهم الحصول على مأوى..!

وابنة سارتورياس الآنسة (بلانش) تتزوج من هنري شريك والدها في مشاريعه ويبدو في المشاهد الأولى للمسرحية، هنري على أنه مثقف، وخلوق، ويسمع بلانش عبارات الغزل والحب.. فتقع في حبه.. غير أنه بعد فترة يتحول إلى النفاق والخديعة بعدما يصبح

خطيب رينا عنها، ويعلن إلغاء الخطوبة، ويقدم (بلوتشي) لخطبة رينا فقد أحبته فيه (جندى الشوكولا) وليس (جندى الحرب)، وهذا المصطلح الذى أورده شو في المسخرية، هو اليوم مصطلح معروف في الأدب والسياسة في أوروبا، (جندى الشوكولا) هو تعبير عن الجندي الذي لا يريد الحرب وغير مقتنع بها، وهو مصطلح مهين وساخر ممن يرتدون اللباس العسكري، ولا يحملون صفات الجنديه من حزم وشراسة وصرامة.

ففي / الإنسان والسلاح / يتحول المقاتل الى عاشق رومانسي مقبل على الحياة وهذا التحول في حياته وفكره، هو ذروة السخرية والهزء، ليس منه بل ممن أرسلوه إلى الحرب ومن فكرة الحرب العبثية التي لا مبرر لها طالما أن النزاع بين صربيا وبلغاريا تم حلّه بالحوار... !!

2- بيوت الأرامل:

يسخر برنارد شو في مسرحيته (بيوت الأرامل) من طبقة التجار الذين همهم الأرباح وتكديس الأموال، من خلال الخداع والنفاق، ضحايا هؤلاء الناس الفقراء، وبطل المسخرية (سارتورياس) هو نموذج التاجر الذي يمتص دماء الفقراء، فهو يتاجر بالبيوت، وهي بيوت صغيرة، اعتادت الأرامل أن تسكنها، قبيحة الشكل، وضيقة.

وتحصل على مساعدات مالية من أجل مشروعها الهدف إلى إعادة الناس للفضيلة ومحاربة الشيطان.

لكن المفارقة المدهشة غير المتوقعة لها، وللمشاهدين، أن من يرسل المال والمساعدات لها ولجيش الخلاص هو والدها المليونير الذي معبده المال، تاجر السلاح الشهير، الذي أصبح من أثرياء عصره بينما تجمع ابنته التبرعات من أجل السلام والوئام وهذا يسبب لها صدمة نفسية واجتماعية مما يجعلها ترك (جيش الخلاص) وتعيد النظر في عملها كله.

لعل برنارد شو أكثر المسرحيين جرأة في تعرضه لعملية (تبسيط الأموال) والشيطان عنده هو الفقر وعلى بربارة أن تحارب الفقر، فعندما يعيش الإنسان حياة كريمة لا عوز فيها، يستطيع أن يتعلم في المدارس والجامعات ويصبح مثقفاً، ولا يخضع للاحتياز من قبل الطبقة الارستقراطية التي تملك وتحكم.

4- المليونيرة :

هذه المسرحية تسلط الضوء على السيدة المليونيرة (أغنى امرأة في إنكلترا) كما يصفها برنارد شو، تطلب المليونيرة من المحامي (ساجور) أن يكتب لها وصية توصي فيها بكل ما تملك لزوجها ونكشف من خلال الحوار التالي، على سبيل المثال، الفكاهة، والتشويق، والغرابة:

شريكًاً لوالد زوجته (سارتورياس) هذا التحول يضفي على المسرحية سخرية ومراة واندهاش لدى المشاهد أو القارئ لأن:

هنري قبل أن يكون شريكًاً لسارتورياس وكما يصفه الناس وخطيبته بلانش كان محباً، مخلصاً لخطيبته وشريفاً، وبعد الزواج وشراكة سارتورياس يصبح: مخادعاً، سيئاً خائناً للزوجة وللأفكار التي كان يطرحها وكان يبدو أنه متشبث بها، فمال همه الوحيد وتلخص عبارة برنارد شو المسرحية بقوله (عندما يتكلم المال تحرس العواطف)

والأرامل في المسرحية، نموذج للناس الذين فقدوا أزواجهم أو زوجاتهم، فقراء، بسطاء، إلى درجة السذاجة، هم فريسة التجار وضحايا الفارق الطبقي الذي راح يتسع بين الأثرياء (القلة) وبين الفقراء (أكثري المجتمع) مع تقدم الثورة الصناعية الأوروبية.

3- الميجور بربارة:

يسخر برنارد شو في هذه المسرحية من جيش الخلاص وأعضائه، شديدي الحماس للدين، وهذا ما يظهر في أحاديثهم وخطبهم وأغانיהם وتراثيلهم ولباسهم، فهولاء يحاربون عدوهم الدائم (الشيطان) دون أن يشاهدوه، وبربارة تحمل رتبة (رائد) في هذا الجيش الذي هو فصيل اجتماعي له أفكاره وأهدافه،

وعندما يحضر زوجها وعشيقته إلى مكتب المحامي تكون المفاجأة أن زوجته سبقة إلى هنا ويدور حوار ساخر واتهامات وكلمات نابية ينتهي بالصالحة بين الزوج والزوجة، ولا يتضمن المحامي أتعابه بل تسجلها المليونيرة دينناً عليها..! هنا في المسرحية، المتهم هو المال.. الذي مصدره الاستقلال وهو يدمر البيوت ويجلب الشقاء

خاتمة:

يطرح برنارد شو في مسرحياته الكوميدية قضايا المجتمع وتقاضاته بروح ساخرة، مرحة، يُضحك المشاهدين لكنه ضحك كالبكاء، فالهدف هو الإضحاك وأيضاً النقد اللاذع فهل يوصل الفكرة على طبق من فكاهة، كما يقول الناقد جورج ستيفارت وهو ماهر في استخدام الحوار النابض بالدعابة والنكتة والنقد.

/السيدة: هل أنت المحامي التافه ابن أخي المحامي السابق بونتفكس ساجور؟
ساجور: نعم ولكن أنا لم أعلن عن نفسني بأنني تافه ... !!

السيدة: ما دمت رحلت لفترة إلى استراليا فأنت تافه .. المهم أريد أن أترك أملاكي لزوجي... لعلك لا تخطئ في هذا الأمر اليسيير؟!!

ساجور: هل تفضلين بالجلوس؟!
السيدة: كلا فأنا قلقة، ولسوف أجلس عندماأشعر بالتعب.

ساجور: كما تحبين لكن من الضرورة أن أعرف اسم زوجك؟

السيدة: زوجي مغفل وسفيه ويجب أن تكتب هذا في الوصية وأن تضيف بأنه دفعني إلى الانتحار

ساجور: ولكنك لم تتحرري بعد ..!
السيدة: سأنتحرر بعد التوقيع على الوصية /

المراجع:

- 1 مسرحيات شو الواردة في الدراسة، بالإنكليزية، طبعة دار لونغمان، لندن، 1990 -2000.
- 2 من السخرية إلى النقد، نجلا طبال، دار الفكر، بيروت 2012.
- 3 برنارديشو ، حياته ومسرحه، دار المعارف، القاهرة.
- 4 دراسات في الدراما، د.عادل عبد الله، بالإنكليزية، مطبوعات جامعة دمشق، 1976.



السخرية الجادة

في الأدب

أ. نبوغ أسعد



وتتشابه الحالة النفسية في الأدب الساخر الجاد عند كتاب الشعر وكتاب القصة فنجد عند القاص عبد الله النافاخ في مجموعته وردة عند الغروب انتقاء ألفاظ تجعل القارئ بين السخرية وبين الانكماش أمام الحالة المطروحة وأحياناً بين التقزز فيقول في قصته القصيرة جداً وهي من مكونات المجموعة..

تثاءب بشناعة، فدخلت ذبابة فمه
تائهة جالت في تلافيف دماغه شاهدت
مناظر مفزعة لم تمر بخيالها يوماً،
انطلقت للفرار سالكة طريق دخولها
فعض عليها ناجذبه، ثم قذف بها إلى
عتمة أمعائه.

في القصة ينتقي القاص ألفاظه التي استعارها من الواقع بشكل دقيق ولكن يضع الحالة ما بين ضحك وانكماش وجدية وبعض الدهشة التي تنقل نهاية

يمكن أن يكون الأدب الساخر في مقدمة ما وصل إليه الأدباء، وخاصة إذا امتلك هذا النوع من الأدب ما يدعه قادرًا على الإقناع فقد يثير السخرية ولكن كثيراً ما تصدم هذه الإثارة ، ويقف السامع أو القارئ مدھوشًا أو متلهفًا بعض الأحيان، ولا يمكن أن يكون الأدب الساخر في هذه المرتبة إلا إذا امتلك الأديب مقدرة متجاوزة وخارقة تبعده عن المباشرة أو السرد الضعيف .وغالباً ما يغير صاحب الموهبة في طرحة هل هو ساخر أم هو جاد ؟؟ كقول بشار ابن برد:

فبت أبكيي من حب جاريه
لم تجزني نائلاً ولم تك
طابت لنا مجلس على عجل
ثم انقضى يومنا فلم يعد

الشاعر داود في قصيدة أطروحة الشرف الخسي والقاص مزهر في قصة درويش لم يكن مصاباً . بـ (شيزوفرينيا) وهذا نمط غريب في الأدب الساخر يضاف إلى ما هو جديد ومتكرر في الأعوام التي اشتغل عليها الأدباء وهذا نجده أيضاً في قصة على حين حمة للأديب رياض طبرة الموجودة في مجموعة أسرار شامية وفي قصة أيمن الحسن الكتابة ورغيف الخبز من مجموعته "عن رجل طيب بينكم" وهاتان القستان تشكلان انعطافاً ليس قليلاً في الأسلوب القصصي الذي يمزج السخرية بالواقع

وإذا عدنا إلى الماضي نجد في العصر الحديث أيضاً وليس بعيداً سخرية ممزوجة بالجذل والحزن ورفض الواقع كما هو عند الشاعر إبراهيم طوقان الذي سخر من قصيدة أحمد شوقي والتي يقول فيها

قم للمعلم وفه التبجيلا

قاد المعلم أن يكون رسولًا

نجد أن إبراهيم طوقان يسخر من هذا المنطق الواقعي لأنه ليس غير ذلك في مهنة التعليم وهذا يشير بالدلالة القاطعة إلى أن الشعر أذنه أصدقه، لأن إبراهيم طوقان عاش الواقع وجربه فوجد فيه كثيراً من المتاقضات عكس أحمد شوقي الذي تكلم وفق ما يريد أن

الموضوع إلى فلسفة واقع معين، وقد يطرح هذا الواقع تساؤلات كثيرة عن ماهية المعنى لتذهب إلى أكثر من اتجاه أحياناً تسببه مخلوقات ضعيفة كالذبابة.

وفي أحيان كثيرة يخرج الشاعر بسبب الألم من جده الأدبي ومن كتاباته التي تحمل آلام الوطن والمجتمع برغم أن هذا الشاعر لديه ما يريد من أساليب الكتابة والإبداع وهذا ما دفعه ليهتم بناسه أولاً ..ونجد هذا النوع وإن كان قليلاً في شعر الشاعر مروان الخطاط الذي، نجد في مسيرته الشعرية كل المهموم ثم يتأنم ليكتب قصidته الجرس فيقول:

لحماري فضل لا ينسى ..هو ظلي يوم
يعز الظل ..لا تفوه الفنم ..تلتف عليه
وتلتجم ..لحماري ميزة بعض الخيل.

هنا يختلط الجنون الاجتماعي
بسبب الغلط بالسخرية التي أتى بها
الشاعر منعكسة عن الواقع وبما يريد له
أن يكون.

وفي المجموعة الشعرية طرق بلا
عشاق للشاعر أحمد يوسف داود
والمجموعة القصصية ساعتان ليس إلا
للقاص نزار إسماعيل مزهر نجد سخرية
غاضبة يلتقي فيها الاشنان في أسلوب
الطرح والاشتمئاز والتحدي كما فعل

بأهمية من يعارضه ويسخر من الواقع الذي يعيشه هو ليقنع شوقي كي يجرب التعليم ليري النتائج.

فيقول له:

لو جرب التعليم شوقي ساعة
لرأي الحياة مشقة وخمولا

فالأدب الساخر لا يتوقف عند أديب معين بل هو مستمر بأنواعه المختلفة منذ أن وجد الأدب والثقافة إلى يومنا هذا بتفاوت ومستويات مختلفة.

فعلى سبيل الذكر لكتاب الأدب الساخر فقد قال الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني الذي كتب المقالات الساخرة ونشرها في ملحق الأنوار ضمن مجلة الصياد .. إن السخرية ليست (تكتيتاً) ساذجاً على مظاهر الأشياء بل هي نوع خاص من التحليل العميق وإن لم يكن الكاتب يمتلك نظرية فنية فإنه سيصبح مهرجاً.

كما قدم الكاتب المصري محمد عفيفي موسوعة ثقافية متقللة بسبب عشقه وولعه بالرحلات والتأمل مما جعل نظرته ذات فلسفة شديدة للأشياء وما برع فيه .. التفاحة والجمجمة وهي رواية .. وترانيم في ظل تمارا أيضاً رواية .. وتائه في لندن وابتسم من فضلك وهي مجموعة مقالات .. وهو من أعضاء شلة الحرافيش التي تكونها عميد الرواية العربية نجيب

يكون وهذا أيضاً ليس سلباً في الشعر وما أتى به طوقان ليس سلباً أيضاً، فيرد على قصيدة شوقي بقوله:

ويقاد يفتقني الأمير بقوله

كاد المعلم أن يكون رسولا
إلى قوله:

حسب المعلم غمة وكآبة
مرأى الدفاتر بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صلحت

وجد العمى نحو العيون سبيلا
نجد أن طوقان استخدم في مخاطبة شوقي أسلوب المعارضة الشعرية الذي درج في جماليات الشعر منذ القدم وغالباً ما كان يأتي بداعي بداعي المحبة لأن شوقي استخدمه أيضاً مع الشاعر ابن زيدون الأندلسية.

في قصيدة المعلم طوقان استخدم البحر الكامل كما فعل شوقي تمام وأعتقد أن استخدام هذا البحر لم يكن مقصوداً بل جاء عفويًا إضافة إلى حرف اللام المطلقة التي جاءت في نهاية الأبيات الشعرية والتي تدفع قارئ الأبيات إلى إطلاق ضحكات مؤهلاً بالإعجاب والمحبة للشاعرين وإن اختلفا على فكرة الموضوع فهما متفقان في جمال قصيديهما سيما أن طوقان جمع بين الواقع واستثمار المحب الذي يعترف

ومن أهم الكتاب أيضاً يوسف معاطي من مصر الذي كتب السفاراة في العمارة وطباخ الرئيس والكثير مما قدم كأفلام ومسلسلات على شاشة التلفزيون وأحمد رجب أيضاً من مصر محمود شقير من فلسطين أحمد قديل من السعودية .

وزكريا تامر وشريف الراس.. فالأدب الساخر عندما يمتلك القدرة هو أدب مهم في حياة الإنسان .. ولا يخفي السخرية الجادة في الأدب.

محفوظ. ومن الأردن الكاتب محمد طمليه ويوسف الغيشان وإبراهيم جابر ولطفي عثمان عن كتابه دبابيس.

ولا ننسى قدرات المرأة على استباط هذا النوع الجميل من الأدب خلال معايشتها اليومية مع أولادها ورصد مواقفهم بقدرة ربطة مع الواقع وبفلسفه عاطفية مع إبداء الرأي والنصح. فها هي الفنانة التشكيلية وكاتبة السيناريو سارة هجرس شاركت في العديد من البرامج الكوميدية كالبلاتوه والوصية والكاتب عزوز أمين.



الجذر الفلسفـي للأدب

أ. وجدان أبو محمد

تشتغل في الحدس والانفعال والتخيل
وتتكسّى بالكلمات على نحو خلّاق،
وآخر يجهد في خلع أثواب البلاغة
والاستعارة والمجاز إمعاناً في فضح
الجوهر.

وحيث أنّي أحسب أنَّ السحر الذي
خلد الكثير من الأعمال الأدبية إنما هو
العمق الفلسفـي الذي يلوح بالحقيقة، وأنَّ
أدب ما بعد الحداثة مدين بشكلٍ ما إلى
جيناته الفلسفـية الأصيلة، وقد أذهب أبعد
من ذلك لأفترض أنَّ الكثير من الأعمال
الفلسفـية التي وصلتنا إنما خلدها الاحتواء
الأدبي وأنَّ الفلسفـة أيضاً وبشكلٍ ما
مدينة لجذرها الأدبي البعيد، فعلـى سـبيل
المثال خلـد العـديد من الفلاسـفة بـسبـب
فرادة كتابـتهم الأدـبية لأعمالـهم بـصرف
النظر عن محتواها الفلسفـي، كفـلسـفة
الإمبراطور الروماني مارـكوس أوريليوس
وهي رواـقـية غيرـأصـلـية.

ما الذي يجعل الكتب العظيمة
خالدة؟

السؤال شائك وشائق ومرـيك،
إجابـته تتطـوي على جوانـب متعدـدة، وقد
نـستطيع إجمالـها في عـاملـين اثنـين،
حملـتها من المعـنى من نـاحـية، والسمـوـ
الجمـاليـ الفـنيـ من نـاحـية ثـانـية، فـلوـ
كـانـتـ الآـدـابـ وـالـفـنـونـ هـيـ الـأـبـدانـ،
وـالـجـوـهـرـ الـفـلـسـفـيـ منـ أـسـئـلـةـ وـأـفـكـارـ هـوـ
الـرـوـحـ، فـإـنـ اـتـحادـ الجـسـدـ القـوـيـ المـضـادـ
لـلـمـوـتـ بـالـرـوـحـ الـوـهـاجـةـ الـوـضـيـةـ هـوـ وـحـدهـ
ما يـمـنـحـ الـخـلـودـ معـناـمـ.

الفـلـسـفـةـ وـالـأـدـبـ شـكـلانـ مـتـجاـوـرانـ
مـنـ أـشـكـالـ إـنـتـاجـ الـفـكـرـ الإـنـسـانـيـ،
وـتـرـسـيمـ الـحـدـودـ بـيـنـهـماـ لـيـسـ مجـحـفاـ
وـجـائـراـ وـحـسـبـ وإنـماـ لـاـ تـخـفـىـ وـمـنـذـ
الـعـصـورـ الإـنـسـانـيـةـ الـأـوـلـىـ الـعـلـاقـةـ الـجـدـلـيـةـ
الـشـائـكـةـ التـيـ أـلـهـمـتـ الـبـاحـثـينـ وـالـدـارـسـينـ
طـوـيـلـاـ بـيـنـ اـشـتـغـالـلـيـنـ أـحـدـهـمـاـ ظـاهـرـةـ فـنـيـةـ

أولاً : طور الاندماج والتمايز:

مذ وجد الإنسان في هذا الكوكب وهو يسعى جاهداً لفهم ماهية وجوده الملتبس الحالـل بالآلام والخيـبات، وقد ساهم المـخيـال المـنـقـد في نـجـاتـه دومـاً، ذاكـ الذي تلهـمهـ الغـيـبيـاتـ وكلـ ماـ هوـ بـعـيدـ وـغـامـضـ وـمـجهـولـ، هـذاـ الحـيـزـ الـهـائـلـ الـذـيـ يتـولـىـ عـلـىـ الدـوـامـ تـقـسـيرـ الـحـيـاةـ وـتـحلـيلـهاـ وـاحـتوـاءـهاـ، فيـ الطـفـولـةـ الـبـشـرـيـةـ الـأـوـلـىـ مـلـأـتـهـ الـخـرافـاتـ وـالـأـسـاطـيرـ وـالـحـكـاـيـاتـ الـمـرـضـيـةـ، إـذـ كـانـتـ الـإـنـسـانـيـةـ يـقـبـضـةـ الـمـيـثـوـلـوـجـيـاـ حـيـثـ مـرـحـلـةـ اـزـهـارـ الـخـيـالـيـ وـتـصـدـيرـهـ إـلـىـ وـاقـعـيـ، وـذـلـكـ بـنـسـجـ الـأـوهـامـ وـالـخـرافـاتـ يـقـيـمـ فـيـ عـالـمـ مـنـ الـحـكـاـيـاتـ الـمـهـيـبةـ، حـيـثـ الـأـسـاطـيرـ الـمـرـيـحةـ دـيـنـ أـوـلـيـ لـلـبـشـرـ" وـمـنـ الـبـدـيـهـيـ أنـ الـمـشـتـلـيـنـ فـيـ تـلـكـ الـحـبـكـاتـ الـدـرـامـيـةـ هـمـ الـمـؤـلـفـونـ الـشـعـرـيـونـ الـمـأـخـوذـونـ بـالـتـصـوـيرـ الـعـاطـفـيـ وـالـخـيـالـيـ، يـقـيـمـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ كـانـتـ الـأـسـاطـيرـ الـلـحـمـيـةـ إـلـىـ حـيـنـ هـيـ الـبـوـتـقـةـ التـيـ تـصـهـرـ فـيـ هـاـيـهـ الـاشـتـغالـاتـ الـفـكـرـيـةـ وـالـشـعـورـيـةـ وـالـتـبـيـرـيـةـ فـصـبـ حـكـمـاءـ الـشـرـقـ مـثـلاـ رـؤـاهـمـ الـفـلـسـفـيـةـ يـقـيـمـ فـيـ مـنـظـومـاتـ شـعـرـيـةـ، مـثـلـ "مـلـحـمةـ جـلـجـاميـشـ" السـوـمـرـيـةـ يـقـيـمـ "الـأـلـفـ الثـانـيـ قـبـيلـ الـمـيـلـادـ، وـ"الـشـهـنـامـةـ" الـفـارـسـيـةـ أوـ ماـ يـعـرـفـ بـنـشـيدـ الـفـرـسـ الـبـطـولـيـ، وـالـإـلـيـاذـةـ وـالـأـوـديـسـةـ مـلـحـمـتـيـ هـوـمـيـرـوسـ عـنـدـ الـيـونـانـ، وـكـذـلـكـ "الـرـاجـفـيـداـ" الـمـحـمـلـةـ شـعـرـيـاـ بـالـمـيـثـوـلـوـجـيـاـ الـهـنـدـيـةـ، ثـمـ مـاـ لـبـثـتـ الـفـلـسـفـةـ أـنـ تـحرـّكـ كـنـمـطـ منـ الـحـكـمـةـ الـخـالـصـةـ لـكـنـهاـ لـمـ

يـقـولـ سـعـيدـ نـاشـيدـ فـيـ كـتـابـهـ "الـتـدـاوـيـ بـالـفـلـسـفـةـ": "حـينـ يـقـومـ التـفـكـيرـ الـقـدـيـ بـنـزـعـ السـحـرـ عنـ الـأـشـيـاءـ، فـإـنـهـ يـحـمـيـنـاـ مـنـ خـيـبـةـ الـأـمـلـ"، إـذـ جـوـهـرـ الـفـلـسـفـةـ يـبـدوـ مـتـاقـضاـ مـعـ وـظـيفـةـ الـأـدـبـ الـتـيـ تـعـتـمـدـ عـلـىـ استـخـلـاصـ سـحـرـ الـأـشـيـاءـ أوـ خـلـقـهـ، وـأـهـمـ وـظـيفـةـ لـلـأـدـبـ بـوـصـفـهـ أـحـدـ الـفـنـونـ هـيـ الـوـصـولـ إـلـىـ الـحـكـمـةـ عـبـرـ طـرـيقـ جـمـالـيـ، وـذـلـكـ عـنـ طـرـيقـ تـحـوـيلـ الـعـادـيـ وـالـيـوـمـيـ إـلـىـ مـبـهـرـ وـعـظـيمـ.

وـبـالـفـعـلـ فـقـدـ وـصـلتـ حـالـةـ الـصـرـاعـ حـدـ الـإـقـسـاءـ وـالـإـلـغـاءـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـايـينـ، فـالـفـلـسـفـةـ الـعـقـلـانـيـ الرـصـيـنـةـ الـمـشـتـلـةـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ وـالـأـدـبـ الـعـاطـفـيـ الـعـاصـيـ الـمـشـتـلـ فـيـ الـوـهـمـ، كـلـاـهـمـاـ يـبـحـثـانـ عـنـ كـنـزـ وـاحـدـ هـوـ "الـحـكـمـةـ" وـإـذـ اـعـتـرـنـاـ أـنـ هـنـالـكـ مـسـاحـاتـ مـعـيـنـةـ مـنـ الـافـتـانـ الـفـكـرـيـ وـالـأـنـسـاحـارـ الشـعـورـيـ فـيـانـ الصـدـيقـيـنـ الـلـدـودـيـنـ قدـ خـاصـاـ لـعـصـورـ طـوـلـيـةـ اـقـتـالـاـ نـاعـمـاـ وـخـفـيـاـ لـلـاسـتـحـوـادـ عـلـىـ مـنـاطـقـ النـفـوذـ مـأـخـوذـيـنـ مـعـاـ بـحـلـمـ الـسـيـطـرـةـ عـلـىـ الـآـلـامـ وـالـسـعـادـاتـ الـبـشـرـيـةـ، وـإـيـ لـأـحـسـبـ أـنـ الـكـهـرـيـاءـ الـتـيـ تـسـرـيـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـازـلـةـ بـيـنـهـمـاـ وـالـتـيـ أـجـجـتـ الـحـدـيـثـ الـمـكـرـرـ عنـ عـدـائـيـةـ أـزـلـيـةـ إـنـمـاـ هـيـ الـعـمـودـ الـفـقـرـيـ لـلـعـبـرـيـةـ وـالـلـامـأـلـوفـ وـالـسـمـوـ الـذـيـ يـنـبـغـيـ لـهـ أـنـ يـقـودـ الـبـشـرـيـةـ مـنـ يـدـهـاـ نـحـوـ الـحـيـاةـ الـتـيـ تـلـيقـ بـهـذـاـ الـجـنـسـ الـعـاقـلـ وـالـعـاطـفـيـ وـشـدـيدـ الـشـاشـةـ.

ابنة زمانها وفكـرـها الجـمـعـيـ فإنـ شـرـحـ الأـسـبـابـ قدـ يـطـولـ،ـ منـ الـأـمـثـلـةـ:ـ سـقـراـطـ كـانـ يـرـىـ أنـ الـفـلـسـفـةـ عـلـمـ رـجـوليـ،ـ وـأـنـ النـسـاءـ يـقـتـصـرـ دـوـرـهـنـ عـلـىـ منـ الرـجـالـ مـنـ الـخـوـضـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ،ـ مـفـتـرـضـاـًـ أـنـ الرـجـلـ «ـكـائـنـ كـامـلـ»ـ وـبـالـتـالـيـ بـإـمـكـانـهـ فـقـطـ «ـأـنـ يـسـعـىـ إـلـىـ الـكـمالـ الـمـطـلـقـ»ـ.ـ أـمـاـ الـرـأـءـ،ـ فـلـاـ يـمـكـنـهـ إـلـىـ أـنـ تـسـعـىـ «ـلـتـصـبـحـ رـجـلاـ»ـ،ـ وـيـعـودـ ذـلـكـ إـلـىـ تـجـريـتـهـ الـأـسـرـيـةـ الـمـرـيـرـةـ حـيـثـ كـانـتـ زـوـجـتـهـ سـلـيـطـةـ الـلـسـانـ،ـ لـاـ تـتوـانـىـ عـنـ شـتـمـهـ عـلـىـ،ـ حـدـأـنـ الغـضـبـ بـلـغـ مـنـهـ مـرـةـ أـنـ أـلـقـتـ المـاءـ عـلـىـ رـأـسـهـ،ـ فـمـاـ كـانـ مـنـهـ إـلـىـ أـنـ أـخـرـجـ مـنـدـيـلـهـ فـيـ هـدـوـءـ وـنـشـفـ رـأـسـهـ مـخـاطـبـاـًـ تـلـمـيـذـهـ:ـ إـنـ الـمـطـرـ يـنـهـرـ دـائـمـاـ بـعـدـ الرـعـدـ»ـ،ـ سـمـيـتـ فـلـسـفـتـهـ بـ«ـالـسـخـرـيـةـ السـقـراـطـيـةـ»ـ،ـ حـيـثـ أـنـ مـنـ أـقـوـالـهـ الشـهـيرـةـ:ـ تـزـوـجـ،ـ لـوـ كـانـتـ اـمـرـأـتـكـ صـالـحةـ لـصـرـتـ رـجـلـ سـعـيدـاـ وـلـوـ كـانـتـ كـزـوجـتـيـ لـصـرـتـ فـيـلـسـوـفـاـ مـثـلـيـ»ـ.

أـفـلاـطـونـ تـلـمـيـذـ سـقـراـطـ أـيـضاـ،ـ كـانـ يـكـرـهـ النـسـاءـ كـأـسـتـاذـهـ،ـ فـيـرـىـ أـنـ الـرـأـءـ «ـشـرـ مـسـطـحـيـرـ»ـ،ـ دـعـاـ فـيـ «ـالـجـمـهـورـيـةـ»ـ إـلـىـ إـلـغـاءـ الـعـاـئـلـةـ،ـ ماـ يـنـهـيـ مـلـكـيـةـ الرـجـلـ لـلـمـرـأـةـ،ـ كـماـ أـنـهـ فـيـ جـمـهـورـيـتـهـ يـمـكـنـ لـلـمـرـأـةـ تـحـصـيلـ الـعـلـمـ تـامـاـ مـثـلـ الرـجـلـ.ـ وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ كـانـ مـصـرـاـ عـلـىـ أـنـ الرـجـلـ هـوـ فـقـطـ مـنـ يـخـلـقـ مـنـ قـبـلـ الـآـمـةـ،ـ كـماـ أـنـ «ـهـؤـلـاءـ الـذـينـ يـعـيـشـونـ حـيـاتـهـ بـاسـتـقـامـةـ يـعـودـونـ فـيـ الـحـيـاةـ الـمـقـبـلـةـ كـنـجـومـ»ـ،ـ وـفـقـاـ لـنـظـرـيـتـهـ فـيـ التـقـمـصـ،ـ فـيـ

تـخلـصـ بـسـهـولـةـ مـنـ شـعـرـيـتـهاـ بـدـلـيلـ أـنـ مـعـظـمـ الـفـلـاسـفـةـ الـيـونـانـ قـدـ نـظـمـواـ فـلـسـفـتـهـ شـعـراـ،ـ وـقـدـ تـقـاطـعـ الـفـلـاسـفـةـ وـالـأـدـبـاـ فـيـ مـعـالـجـةـ الـعـدـيدـ مـنـ الـقـضـاـيـاـ كـالـحـيـاةـ وـالـمـوـتـ وـالـأـلـامـ الـجـمـعـيـةـ،ـ إـلـىـ أـنـ اختـلـافـهـمـ فـيـ تـقـاطـعـهـمـ قـدـاـ بـداـ جـلـيـاـ تـارـيـخـيـاـ كـمـاـ فـيـ الـأـمـثـلـةـ الـتـالـيـةـ:

1- الخطاب: امتاز خطاب الفـلـاسـفـةـ بـمـبـاـشـرـةـ حـادـ عنـهـ الـأـدـبـ الـمـلـطـفـ مـنـذـ نـشـأـتـهـ،ـ فـنـجـدـ مـثـلـاـ أـنـ الـكـثـيرـ مـنـ مـقـولـتـهـمـ الـبـاقـيـةـ تـبـدـيـ بـفـعـلـ أـمـرـ:

سـولـونـ:ـ ثـقـ بـنـبـلـ مـنـ أـمـامـكـ أـكـثـرـ مـنـ قـسـمـهـ

خـيـلـونـ:ـ اـعـرـفـ نـفـسـكـ!

بـيـاسـ:ـ فـكـرـ فـيـمـاـ تـفـعـلـ،ـ اـسـتـمـعـ كـثـيـرـاـ،ـ تـكـلـمـ عـنـ الـحـاجـةـ

سـولـونـ:ـ لـاـ تـكـثـرـ مـنـ شـيـءـ

بـيـرـانـدـرـ:ـ فـلـيـكـ طـعـامـكـ طـازـجاـ وـقـوـانـيـنـكـ قـدـيمـةـ

2- المـيزـوجـيـنـيـةـ كـرـهـ النـسـاءـ:

شـكـلتـ الـمـرـأـةـ مـنـذـ الـأـسـاطـيرـ الـأـوـلـيـ وـعـبـرـ الـمـنـتـجـ الـأـدـبـيـ الـإـنـسـانـيـ سـرـداـ/ـشـعـراـ ثـيـمـةـ لـلـجـمـالـ وـالـحـيـاةـ وـالـخـصـبـ وـالـعـشـقـ السـامـيـ إـلـىـ أـنـ عـدـاـ لـيـسـ قـلـيـلاـ مـنـ الـفـلـاسـفـةـ قـدـ جـاهـرـ بـتـمـيـزـ غـرـبـيـ ضـدـهـاـ،ـ وـبـإـمـكـانـتـاـ حـصـرـ عـدـدـ لـاـ يـسـتـهـانـ بـهـ مـنـ الـمـوـاقـفـ وـالـأـقـوـالـ الـتـيـ تـضـحـيـ اـرـدـوـاجـيـةـ كـارـيـكـاتـورـيـةـ،ـ وـبـاعـتـبـارـ أـنـ الـفـلـسـفـةـ هـيـ

شوبنهاور: صنف المهووس مايسترو التشاوم الألماني الذي قيل عنه "أكبر محطم أحلام مر بهذه الأرض" المرأة على أنها أصل كل الشرور، كان سفاحاً في إطلاق تصريحاته المريضة، يقول: "لقد خلقت المرأة لتبدأ ولتبقى في المرتبة الثانية.... إنها تستحق الكره، إنها كائن تافه ومنافق، لا تهدف إلى إطالة فترة عذاب البشرية.... ينبغي تدميرها"، "ما كان يجب أن توجد في العالم سوى ربات البيوت، المكرسات لأعمال المنزل، وفتيات يتربّين على الخضوع لا على الكبرياء"، "من المضحك تخيلهن في منصب قاضٍ"، "ممرضات، ومعلمات لطفولتنا المبكرة، لأنهن على نحو دقيق، صبيانيات، سخيفات، قصیرات النظر، أي بكلمة واحدة، طفلات كبارات طوال حياتهن"، وكما العادة فالجانب الشخصي كان دافعهُ الخفيّ لموافقه العدائية، ويدركُ أنه عاش وحيداً ومات وحيداً، وأتّرت حياته الشخصية على فلسفة التشاومية، فلم ينجح مرّة في جذب امرأة أحبّها، بل كان مظهراً سبباً لنفور النساء منه، كما أنّ الشخصية الشرسة الأنانية متحجرة القلب لوالدته قد أثرت في مسيرته وأضماره المتطرفة حيث كان ينام والمسدس في يده، ولا يقطن إلا في الدور الأول خشية حدوث حريق أو وقوع مكرر، ويدرك أنها كانت تصرّ على أنها كاتبة ومن المفيد التوّيه بأنّ "غوطه" كان أحد رواد صالونها الأدبي.

حين أن «هؤلاء الذين يعيشون بغير استقامه سيرجعون إلى الحياة كنساء». أرسسطو: ترك أكبر إرث فلسفى في الترويج لدونية المرأة، يقول في كتاب السياسة: "إن طبيعة العلاقة بين الذكر والأنثى، هي أن الذكر مت فوق والمرأة مت دونية، ما يجعل من الذكر قائداً، فيما تكون الأنثى تابعة."، وتأثرت العديد من الأصوات في التراث الديني لاحقاً برأه.

وعلى الرّغم من الأصوات التي شرعت بالظهور لإنصاف المرأة وأبرزها مقوله ديكارت الشهيرة: "العقل لا جنس له" فالحقبة التالية أيضاً لم تخلُ من موقف متطرفة مثل:

الفيلسوف الألماني فريدريك نيتше الذي يقول على لسان زرادشت في كتابه هكذا تكلّم زرادشت: "إذا ذهبت إلى المرأة لا تسّس السوط"، واصفاً المرأة: "إنها فخّ نصيّته الطّبيعية"، ويقول: تصوروا بالله عليكم لا أعرف كيف للرّجل أن يحب هذه الكائنات ضيقّة الكتفين ضئيلة الحجم قصيرة الساقين"، وفي المقابل فقد اشتهرت علاقته بصديقته لو سالومي، التي لم تبادله مشاعر الحبّ ورفضت الزواج منه أكثر من مرة، بالإضافة إلى علاقته المتوتّة بأمه وأخته.

جان جالك روسو: "الرجل يكون أحياناً رجلاً، أما المرأة فهي دائماً امرأة" لكنَّ الرجلة هي مرتبة إنسانية أكثر نبلًا.

تأثيرها على النظرة الأخلاقية، وذلك على الرغم من أنَّ محاوراته ترقى إلى مصايف الأعمال الأدبية الحقيقة ولا سيما في كتابيه "الجمهورية" و"المحاورات"، فإنَّ موقفه المناهض للأدب باسم الحقيقة كان يتذبذب بين الرفض والقبول بحسب الحوارات، ليبلغ ذروته في "الجمهورية" ، كنظام سياسي يبتعد الأدباء والشعراء على نحوٍ قطعي، فيقول: هل ندع بمنتهى السهولة الأطفال يستمعون إلى أدنى حكايات يقعون عليها، حاكها أول قادم، فيستقبلون في أرواحهم آراء تختلف في معظمها ما ينبغي أن يحوزوه عند النضوج؟ لن نسمح بذلك بأي وجه من الوجه. ينبغي علينا إذن أن نبدأ بالتحكم في صناع الحكاية.

ثالثاً : طور التماس والتداخل:

في الشعر: في الغرب نستذكر بداية دعوة الفيلسوف الإنكليزي "هوايتد" الصريحة إلى ضرورة اللجوء إلى الشعر للتعبير عن الفلسفه فيقول مثلاً: إن مجرد خلود الشُّعراء لهو الدليل المادي القاطع على أنَّهم يعبرون عن حدس إنساني عميق استطاعت الإنسانية بمقتضاه أن تتفذ إلى ما في الواقعية الفردية من طابع كلي شامل، كما لم يقتصر دور الشعر كوسيلة لدى الفلسفه الجدد وإنما استطاع أن يصبح ملهماً أيضاً، كما حدث مع قصائد الشاعر الفيلسوف "يوهان هولدرلين" التي حرّضت طرقة جديدة في التفكير لدى العديد من

3- الحب:

أفلاطون: نستذكر هنا روایته عن الإنسان المتولد ذاتياً في عصور غابرٍ قبل أن يصب رب الأرباب جوبٍ غير غضبه عليه، وكيفما يقضي على غروره شطر جسده إلى شريحتين بجنسين مختلفين، ومذاك وكل نصف يركض بحثاً عن نصفه الآخر.

شوبنهاور: كان الحب هو منصة انطلاق عملياته الهجومية ضد الحياة عامَّة، أصرَّ عدو المرأة على أنَّ الحب مهمًا بدا شاعريًا فإنَّ هدفه الوحيد الحفاظ على الجنس البشري، فحين قال له لاكور صديقه مرّة: "الحب هو السماء" ردَّ بغضِّ: "بل الحب هو الشر بعينه".

سيلين: "الحب" هو أن يصير الخلود في مستوى كلب كينش".

ثانياً : طور التضاد والصراع:

بدأ الصراع التاريخي مع أفلاطون الذي اتهم الأدب بالعادية تجاه أي نزوع ديني وأية حركة فلسفية، فاعتبر أنَّ كلَّ ممارسي الشعر بدءاً بهوميروس إنما يقلدون مظاهر متصنة من الفضيلة ولا يبلغون الحقيقة، وإنما يجهدون لنج المتنة لذلك الجزء الأنوي الأحمق من الروح الإنسانية، فالشاعر في رأيه هو ذلك الكائن المسكون، الهازي، لا عبرية له إلا إذا نطق إله في فمه، ولا جدارة لديه إلا بما يأتيه من إشراق خارجي، حارب حتى كلمات الموسيقى الشعبية بحجة

سجّعت وقد كشف الغطاء فأبصرت
ما ليس يدركُ بالعيونِ المهجّع
فكأنها برقٌ تألقَ بالحمى
ثمَ انطوى فكأنه لم يلمع
برزت العديد من الأسماء التي وارد
نوصوهم قيماً فلسفية مثل المتنبي وأب
تمام وأبو العتاهية الذي يقول:
لكل شيء معدن وجواهر
وأوسط وأصفر وأكبر
وكل شيء لاحق بجوهره
أصفره متصل بأكبره
بعد الإسلام أنتجت المفارقات المهولة
ما بين القيم الإسلامية الصاعدة والواقف
المختلف حالة من التفكير والتأمل في
الذات تُرجمت في شعر أبي العتاهية
واكتملت في شعر ابن عربي:
فقد أصبح قلبي قابلاً كلَّ صورة
فمرعى لفزلانِ ديري لرهبان
أدينُ بدينِ الحبِّ أنى توجّهت ركائبه
فالحُبُّ دينِي وإيمانِي
أما الدزرة الفلسفية في النتا
الشعري فكانت لدى أبي العلاء المعربي
الكاتب والأديب الذي أسس لمنه
تتويرى عقرى، قيل: "ما نطقت العرب
 بكلمة لا يعرفها أبو العلاء"، وما ميّ
منهجه المعرفي هو ارتكانه على الشلة

الفلاسفة الغربيين مثل: هييدغر وسارتر ونيتشه ولا نستطيع إغفال التساؤلات الفلسفية في قصيدة "البحيرة" للشاعر لامارتين، وفي قصيدة "فاوست" للشاعر غوته، أما في كتاب نظرية الأدب للناقد رينيه ويليك" يطرح المؤلف أسئلة رائعة من قبيل: هل يغدو الشعر أفضل إذا كان فلسفياً بصورة أكبر؟ وهل نستطيع أن نحكم على الشعر من خلال الأصالة الفلسفية أو القيم الفلسفية التي ينطوي عليها أو حتى من خلال مدى تغييره في الفكر التقليدي؟، وفي المشرق أيضاً سطع العديد من الإشارات الفلسفية في قصائد شعراء الجاهلية المحمّلة بالحكمة مثل طرفة بن العبد وشعراء العصر الإسلامي كما ابن القارض وابن عربي ثم توالى مع قصائد ابن الرومي وأبي النواس والمتيني وصولاً لابن سينا وأبي العلاء المعري ولعل أبرزها وأجملها عينية ابن سينا:

هبطت إليكَ من المُحلِّ الأُرْفَع
ورقاء ذات تَعْزِيزٍ وَتَمْنَاعٍ
محجوبةٌ عن كُلِّ مقلةٍ ناظِرٍ
وهي التي سَفَرتْ ولم تَتَبرَّقْ
ووصلتْ على كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرِيمًا
كَرْهَتْ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتٌ تَقْجَعٍ

ليحاكيها تماماً حين كتب "الكوميديا الإلهية" واصفاً رحلته إلى الجنة والجحيم مع الشاعر اللاتيني فيرجيل، والذي قابل خلالها شخصيات ميثولوجية وتاريخية شهيرة ولكن على نحوٍ معكوسٍ من السماء إلى الأرض.

ثانياً: سبق هكذا تكلم زرادشت :
 اخترل أبو العلاء "هكذا تكلم زرادشت" قبل تسعه قرون من نيته:
 ببيته:

ولا تحسب مقالَ الرُّسْلِ حَقًا
 ولَكَنْ قَوْلُ زُورِ سَطْرَوَهُ
 وَكَانَ النَّاسُ فِي عِيشٍ رَغِيدٍ
 فَجَاؤُوا بِالْمَحَالِ فَكَدْرَوَهُ
 نَلَاحِظُ مُثلاً أَنَّ قَوْلَهُ: "افترشَ
 الْجُوزَاءَ بِسَاطَاهُ لَهُ" ، يقابلَهُ عَنْ نِيَّتِهِ
 عَلَى لِسَانِ زَرَادِشْتِ وَبَعْدِهِ بِتَسْعَةِ قَرْوَنِ:
 "أَمَّا أَنْتَ يَا زَرَادِشْتَ، فَإِذَا مَا كُنْتَ
 تَرِيدُ أَنْ تَرَى عَلَّةَ الْأَشْيَاءِ وَبَاطِنَهَا، فَعَلِيكَ
 أَنْ تَتَسْلُقَ مَرْتَقِيَاً فَوْقَ نَفْسِكَ، قُدْمًا،
 صَعُودًا، إِلَى أَنْ تَغْدُو نَجْوَمَكَ دَاتَهَا تَحْتَ
 مَنْزِلَتِكَ".

ثالثاً: سبق أصل الأنواع :

قبل ثمانية قرون ونصف من داروين
 قارب جوهر "أصل الأنواع" ، يقول أبو
 العلاء:

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِّيَّةُ فِيهِ
 حِيَوانٌ مُسْتَهْدِثٌ مِنْ جَمَادٍ

كقاعدة تطيح بالتلقيين والقبول
 والاستكانة وتعزز من طرائق التفكير
 غير التقليدية ، وقد ترافق ذلك بالفطنة
 والشجاعة ، كما امتاز بخطابٍ طليعيٍّ
 ترويري ، ومنهج عقلانيٍّ أخلاقي ، يقول:

**يرتجي النّاسُ أَنْ يَقُومَ إِمَامٌ
 نَاطِقٌ فِي الْكِتَابِ الْخَرْسَاءِ
 كَذَبَ الظُّنُونُ لَا إِمَامٌ سَوْيَ الْعُقْلِ
 مَشِيرًا فِي صَبْحِهِ وَالْمَسَاءِ**

ولربما ساهمت لا دينية أبي العلاء
 في انخفاضِ أسهمه كقائدٍ فكريٍّ
 تقدمي لدى الجموع المدينية ، سماه ابن
 الجوزي " الخليفة إبليس" ونعته ابن القيم
 بـ"أعمى البصر والبصرة" ، كلب معمرة
 النعمان ، كما امتدَّ الحرب الضروس
 تجاهه حتى القرن الواحد والعشرين
 حيث منع السلفيون كتبه في بعض
 البلدان العربية ، وهنا لا يخفى أنَّ العقل
 العربي قد سقط في أزمة مهولة ، منذ أن
 تم تكفير الفلاسفة والتکيل بالمتصوفة
 "السهروردي والحلاج على سبيل المثال".
 أمّا عبقرية المعرِّي فقد تشملها عدّة
 نقاط:

أولاً: رسالة الغفران قبل الكوميديا الإلهية
 كتاب رسالة الغفران بشكالها
 الروائي الأولى حيث سرد فيها رحلة ابن
 القارح إلى الجنة والنّار ، ذلك الذي فاوض
 الخالق على جسد الحورية الحسنة ،
 وتحاور خلالها مع كوكبةٍ من نجوم
 الأدب الجاهلي والإسلامي ، ثم جاء دانتي

إذن أنا موجود" ، كما اعتقد كونديرا أن الروائي ميخائيل دي سرفانتس مؤلف رواية "دون كيشوت" الشهيرة الساعية لكشف الذات الإنسانية وتعلّعاتها مؤسساً للحدثة جنباً إلى جنب مع معاصره ديكارت.

كذلك أشار نيتше في كتابه "ولادة التراجيديا" على نحو صريح إلى أنه على الفلسفة أن تحدّ من التفكير المنطقي الصارم وتتجه نحو الجانب الوجданى الذي يمثلهُ أسلوب السرد الروائى داعياً إلى "العودة إلى ما يعتمل في أنفسنا من عناصر بدائية" كيما ننهل من نبع العاطفة حتى ولو أدى ذلك إلى تحطيم الفكر التحليلي" ، أمّا ألبير كامو رائد فلسفة العبث والوجودية، الذي نال جائزة نوبل للآداب العام 1957 ، والذي جاهر تواضعاً في أكثر من حوار أنه ليس فيلسوفاً صرّح في كتابه أسطورة سيزيف" : الروائيون المتأرخون العظام، هم الروائيون الفلاسفة" ، وفي روايته الغريب يتجلّى التجسيد العدمي للإنسان الأعلى الذي يشرّب به الفيلسوف نيتشه بحسب أونفراء.

عربياً اجتمع الأدب والفلسفة في أعمال الجاحظ كما كتب الفيلسوف الإسلامي ابن طفيل في القرن الثاني عشر رواية عربية خيالية "حي بن يقطان" كرد على كتاب الغزالى "تهافت الفلسفة" ، ثم كتب الفيلسوف الإسلامي ابن النفيس في القرن الثالث عشر "الرسالة

أرى الحي جنساً ظلّ يشمل عالمي بأنواعه، لا يورك النوع والجنس جائز أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم

مات أبو العلاء المعري قبل ألف عام وعام من نشر كتاب "أصل الأنواع" من الجدير ذكره أنَّ أربعة أضعاف مؤلفاته التي وصلتنا كانت قد اختفت إثر دخول الصليبيين معرة النعمان.

ومن الجدير ذكره أنَّ المعري امتاز ببعض أسلافه الفلسفية بنظرية معادية جداً للمرأة، ويدو أنه ورث أيضاً ذلك التماقض الإنساني الذي يتخلى كل ما هو عقلاني ومحايي وبالإضافة لحبه وتعلقه الشديد بوالدته ورثائها بأجمل القصائد فقد كتب في الحب أيضاً.

السرد "الرواية والقصة والمسرحية":
أبلغ من يمثل التكثيف الفلسفى في الرواية الحديثة هو "جان بول سارتر" ولا سيما في كتابه الغثيان، بالإضافة إلى العديد من الأسماء هائلة التأثير مثل دیستوفسکی وتولستوي وتشيكوف وغوركى وهيمنجواي وبلزاك وكافكا وسواهم، ويرى الروائي التشيكى ميلان كونديرا أنَّ التأسيس الفلسفى للحدثة قد حدث على يد الفيلسوف الرياضي ديكارت في القرن السابع عشر حيث جعل الأخير الذات المفكرة الواقعية أساساً لكل شيء في مقولته: "أنا أفكر

التأملي لحكم ذوقي معياري يضعف محمول العقلاني، إذ جاء في "نقد ملائكة الحكم" قوله: "الفن يتوقف في مكان ما، ما دام ثمة حدٌ فرض عليه، ولا يمكن أن يذهب أبعد منه". وهكذا أدرج الأدب ضمن الفنون، واعتبر خطاباً تغلب عليه المشاعر والانفعالات، ويطغى فيه الشكل على المضمون، بينما عُدّ الفكر الفلسفي تمثلاً للموضوعية والكونية. وفي القرن التاسع عشر حيث شرعت منجزات الثورة الصناعية تطفى وتلتمع خرج العالم الإنكليزي توماس هكسلي ليتعيّن الأدب مفترضاً أنه من الحق والشعودة وجوده في عصر العلم، ولاحقاً أكَّد الفيلسوف والناقد الأميركي جورج بواس ذلك بقوله: "تكون الأفكار في الشعر عادةً ممتهنة وغالباً زائفَة"، كما أدى ت. س. إيليوت بمقولته الشهيرة: "لا شكسبير ولا دانتي قاما بأي تفكير حقيقي".

خامساً: طور التفاعل والتَّوْحِيد من جديد:
ومن الجدير بالذكر أنَّ أهم كتاب المسرحيات الفلسفية غوته وسيمون دي بوفور وألبير كامي وسارتر بالإضافة إلى بعض مسرحيات شكسبير.

بعدها دخلت العلاقة بين الفلسفة والأدب مرحلةً جديدةً، حيث استحدثت أشكال أدبيةً جديدةً نجمت عن استدماج التجريد بالتجسيد، ولم يبخس فلاسفة هذه الحقبة الأدباء حقَّهم في بحثِهم عن الحقيقة، وهنا بدأ الأدب يختلط دربَنا نحو الحداثة الفكرية ليثبتَ أنه ليس محض إلهام أو إشارة شعورية أو منعكش ظللي لغوياً لليومي المعاش وحسب وإنما محتوى حيٍ يفكر ويحلل ويخلخل المكرّس. وهذا نستذكرُ المشروع الشعري المتعالي لفريديرك شليفل حيث صاغه كنوع من الفلسفة الاستعارية فيؤكِّد مثلاً أنَّ هدف الشعر أن يُنجز مهمة الفلسفة التي أحبطتها اللغة.

رابعاً : طور الفصل الخامس :

في نهاية القرن الثامن عشر وقع الفصل الرسمي بين الأدب والفلسفة، وكان من أشهر من كرسها حين وضع سداً منيعاً بين الحقيقي والجميل إيمانويل كانط مؤكداً على أن إخضاع الخطاب

فقد شهدت مرحلة ما بعد الحادسة تحطيمًا للحواجز بين المجالين المعرفيين إذ انتقضت الفلسفة على العديد من المعايير العقلانية الصارمة فذهب الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز للقول: "إن ما يجمع المجالين هي قضية إشكالية واحدة وهي قضية الكتابة"، فيما أطلق الروائي الإنكليزي د. ه. لورانس مقولته: "إنَّ هيمنة العقل وتنبله على العاطفة هو المسؤول عن مصائب القرن العشرين"،

ذاتها أدب الفلسفة، فالأدب الخالد هو أدب المعرض... الأديب الخالد هو الذي تحرقه الـ لماذا النقاقة.

وقد حاول الأدباء تطوير تقنيات جديدة للتقريب في اللّاواعي والمعاني المستترة، فتألقت مثلاً الرواية الفلسفية والتي أصبحت سبيلاً حديثاً للعلاج النفسي حيث باتت وصفة لعلاج العديد من الاضطرابات الذهانية، كما بدأت بعض المدارس الغربية بتعليم الفلسفة عن طريق هذا النوع من الروايات، ولعلَّ أبرزها رواية النرويجي جاستن غارديير "عالم صوفٍ" التي لاقت رواجاً بين الأساتذة والطلاب على حد سواء.

برزت العديد من الأسماء الأدبية العربية في العصر الحديث ممَّن أثبتت كتاباتهم الأدبية أنها في ذروتها السحرية أقوى وسائل التعبير عن الأفكار الفلسفية، وأنَّ الأدباء الصّفوة قد يلمeson بآدواتهم الشّاعرية العاقلة العمق الروحي الذي لم يلمسه الفلسفه من قبل، يقول إيليا أبو ماضي:

جئتُ لا أعلمُ من أين، ولكنني أتيت
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى مأشياً إن شئتُ هذا أم أبيت
كيف جئتُ؟ كيفَ أبصرتُ طريقي؟^{١٦}
لستُ أدرى
أجديدُ أم قدِيمُ أنا في هذا الوجود
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيِّرُ في قيود

ونلاحظ في روايات ميلان كونديرا الفيلسوف التشيكى - الفرنسي مبنية في مجملها على التداعيات حدَّ تتخذ موضعًا وسيطاً بين الرواية والمقالة الفلسفية، كما نلحظ الباطن الإنساني في جلاء في روايات الألماني هيرمان هيسَّه فقد أبدع في روايته سيد هارتا في الولوح إلى عالم الشرق الأقصى وفلسفته البوذية، كما نلحظ الروحانية المغلفة بالأسئلة الوجودية في أعمال الأرجنتيني باولو كويللو التي ترجمت إلى أكثر من سبعين لغة، في حين يستهم الإيطالي أمبرتو إيكو روایاته من فلسفة القرون الوسطى كرواية الشهيرة "اسم الوردة"، الأميركي إرفين يالوم استوحى من نظريات أبرز فلاسفة التفكيك خيوط رواياته " حين بكى نيشه" ، "علاج شوبنهاور" و"مائزق سبينوزا".
عربياً اتضح الموقف الفلسفي في أعمال العديد من الروائيين أمثال نجيب محفوظ وجبرا إبراهيم جبرا والطيب صالح وسهيل إدريس وغيرهم.

وفي نهاية القرن العشرين أبدى فلاسفة اهتماماً بالأدب أكثر مما فعل أسلافهم، فمن أجمل ما عرضه الفيلسوف اللبناني كمال الحاج في موسوعته الفلسفية قوله: "أدب لا يتفلسف، وفلسفة لا تتأدب ييقيان من دون بقاء، لأنَّ كُلَّاً منها واجب وجوده للأخر. وهذا يعني أنَّ فلسفة الأدب هي

أتمنى أتنى أدرى ولكن... لست أدرى.

فلاسفة كثراً سعوا لهذا الانفتاح الإبداعي ولا سيّما آثر شوبنهاور الفيلسوف الحديث الأكثر نفوذاً في تاريخ الأدب على اعتباره مؤسساً لنظام جمالي خاص، فالفيلسوف ديفيد فوستر يقول: "القصة تمهد الطريق للمزج بين العاطفة والعمل الفلسفـي"، والفيلسوف ريتشارد رورتي يؤكّد في طروحته على ضرورة تجاوز الفلسفة الحدود المعرفية وتقديمها في خطاب لا فلسفـي في مشهد ثقافة شاعرية ما بعد حداثية.

وبالتوازي مع ذلك سنظل نجد إلى يومنا هذا أصواتاً تحاول إشادة جدار عازل جديد بين القطاعين الفكرـيين، مثلاً في كتابها "نزهة في غابة الأدب" تقول الفيلسوفـة والروائيـة الإيرلنديـة آيريس مردوـك: "لا مكان للفلسـفة في العمل التخيـلي، وأنـ الفلسـفة والأدب

المراجع:

- كتاب فلسفة ظريفة /
- كتاب الفلسفة والحب /
- ما بعد الفلسفة / د. محمد جيدي
- كتاب في الأدب الفلسفـي / محمد شفيق شيئاً
- مقالة: بين الفلسـفة والأدب علاقة ملتبـسة دامت قرونـاً طويـلة / أبو بكر العـيادي / كاتب تونسي / جريدة العرب.
- مقالة: الأدب والفلسـفة وأشكالـهما الفـنية / هـمام قـبـانـي / موقع الحوار المـتمـدن
- كتاب نـزـهـةـ فيـ غـابـةـ الأـدـبـ / آـيرـيسـ مرـدوـكـ
- الرواية الفلسفـية وسيطـاً بينـ الفكرـ المـجرـدـ وفنـ الحياةـ - نـاتـالـيـ الخـوريـ غـرـيبـ
- مقالة "ـ كـرـهـ النـسـاءـ فـلـسـفـياـ: منـ سـقـراـطـ إـلـىـ نـيـتـشـهـ" / جـوـيـ سـلـيمـ / مجلـةـ الـأـخـبـارـ الـإـلـكـتـرـوـنـيـةـ 2018



بَقْعَةُ خُوءِ

مِنْ حَكَايَا الْحَشَقِ

أَوْ منذر يحيى عيسى



من حكايا العشق

لـ أ. منذر يحيى عيسى

فلا بدّ من استرجاع ملامحها كلّ حين حتى لو فارقها، وها هو قرب البحر يسترجع صوراً خالدة "إليك يأخذني الحنين".

ومع موسيقى موج البحر وعنقه للشاطئ وبسان فتاة ارتبطت بأحد الأبطال الذي يحمي تراب وطنه برموش العين، يرتفع لهاث البوح بينهما، عاشق وعاشرة، حتى يحصل على ما هو متوقع مقابل الشهادة، ويستمر بوحها مؤكدة خلود الوطن وخلود سنديانه، وتدخل في طقس الانتظار، مستعدة أيام اللقاءات على شاطئ البحر، مع المنديل الذي أهدته وعاد إليها مع جثمانه، ورسائله لها، وتبقى في الانتظار "من حكايا العشق" التي جاءت كلوحة حقيقة لعودة الشهداء إلى قراهم خلال حرب العشر سنوات.

لأنه دفع الثمن غالياً في هذه الحرب المجنونة على سورية، فهو ابن شهيد وشهيدة وأخو شهيدة، وله ابن عسكري مفقود وابنته زوجة شهيد.

جاءت معظم قصصه موشاة بحزنٍ نبيل، ينبع من إيمان عميقٍ بمعتقدٍ أصيل، وبخلود هذا الوطن.

بوحٌ موجعٌ مثقلٌ بالحنين والذكريات، وبسردٍ يحاكي الواقع المفجع، وبحبٍ نقِّيٍّ يحاول أن يلسم جراحه، مستنداً إلى رؤية فلسفية عميقة للحياة وما يجري، مؤكداً على أن الحبَّ هو السبيل للخروج من التفوق المظلم "الخروج من الخراب".

ترك المدن والأمكنة عبقاً خالداً في الذاكرة، فكيف بمن سكن دمشق لمدة تزيد عن الأربعين عاماً، حيث تشكلت شخصيته واكتملت،

الأديب حسن الناصر يصرّ على الأسماء الحقيقية "زوجته - أخته - ابنه" وكذلك الأمكنة "معان" مع الكثير من الحب والشوق والحنين والتوق إلى اللقاء، مع وجع سببه خيانة الخبز والجيرة، وبلفتة تؤكد واقعية القصّ، تشير زوجته إلى أن اتحاد الكتاب العرب لن يوافق على النشر، ولكنه يستمر متخيلًا ما حدث في تلك الليلة من شهر شباط 2014م، ويتذكر إصرار والده على العودة إلى القرية في أيار 2013 بعد أن تركها في أول مجررة ارتكبها المجرمون، وهو المتذذر في أرضه لم يستطع فراقها فعاد إليها.

يروي الكاتب بدقة تفاصيل ما حصل في تلك الليلة السوداء من أحد الناجين، وكيف دافع عن بيته رغم شيخوخته، موصيًا ابنته بالصبر والصمود، ولكن تحدث الفاجعة يرتفون شهداء، مسترجعًا كل تفاصيل بيتهم في "معان" وبرمزية إلى الاستمرار والرسوخ، يحمل حفيته "صال" ابنة إبراهيم، وكأنه يشم رائحة أهله الراحلين، موجع وموجع بوحك وسردك. وفي صباح ماطر يبدأ حواراً يغشاه الوجع مع شريكه، ورغم سقوط المطر في شهر شباط يرى أن الفصل خريف،

في قصته "تزيف الروح" والتي أهداها لوالده الشهيد إبراهيم موسى الناصر، يبدأ قصته وهو بطلها بتبادل الوجع والحنين مع زوجته، زادهما ذكريات البيئة الأولى، ومرابع الطفولة، والشعور بالأمان، رغم الحاجة والعوز في سواد تلك الأيام التي تطفئ مرارتها الأحلام.

في حوار الزوجين تطرح الكثير من القضايا الوجودية والفلسفية، ومصير الإنسان والأمل بإشارة أكيدة للشمس، رغم سواطير وإجرام أبناء الظلام، ومحاولة العودة إلى عصور الكهوف، وبممارسات تدميرية وتخريبية لكل بنية البلد العمرانية والفكرية والحضارية، ويتبع بوحه بسردٍ يربط بين الأماكن مؤكداً على وحدة الجغرافيا السورية.

يناجي طيف والده الشهيد، عارضاً حالات المعاناة والفقد، وبوح مشبع بمشاعر الحنين وخوف الفراق، حتى في قصص العشق التي تدق أبواب الذاكرة ذات حنين، والشهيد الذي خمرته أعوامه الثمانون، يشعّ معرفة وفلسفة غالب عليها الطابع العرفاني فزادته إيماناً وسعة رؤيا وقدرة على الصبر، كالأولىء.

ذكرياته بالتداعي ليفاجأ بعودتها، هي الحرب وما سيها والانتصار للحب دائماً. قصة "رنيم" وعلاقتها بنبراس، وجمال الريف وبساطته والبراءة في العلاقة والاهتمام بزراعة الحوافير بما يفيد، ونشر الياسمين والورد مزروعاً حول البيت، وكان نداء الوطن والالتحاق بالجيش، والانتظار والشوق والشائعات عن إصابة "نبراس" واستشهاده أو مغادرته إلى جهة مجهولة، وهي المؤمنة بصدق انتقامه للأرض والوطن، ولم يتأثر بفتاوى الفتاة، تحدث مفاجأة ويعود مصاباً بجراح، وتبدأ مراسم البوح وبث الشوق بينهما وتضميد الجراح، سارداً لها بعض حالات الخيانة والفرار لبعض زملاء الخدمة، واستشهاد البعض على يدي الخونة من الزملاء برصاص الغدر، وإنقاذ علي له واستشهاده بدلاً عنه، وليخلفا معاً فكرة أن الحياة مستمرة وأن الفجر قريب.

يتناصِ مع قصص المقدس وعلى لسان بطل قادم من الأرياف، وهو الرافض لفكرة لذائذ ومتع الجنة التي يتخيلها من حُرّبت عقولهم، وشاركهم الشيطان وسواسه، يخاطب هذا البطل

حيث أن الخراب قائم ومستمر وبرمزية يصرّ على الذهاب إلى البحر، وكأنه عودة الرحم الأول، حيث السكون والأمان، مبرزاً دور الأتشي الكبير في إخراج الرجل من الوجع والقلق إلى عوالم أكثر استقراراً وفرحاً، عارضاً لحظات من الحميمية التي حاولت إسدال ستار على تراقص الذكريات أمام ناظريه، ومع الغناء الحزين، ولكن دون جدو، وقد جاء كأنه ملّ يرشّ على جرح نازفٍ، وبمقارنة موجعة بين أحلامه وما يملك مع المترفين والتغول المادي والأنفس الأمارة بالحقد، يختتم قصة "عامان من نزف الروح" وبالتالي تأكيد على أن المحبة سرّ الحياة.

بوشاح من الحب الإنساني الشفيف التي تميز قصص حسن الناصر، دون أي محاولة للخروج من ظروف الحرب وقوامتها وانعكاسها على العلاقات بين البشر، ففي "وداعات موجعة" قصة حب تجمع "أحمد" القادم من ريف السنديان مع "رهف" التي تعيش في المدينة ليتكلّل الحب بالزواج، ومن ثم نداء الوطن واحتقاره عاماً كاملاً، وهي بانتظاره، ويشاع خبر استشهاده فتترك البيت، يعود أحمد بشكلٍ مفاجئ وبساقٍ مبتورة ولا يجدها، وتبدأ

مدركة حقيقة وضعه مؤكدة على قرب الفجر "رجل مسكون بالماضي". يقدم حسن إبراهيم الناصر لـ كل قصة باقتباس لأديبٍ من زملائه أو بمقولة لأحد الأدباء الكتاب ممهداً للدخول في أجواء قصصه "من حكايا الماء والملح" تداعى أفكاره تؤكّد غزارة الذكريات في سنوات مضت مسترجعاً الأدب الروسي وملاحم وبطولات الحرب العظمى، ويركز على دور الكلمة وفضلها بعد أن تطلق، وعلى صلابة الأرض ومقاومتها، ويراقب وجه "فاطمة" بشغفٍ ممزوجٍ بروح آسر رابطاً بين برودة الشمال وبرقه، والانفجار الذي أتى من الجنوب، وضلاله أفكار عصفت بعقله اجتاحتها ريح جاهلية وأوهام الحوريات والجنة الموعودة، مع مقارنة بين ماضٍ وادع العيش والدمار، وأسوق النخاسة في بعض المدن والخراب.

حسن إبراهيم الناصر مسكون بالبُوح الحزين، وحالة فقد وسيطرتها على كل كتاباته مع تفاؤل بالمستقبل، من خلال استعادة وقراءة التاريخ والتمسك بثوابت الوطن وحكايا الخبر والملح.

المغرق في ماضي عشقه، وبلغة وخيال شاعر شريكة عشقه، رابطاً بين التطهر وقداسة الماء، وعدوبيَّة رحيق الشفر، والتحريض على البوح والكتابة، مسترجعاً مع ممارسته اليومية طقوس الدهر، وبنظرة فلسفية يراقب قطع الجمر، فكيف كانت قبلها شجرة ومراحل نموها وتطورها، ومرحلة عطائهما للثمر والظلّ، وكيف هرمت وقطعت، تتصدى "رحاب" زوجة "صالح" لخروجها من حالته وخلال طقوس الشروق، يبدأ الحوار مع الأشجار، والسنديان المنتصب وتعاطف مسامتها مع رحاب وهو مستمر في حواره مع الأشجار، وأحياناً يصنع من رمل البحر مسرحاً وشخوصاً، وتكون مكتبه ملجاًه بعد التعب، ملقياً بالتهمة على الكتب وما سببته من خراب، ليطرح أسئلة وجودية

وبدأت الذكريات بالتداعي وحال السيدة التي شربت السم قبل دخول الإرهابيين إليها وحادثة اغتصابها، واستمرار الحياة، واسترجاع لحظات مغادرته لمدينة عاش فيها أربعين عاماً، وبحوارٍ رومانسيٍّ مسترجعاً قصة عشقهما، مؤكداً قساوة الحاضر أكثر من الماضي، وتسند دموعها

دائماً نفس المكان المنزل، وإطلاله من الشرفة أو النافذة وغابات من أشجار الزيتون تداعب الرؤيا، هي بدايات قصص حسن الناصر، واستدعاء الذكريات والأمكنة، مع تساؤل كيف تحول الكلمات إلى أحلام تطير كفراشات على الورق، ومع استحضار قصص القدس وقصص الخيال العلمي، تبرز الدهشة من اندفاع مخلوقات كالوحش من المغاور والكهوف، والحمل السفاح، والولادات في مخيمات كانت سوقاً لبيع الأعضاء بمساعدة أطباء من الغرب، وهل يكون نتاج جهاد النكاح إلاً مواليد مشوهة؟ كثير منها حمل رؤوس ذئاب، ودور المساجد والفتاوي في ذلك، وما يعرض منها جهاراً على شاشات تتكلم العبرى، يدور حوار بين الكاتب وشريكه، كما يحصل عادة وباصرار على كشف من يدس السُّم في العسل وإلقاء المسؤولية على اهتمام الدولة بالحجر أكثر من البشر، مصرًا على كتابة الحقيقة رغم قساوتها.

يُمضي في قصته "ولادات مشوهة"
حتى نهايتها وباستدعاء للذاكرة عن
قصص حب قديمة، وامرأة كانت ذات
وقت وعن تساؤلات عن مصير الحب في

طقوس الخوف، وتكون النجوم تسليمة، يكون مجيء الأب منقذاً، وحديثه عن ماضيه المليء بالرجلولة، وتستمر الذكريات بالحضور وأبهجهما أيام الحصاد والأغاني، والتبدل الذي أصاب الريف بعد وصول الكهرباء وانتشار التعليم، والحكايات عن الدول الأجنبية كأفلام لا تصدق، وخصوصاً حرية الفرد في ممارسة حياته، ومع رفض الوالدة لسلوكيات الغرب وحوارات معها، بمشاركة صديق عاد من الدراسة في بلده أجنبى رغم انقضاء أكثر منأربعين عاماً وحلم العودة إلى بريته مشتهاة، يراود الكاتب رغم التشابه بين القرية والمدينة مع طرح لأسئلة مربكة حائرة وتزداد الأسئلة حضوراً موجعاً بعد كارثة الحرب التي حلّت بالبلد، والمذابح وموت الأشجار وتلاشي المحبة، حتى القبور لا حضور لها ولا شيء إلا الحنين ورسوخ تلك الصور في الذاكرة وصدى صوت الأب مرتلأ قصائد صوفية، وتبقى البراري مهما بعد الزمان تسكن تلافييف الدماغ.

الجميل فيما يكتبه حسن الناصر رغم قساوة المشاهد وغرابة ما حصل، أنه يتاول البيئة باسمها الصريح

زمن الولادات المشوّهة، وكعادته يؤكّد قدوم النهار من رحم هذا الظلم. يبدأ المسير في طرقاً بريّة مع كم هائلٍ من التوق والحنين إلى حقول القمح ووجوه الأحبة في أمكناة البدایات، بعد أن عصفت الريح المجنونة بذلك التوازن الجميل، يخاطب أرضاً بريّة تغفو على كتف البايّة، وتشتعل حرائق الذاكرة، وارتباط الفلاحين بالأرض، والانطلاق عبر الدروب البريّة بذاكرة لا تعرف السكينة، حيث تقفز إلى الذاكرة يوميات طفل في تلك البراري وتسعد بحنين حارق، من بدء النهار حتى نهاية السهر وقصص عن حواصيـد من ديار بعيدة، وحكايات تلك الديار المستاقية على كتف جبال تطل على البحر، ومن سهل الغاب والفقـر الملـاحـق لهم كظـلـهمـ، وتعـبـ حـصـادـ المـوـسـمـ وـنـقـلـهـاـ إـلـىـ الـبـيـادـرـ وـتـعـبـ النـسـوـةـ منـ الصـبـاحـ إـلـىـ الـمـسـاءـ، دـورـةـ الـحـيـاةـ وـبـدـءـ الـبـذـارـ.

بوجع يروي الكاتب عودته بزيارة إلى القرية، انتظار الأم الذي يطول، ولحظات اللقاء، وأسئلة عن الزوجة والأولاد، ووفرة الفلال في السهول، والعودة بالذاكرة إلى أيام الطفولة، ورعاية الأغنام وانقضاء النهار وبداية البدار.

الوطن لا يرحل، عرض لشاهد بحرية ومقهى وحضور، عمريت أرواد، خروج صبية من الماء، وبدأ حوار وسؤال عن حاله؟ انعكاس ألم الواقع على الشخصية، مقارنة مع مقهى الهافانا الدمشقي، مغادرتها لمكان جلوسها معه، دخول رجل من حلب المشهد، وشرحه لظروف قドومه القسري إلى البحر، كانت الفتاة ابنته طالبة طب وكان اسمها "شهد" طالبة الرواية من بين يديه، والرجل "أبو ميشيل" تاجر قطع التبديل شارحاً ظروف طريق الخروج من حلب، والعزم على الهجرة إلى أمريكا، ويوضح له الكاتب ظروف سورية قبل الحرب والأمن والأمان، لتأكد "شهد" أن هذا البحر والناس أفضل من كل بقاع الأرض، مؤكدة على بقائهما في أم الحضارات، مع إصرار والدها ورفض الوالدة للسفر، ويبدو أن شهد تهتم بالأدب والكتابة، وتستعرض بعض منها ، تنتهي السهرة ليغادر الجميع المقهى وتبقى شهد امرأة الحلم، حالة من انعكاسات الحرب على سورية وهجرة الناس الداخلية وتمازج الأفكار، القطفها الأديب ووظفها بلغة شاعرية لتجيء قصة متکاملة ببوج آسر.

ويذكر الأسماء الحقيقة للشخصوص الذين يتعرض لهم خلال القصص، وذلك ما يخلق شفف المتابعة خصوصاً لمن يعرف ببعضاً من مسيرة حياته .

في أمسية صفاء، وكما في الطفولة تكون السماء تسليمة في ليالي الريف الساكنة وتعدد النجوم وهو سلالة تمضية الليالي الطويلة، يبدأ مع "سلاف" وهو الكاتب الذي يأخذ دور الراوي أو بطل القصة، يبدأ باسترجاع ذكريات وبوج عن البدايات، وحالتها بعد هبوب العاصفة والانتظار والوداع، والانطلاق إلى حلب واستحضار سيف الدولة، وأبي فراس الحمداني وقصائد المنتجب، ويستمر البوج وتكون مشاهد الظلام والوحشية وقطعان الوحوش والفتاوي الصفراء ومن ثم الخراب، والإصرار على الوفاء والعيش مع دفاتر العمر القديمة، هي سلاف تخاطب طيف علي الشهيد ، قصة " في غيابك أعد النجوم" .

يختتم القاص مجموعته بقصة " البحر قريب من بيتي" مشهد من مقهى بحري، انسكاب القهوة، تلوث الأوراق، تلبك النادلة، اشارتها إلى المهاجرين عبر البحر، تأكيده على أن

"من حكايا العشق" مجموعة
قصصية عالجت من منطلق شخصي،
واللامسؤولة.

حسن الناصر في جميع قصصه
ورغم السواد وقساوة المشهد يصر في
النهاية على اقتراب الفجر، وفشل
مخطط تدمير الوطن، وعلى وحدة
التراب السوري، عاكساً أصالة
الانتماء، ونبيل التربية وحالة الانسجام
بين الفكر والممارسة، وهو هكذا في
حياته اليومية .

ومعاناة ذاتية ويلات الحرب الظالمه على
سوريا: وانعكاس ذلك على الوطن
بكماله وعلى العلاقات الاجتماعية،
والتركيز على قيمة الشهادة ورمزيه
الشهداء وعلى قداسة دمائهم، وعلى
حالات الفساد التي يمكن أن تظهر،
وترافق أية حرب مماثلة للحرب الظالمه
على سوريا بشاعتها ودور المتجرين

- من حكايا العشق / مجموعة قصصية / صادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام 2017 في
/ 193 / وضمت 14 قصة قصيرة.

سحر البيان

- حوارية
- ما بين "أبو تعام - والمتبي"
- هذا صریغ هواء
- أ. وائل أبو يربك
- أ. رجاء كامل شاهين
- أ. نعيم علي ميّا



حوارية

أ. وائل أبو يزبك

هَدَأَ اللَّيْلُ ... يَا حَبِيبِي .. تَعَالَى
نَفِيَّا فِي بُرْدَتِيهِ ... ظِلَالًا
هَدَأَ اللَّيْلُ .. وَالسَّمَاءُ أَضَاءَتْ
بِالقَنَادِيلِ .. غَيْمَةً .. وَهَلَالًا
تَتَلَوَّى عَلَى ذَرَاعِيهِ حَتَّى
ذَابَ فِي ثَوْبِهِ الرَّخْيِيْ وَزَالَ
فَرَدَتْ شَعْرَهَا عَلَيْهِ .. وَأَلْقَتْ
مَئْزِرًا تَحْتَ مَرْفَقِيهِ .. وَشَالًا
قَمَرٌ حِينَ الْقَمَتَهُ .. نَدَاهَا
مَلَأَ الْأَفْقَ هَالَهُ .. وَكَتَمَالًا
هَدَأَ اللَّيْلُ يَا حَبِيبِي .. فَخَذَنِي
مَثَمَّا الْغَيْمَةُ الْلَّعْوبُ مُثَالًا
الشَّبَابِيكُ فِي الدُّرُوبِ تِلَاثَتْ
مُثْبِتَهَا عَلَى السُّفُوحِ تَهَاوَتْ
وَنَجَومُ عَلَى السُّفُوحِ تَهَاوَتْ
سَاحِبَاتِ عَلَى الْمَدِي أَذِيالًا
وَنَجَومُ بَسَرِهِنَ تَهَامِسَنَ
هَدَأَ اللَّيْلُ فَاسْتَحْمَ بَشَّارِي
حَالِكَا فِي جُنُونِهِ .. شَالًا
هُوَ وَاللَّيْلُ أَهْدِيَاكَ سَوَادًا
وَقَوَامًا فِي شَهْوَةِ الصَّمْتِ يَطْفَى
وَهَادًا تَحْتَ السُّفُوحِ خَفَافًا
وَجِبَالًا .. فَوْقَ الْوِهَادِ .. ثَقَالًا

هَدَأَ اللَّيْلُ يَا حَبِيبِي فَمَنْذَا
 يَمْلأُ الْبَيْدَرُ الْجَدِيدَ غَلَالاً
 مِنْ يَهُزُ الْقَدَّ الْطَّيِيفَ رَخِيَّاً
 وَيُعَزُّ الْخَصَرُ الرَّهِيْفَ دَلَالاً
 يَعْصِرُ الْفَتَةَ الشَّهِيْهَ شَهَداً
 مِنْ غَرَالِينَ .. يَنْعَمَانِ ضَلَالاً
 وَرَمَاداً .. عَلَى النَّدَى .. وَرِمَالاً
 وَيُحِيلُ النَّارَ الْأَكُولَةَ .. رِيحَاً
 وَأَنَادِيَهُ .. وَهُنَوْيُوقَظُ روْحِي .. تَعَالاً

يَا بَنَةَ اللَّيْلِ .. قَدْ أَتَيْتُ وَقَلْبِي
 يَذْرَعُ الْحَلْمَ .. يُمْنَةً .. وَشِمَالاً
 أَقْتَفِي عَطَرَ شُرْفَتِيكِ وَأَجْنِي
 مِنْ وَرَوِيِّ .. غَرْسَتِهنَّ .. سِلَالاً
 دَرَجُ الْبَيْتِ .. غَارِقٌ فِي شَذَادَه
 زَادَهُ الصَّمَتُ .. هَيْبَةً وَجَلَالاً
 كُلُّ رَكْنٍ غَرَسْتَ فِيهِ وَرَوْدًا
 وَأَنَا خَلَفَ دَهْشَتِي .. أَتَمَلِّى
 وَطَرَقْتُ الْبَابَ الْخَجُولَ بِهَمْسٍ
 بَدْعَةَ الْخَلْقِ .. فِتَةً وَكَمَالاً
 وَتَسَاءَلْتُ .. إِذَا شَرَدْتُ قَلِيلًا
 مَسْتَرِيبٍ .. وَجَرْتُ فِيَكِ مَقَالاً
 كَيْفَ لِلْبَدْرِ أَنْ يَكُونَ أَنِيسًاً
 صَوْتُ فِيروزَ يَمْلأُ الْبَيْتَ سِحْراً
 أَسْرَفَ اللَّيْلُ بِانتِظَارِي فَأَبَدَيْنَ
 وَدَفَنَاهَا .. مَالَ الْفَرَامُ .. عَلَيْنَا
 وَالْهَوَى أَثْقَلَ الْقَوَامَ .. فَمَالاً
 أَيُّ لَيْلٍ هَذَا الَّذِي أَصْطَلَيْهِ
 يَا بَنَةَ اللَّيْلِ . شَفَنِي اللَّيْلُ شَوْقًاً
 نَاطِفَ الْعَطَرِ .. صُورَةً وَخَيْالاً
 وَشَفَانِي .. بِمُقْلَتِيكِ .. وَصَالَاً

حَمَلْتَنِي إِلَى يَدِيكَ .. دُرُوبُ
وَذُنُوبٌ .. لَا يَرْتَضِينَ اغْتِسَالاً
يَرْشُفُ الْتُورَ .. مِنْ دُجَانِكَ .. زُلَالاً
بَضْلُوعِي .. مَفَارِزًا .. وَنِصَالاً
وَحَرَاماً .. بَلْ مِنَّةً .. وَحَلَالاً
وَتَعْقِلْتُ صِرْتُ أَحْسَنَ حَالًا .!!
حَامِلاً وَزَرَ .. مَا جَنَاهُ فِعَالاً
ضَارِعاً بَيْنَ رَاحِثِيكَ ابْتَهِالاً
لَمْ تَدْعُ لِي .. مِنَ الدُّنُوبِ مَجَالاً
لَمْ تُعِدْنِي إِلَى لَدُنِكَ .. ضَلَالاً
يَا بَنَةَ اللَّيلِ لَا أَرَى الْعِشْقَ كُفَّارًا
أَثْرَانِي .. إِذَا تَجَاهَلْتُ . حُسْنَاً
لَا وَعِينِي إِكَ .. إِنَّ قَلْبًا .. أَثِيمًا
لَهُوَ قَلْبٌ فِي جَنَّةِ الْحُبِّ يَحِيَا
فَفَدِي .. أَخْمَصَيِكَ كُلُّ جَنَانٍ
وَفِدِي أَخْمَصَيِكَ .. كُلُّ حَيَاةٍ



ما بين أبو تمام - والمتّبّي

أ. رجاء كامل شاهين

ما هو العالم يا فجرُ، يا جبينَ الْخَبَايَا، حين تحرُّ لِلزَّمْنِ السُّحُورِ قَبْرَهُ،
وَتَلَاقِي – في الأعالي – موعدَ التَّكَوِينِ يَسَّاقِطُ قَطْرَةً قَطْرَهُ، يَوْدُ الْلَّاحِدُ فِي
الْيَقِينِ، يُوَسِّعُ صَدَرَهُ.

المُعاد

فَأَنَا وَأَنْتَ مُسَايِّرَانِ بِلَا جِيَادٍ
وَنَدَاءُ مُعْتَصِمَاهُ لَا.. لَا.. لَنْ يُعَادُ
فَارْحَلْ إِلَيْنَا قَائِلًا: بَائِتْ سُعَادٌ
"أَبُو نُوَاسْ"
"فِي خَمْرِكَ الْمَسْكُوبَةِ فِي فِيمَا بَعْثَ"
مُنْظَرٌ ناجَاهَا
لَوْلَاهَا الْكَوْنُ عَلَى قَلْقِ الْعَتمَةِ سَادَتْ
"لَوْلَاهَا"

هِي ذِي الْمَأْسَةِ تَجْرُّ ضَحَايَاها
رُعْبٌ فِي مُنْهَدِراتِ الْأَمْسِ، وَوَحْلٌ
يَرْقُدُ فِي قَعْرِ الْأَحَلَامِ
وَاللَّيلُ يَلْمِلُمُ ذَاكِرَةَ الْأَيَّامِ
يَتَشَاءُبُ فَوْقَ الْكَأْسِ
كَأْنَ الْخَمْرَةَ أَغْوَتْ نُومًا

"أَبُو تَمَّامْ"
"وَلَدَتْ تَارِيْخًا، وَقَدَّتْ الْقَافِلَةَ،
وَرَسَّمَتْ دَرِيَا فِي الْفَصَاحَةِ وَالْخَيَالِ،
خَلَقَتْ لِلْأَتَيْنِ بَعْدَكَ فَاصِلَةً
بَيْنَ الْخَيَالِ وَمَا رَأَيْتَ جَدَّاً وْ
تَجْرِي عَلَى وَجْهِ الزَّمْنِ
وَعَلَى يَدِيكَ كَوَاكِبُ
فِيهَا لَمْحَتُ الشِّعْرَ وَالصُّورَ الْغَرِيبَةَ،
قَارَبَتْ مَا بَيْنَ تَعْبِيرٍ وَوَصْفِ سَاحِرٍ
"وَالسَّيفُ أَصْدَقُ مِنْ بَيَانَاتِ الْكَلَامِ"
فِي حَدَّ الْحَدِ الْبَدَائِيَّةِ وَالْخَتَامِ
فَارْحَلْ إِلَيْنَا شَاعِرًا، لَغَةً ثَجَدَّدَ فِي رَؤَاكُ
أَوْ فِي اسْتِعَارَاتِ وَتَشْبِيهِ تَفاوتُ
لَيْسَ يَخْلُقُهَا سِيواكُ
فَاتَّرَكْ لَنَا رِيحَ الصَّبَّا، وَالْوَعْدَ، وَالْبَعْثَ

قد كان للشعر المعاني كلها
بالسيف والقرطاسِ كان خيرا
تبرُّ الندى قد صاغه من روحه
وعلا على سحرِ البيانِ قدِيرًا

لما تهافت في الخيالِ عواصفُ الكلماتِ
واضطربَ الكلامُ مع الكلامْ
وجلا شفيفُ الظل عن ظلِّ الغمامْ
واستحضرَ المكنونُ أسرارَ القوافي

واستجَارَ المجدُ مُعجزةً
خبزَ الحياةَ عزيمةً، وإرادةً، ورجولةً،
كانت لدِيهِ، وكبriاءً،
فكان حُرًّا في المدائح والهجاءِ،

وكان حُرًّا في الكلامِ،
وكان حُرًّا في البداية والختامِ،
منْ أنتَ يا مُتتبّي؟!
حتى تهافت في يديكِ ممالكَ

وذهبَتْ تجمُّعُ، لا ثُواخِي،
من ملوكِ الأرضِ تحتَ لواءِ سرّكَ
فانتصرتَ،

وبَيْتَ أنتَ وصاعُكَ الميزانُ
في كيلِ القصائدِ والمعاني،
في جمالِ الوصفِ للفوارسِ والحسامِ
يا منْ خلقتَ من السّكونِ مطارحاً

تجري إليكَ، لفعلها فرحٌ يُقامُ
تبرُّ الندى بيديكَ .. أغواهُ المقامُ

قد عبر الأوقاتِ فأغواها
كانتْ ببغدادُ أميرةَ عشقِ جامعةً
 تستعبدُ أنغامَ الحانةِ
 وأبو نواسَ يداعبُ غُرتَها

والخمرةُ في الكأسِ الماجورِ تُنذرُ الحانةَ
إلهٌ يغفو بينَ معاني القولِ فيسترُ إيمانه؟!
أم يرتكبُ الآثامَ ويُشدو باسمِ عطاياها؟
عجبًا يا شعرُ .. زبيدةُ عرّتها الكلماتُ

فسالَ الشِّعرُ وعرّاها
وأبو نواسَ يُحيلُ مُجونَ الظنِّ لقاضيِ
الأمرِ

وراح إلى جناتهِ يسكبُ من عنابِه ما وجبا
واستوطنَ وادي النورِ، ورأودَ برقةَ،
واحتجبا

إنْ قيلَ مُجونٌ صالحَ خميرهُ
أو قيلَ جنونٌ غيبَ وجهَها
لأبي نواسِ
بحرُ فيكَ الزمانُ

في ضفتَكَ الأولى تاريخٌ من بعثٍ ومطرٍ
وأنا في ضفتَكَ الأخرى

شَعْرٌ وشَرَرٌ
في الخمرة نورٌ ييرقُ، ناجى النورُ فناجاها
وأبو نواسَ مسافةً عَجَزَ لولاهَا

المُتتبّي
مُتتبّيُّ أسدُ، يهُزُّ زئيرهُ عرشَ الملوكِ،
وحاكمًا وأميراً



هذا صريحٌ هوَاهُ

أ. نعيم علي ميا



شاختْ ذاكرتي
وَحِيداً
وما تزالين تسلقين أغصانها
أشقّيَتني
يُضجُّ في دمي
وما زلتْ تسلقين أغصانها
فأرَى كُلَّ أَمْسيٍ
أَثَبَّني عواءُ الأَرْصَفَةِ
جُرحاً ينْزَبُ بخاصرتي
فامتنطيتُ أحصنَة الشوق
وَأَرَى
وأَصْخَيْتُ سمعي إلى خرير دمي
كُلَّ فجرٍ
فأَحسَستُ أَنِّي غيري
طيفَ جرحٍ يُداعِبُ أَمْسيٍ
وأنَّ غيري
يا أَيْتها المهاجرةُ في شراییني
لو تفتحين لي
يَصْلُبُنِي على غُنجٍ تهدِيكِ
باباً للشَّهْقَةِ
فصرتُ مُكْتَظًا باشتياقي
لِكُنْتُ
أَبْلُلُ شِفَاهَ الْوَجْدِ

زَبَداً

* * *

أَعْبُرُ الْآنَ الدَّرْبَ الْكَانِتْ

ثُوَّصَلْنِي إِلَى عَيْنِيَكِ

وَأَحْزَنْنِي

أَنْهَا كَانَتْ مَوْصُودَةً

فَرَحْتُ أُلُوْحُ بِيَدِيَ الْعَارِيَتِينَ

-إِلَّا مِنْ خَوْيِي-

إِلَى الْعُشْبِ الدَّابِلِ عَلَى شَطَّيلِهِ

مُتَعَبًاً لَمْ يَرِدَ النَّحْيَةَ

فَأَشْرَعْتُ عَيْنِيَ فِي الْمَدِيَ

وَطَوْيِتُ - عَلَى قَلْبِي - حُلْمِي

فَمُكِ

عَيْنَاكِ

نَهَادِكِ

وَخَصْرُ الْبَيْلَسَانِ

وَمِنْ دُونِ أَنْ أَدْرِي

أَوْ رِبَّمَا أَلَّيْ أَدْرِي

أَفْتَحُ ذَرَاعِيَ عَلَى امْتَادِهِمَا

وَأَحْضُنُ مَا تَوَهَّمْتُ أَنْهُ أَنْتَ

* * *

هَذِي الرَّمَالُ ثُوَّصَلْنِي إِلَى الْبَحْرِ

اعْتَلْيَتُ مَئْنَ ظَهِيرَتِي

وَرَكَبْتُ الْحَرَّ قَارِبًاً

وَحِينَ بَلَغْتُ الشَّطَّ نَادِيَتِهُ:

لَا تَعْبَثِي بِنَفْمِي

يَا بَحْرُ

دَعِيَ أَنَامِلي

لَا تُشْعِلِ انتَظَارِي

تَلَثُمُ التَّدِي الْمُبْعَثِرُ

فِي كَادُ يَخْنَقِنِي الْغَيَابُ

عَلَى حَدِّيَكِ

هَبْنِي - وَلَوْ مَوْجَةً -

إِلَيْكَ أَخْدَثْتِي شَفَّاتِكَ
فَضَعُتُ بَيْنَ صَفَّتِهِمَا
فَخُذْنِي كَمَا أَنَا
وَاغْمَرْنِي بِمَوْجِ حَنَانِكَ
وَدَعْنِي أَتَلَاشِي فِي عَيْنِكَ

أَتَكَئِي الآنَ عَلَى قَلْبِي
أُرِيدُ أَنْ أَصْعُدَ بِهِ
حَافَلَةَ الرُّوحِ
وَتُمْطِرُنِي رَمَاحُ الْيَاسِمِينِ
أُحِبُّهَا تَغْرِرُ فِي كَبِدِي
وَإِمَّا سَقَطْتُ فَقَوْلِي:
هَذَا صَرْبِعُ هَوَاهِ

|وجهة نظر|

سيرة رجع .. وتبقى الجبال

د. غسان غنيم



سيرة روح.. وتبقى الجبال

د. غسان غنيم

أستاذ الأدب الحديث جامعة دمشق

شيقة هي السيرة، وربما يكمن جمالها - بالإضافة إلى لفتها وشعريتها، وذاتيتها غالباً - في حميمية الذكريات، ومشاركة قارئها لكتابها لحظاتٍ مهمة في حياة كاملة؛ تتلون فيها بالتعب، والحزن والبكاء، والفرح والسعادة.. ولكنها حين تأتي على يد أديب وشاعر انغمس بالتجربة من أخمصه إلى قمته، تبدو أكثر جذباً، وأحلى مستساغاً وطعماً.

"زهرة ريح.. وتبقى الجبال" قصة حياة تعمدت بالشقاء في معظم مساحتها، وبالعذوبة في شطر قصير. حياة شاعر اسمه "بديع صقور" ترجمها بلغة شاعرية، أرّخها بنصوص تفيض عذوبة ونقاوة وشفافية.

قد لا تصلح روايةً أو قصةً، أو نصاً شعرياً؛ فهي نصوص تفيض فيها روح الأديب فوق صفحات بيضاء.. تسرد حكاية "عود القصب" ابن زهرة الريح التي ينسحب اسمها على كل قرية تعمّد خبزها بالتعب والتعسف، والظلم والألم، والعذاب والدموع، وبالشرف، وبالفرح أحياناً.

كلّ زهرة ريح في هذه المعمورة لا تبرح هذا السيناريو "أغوات"، "خواجات"، "ملك أراضي" يغزون الظلم والعنف، والاستغلال.. كالعلق الذي يمتص دماء القراء، ويترّفق بعرقهم.. إنها زهرة الريح.. في كل مكان الزهرة التي تعجن دقيق الريح، وتوقن منانير الشفق، وتحبز أرغفة البرد، ويبقى أهلها جوعى..(1)

تبعد نصوصاً ضمّختها الروح، تتساحج فوق الصفحات البيضاء، تحمل ذكريات الأماكنة، وتشفّ عن حكمة سنين طامحة بالتجارب، والمحبة لكل موجودات الكون والطبيعة:

"ماذا بمقదورك أن تفعل أيها الشاعر المجلب بالحزن والخوف والدموع والشهقات؟ فلا تتحسر على عمرٍ قضيته مرغماً عنك ستفارقه.. والسبعون حضوراً كانت أشبيه برقة حلم.."(2)

تبعد النصوص أقرب إلى الشعر الذاتي بدايةً، ثم تتحول إلى سيرة عذاب ومعاناة يتخللها بعض ألق، وبعض فرح، وبعض حكمة مما خزنته السنون في وجдан حساس؛ فمن (أول الحكاية) كان "عود القصب" النحيل كدوري الشتاء يذكر أيامه المزقة فوق أحسننة القصب، وأوردة المطر، وبرد كوانين، وبين "فوق / قريباً من الزرقة البعيدة" حين يكون وأصحابه الأقرب إلى السماء.. والأقرب إلى النجوم، الأقرب إلى الله.(3)

حين يمدد يده مغافلاً النجوم.. ومحاولاً قطع نجمة ليقدمها لأمه في عيدها..
فقط من فوق صخرة عالية كوخ صغير..، إلى مصطبة الجدة "أم علي مارية"
والصبية الذين يتحلقون حولها لسماع حكاية ولادتهم.. إلى شتاءات البرد الذي ينixer
ال Osman، ويبلل بقايا الثياب المدرسية.. في المدرسة "أم ساموكين" التي صقلت ما
تعلمه عود القصب في دار الكتاب.. والعم أحمد.. وقضيب الرمان، وكتابة
الأسماء.. والسفر بين المدينة "اللاذقية" وزهرة الريح.. ثم حلب، ودمشق، الحسكة،
ودير الزور.. ثم إلى بلاد الله الواسعة: باريس، وتشيلي ومدنها.. واليمن، تونس،
وبغداد.. وسواها.. وذكريات مهمًا أضجع من نيعها لا تجف ولا تنتهي.

وربما شجّعه على الترحال حكايات جده "محمد" "الأمليكاني" الذي غرس في ذهن عود القصب حب السفر والترحال.. وغذاه بحكمة الحياة.. يسأل الطفل جده / طالما كنت ميسوطنين.. لماذا رجعتم؟! ويجيب الجد : "ليس للغريب سوى أهله.." (4)، وليلقول له حكمة خبرها الجد في التجوال بين المدن.. "كل القرى.. زهرة الرياح.. يا جدي.." "ليس للجحور حدود.. ما من أرض وطئتها أقدام الطفاة إلا وشبعت جوراً، وظلماماً.. ليس للجحور حدود.. ليس للظلم وطن.." (5)

وتفيض الذكريات آسيّةً كأسى جريان نهر بطيء.. (فبعد غياب) عاد عود القصب.. ليجد نفسه عارياً كقمر.. غريباً كنبي.. منكسرًا كزهرة، حافياً كعصفور..(6)

ويتذكّر ما قالته أمّه يوم غادر للدراسة: " .. سنبيع ما فوقنا وما تحتنا كي تتعلم.. / وعندما كبرتُ أدركت أن لا شيء كان فوقنا إلا السماء.. وما كان تحتنا إلا التراب / .. حياتنا أشبه بثياب مهلهلة لفقيير عاثر".(7)

فيصرخ "ياء.. كم أنت جائز يا قهر؟!"(8)، ولعل من أكثر الذكريات روعة وأكثرها تأثيراً في المتألق تلك التي وردت في نص بعنوان "صباح عيد الأم": فشمة طفل حالي في القدمين ي يريد أن يأتي لأمه في عيدها بهدية تليق بأمه "ضعون" قديسة "عود القصب" "دوري الشتاء"، فذهب إلى كل مكان تقدر قدماه أن تطاله في ضياعة "زهرة الريح" يرافقه صديقه أحمد.. وبالمصادفة وفي غير أوان نضج الصبار، يعثر على ثمرة صبار ناضجة مختبئة بين ألواح الصبار.. فدون العسل.. إبر الصبار.. ول肯ه الحب.. فيرمي نفسه بين ألواح الصبار ليملئ الجسد الناحل واليدين والقدمين العاريتين بإبر الصبار.. وبالحب.. ينبت له جناحان.. يطير ليحطّ بين يدي قدسته "عيد مبارك عليك يا أمي" فتلتزج حبات الطين بدمع ساخنة من عيني قدسته، وقد أدركت أي ثمن دفع عصفورها الدوري ليحضر تلك الهدية.

ربما كانت نصوص "زهرة الريح" تتمتع في معظمها بحساسية عالية؛ لأنها تتضح من الروح الشفافة للأديب صادق، إلا أن نص "صباح عيد الأم" من أكثرها تأثيراً، وأكثرها اكتنافاً بصدق المحبة، وعمق التضحية بين محبٍ ومحبوب.

ظل المكان في ذهن الأديب "بديع صبور" سيد الذكريات بل ملكها، فالمكان حميم في وجданه، وفي ذاكرته.. النبع والجبل، والبيت والمدرسة، والحقول، والبيادر، الجبال.. ولذلك شكلت قاموسه اللغوي والفنى مفردات الطبيعة، فمعجمه جلّه يعج بمفردات الأماكن، حيث نكاد لا نعثر في معجمه على مفردات العشق والهياق، وما يشغل بال فتىً يافع.. فحين يذكر النبع، يذكر فتياته بشحيخ المفردات والكلمات، بينما يستفيض بذكر الورود، والسنابل والثمار، والخبز، والريح، والبرد والمطر.. "عندما رجعت إلى مسقط رأسي هذه السنة.. عصراً

مررتُ من هناك لأنقذ ما كان.. لا أشجار.. ولا عين برانية أو جوانية، ولا جرن أو مزراب.. ولا غدق في ذلك المكان.. ولا رحلة ماء.. ولا سمفونية غريب كانت تطلقها عصافير الدوري، مختلطة مع دفق المياه.. ولاأطفال.. سُويَ المكان، وهَدَمَ البلدوzer حجارة العين.." (9)

وهل يمر العمر، وتفيض الذكريات من دون وطن، وكفاح من أجله، ومن أجل عزته، وكرامته.. فما أن يأتي زمن النكسة حتى تستفيض ذكريات الوطن والنضال.. ولما يتجاوز الفتى الصف الثالث الإعدادي ليكون مع المتدربين "المناضلين الصغار" والأشاوس كما كان يدعوهم المعلم "ناصر" .. حتى ينتصر الوطن، وتتعود الأرض السلبية.. ولعل من أجمل لقطات النضال في فيض الذكريات ما جاء في نص "نبع السماء.. بوابة الياسمين" حيث قدم كونه برلمانياً رسالة حب مفتوحة إلى البرلمانيين المجتمعين في المؤتمر الدولي للبرلمانيين العالميين بدورة 128 / في كيبيو / الأكوادور / في أمريكا الجنوبية، ليقول عن سوريا: "بوابة النبوءات، ومركبة الريح الصاعدة إلى السماء" (10) ، وليذكر أنها منذ ولد التاريخ وهي مهد السلام.. ويذكر بما قاله شاعرها "ميلاغر" 140 ق.م: "أنا الشاعر (ميلاغر) من سوريا، إننا نقطن بلدًا واحدًا هو العالم، والذي أتيتكَ وأنبت كل البشر.. أرجوك إنْ مررت في سوريا، فارم السلام، وسترى طيفي واقفاً ليجييك بـ (وعليك السلام)" (11).

أما اللغة فكانت تفيض بساطةً وأنسًاً، دون أية فذلكات تدخل الملتقي في متاهة أو أحجية - قد تكون محببة - إلا أنها كروح الأديب شفافة سمححة بسيطة، صافية.

وأما التقنية، فكانت تقوم على نصوص يختلط فيها الأدب بالسيرة، بالذكريات المعجونة برائحة المكان، وعقب مطره وزهره وينابيعه.. وفي كل نص يسرد حادثة أو حوادث بأسلوب قصصي سيرري، ثم يخرج بمقدولة أو حكمة، ففي نص "ذكريات عن الجوار" يتحدث عن كل ما يسبب الجور في وطن سماء "زهرة الريح" ، ويخرج بمقدولة: "الحياة التي لا تعطي لكوخنا باباً.. كيف تريدها أن تعطي لأقدامنا دروباً؟" (12)

إنها نصوص لا يمكن أن نصنفها ضمن نمط منجز من أنماط الأدب، ولكنها تفيض مشاعر وأحاسيس، إنها روح يسفحها صاحبها فوق الورق، يختلط فيها أسلوب القصيدة، والقصة القصيرة، والرواية، والسيرة، وربما المقالة أحياناً.

يُفْكِهُ الكاتب قارئه بين حينٍ ونصٍ بمفردات الضياعة، فيحفزه لعرفة دلالتها المحببة البسيطة؛ فالساموك، والطاسة، والزهورية، والشتي، والجندrama، والتّبيعة، والشرشي، والبوسطة، ومعشة الدجاج، ولعبة المشتك، ولعبة المكبة.. وغيرها كثير مما تفيض به الذاكرة المتوقدة للكاتب من جزئيات حميمة تفيض بها حياة الضياعة.

إنه الأديب الذي يبدو في "زهرة الريح" مسكوناً بالماضي القاسي، المستعاد بألق وجاذبية وجمال، الذي يحمل ذكريات فتى عجنته المعاناة القاسية، وصفاته الأيام، ورحلة العمر. ليقدم في هذا السفر روحًا شفافة، بھية بحب البشر والتاريخ والأرض، والشمس والمطر، والجبال..

"سرخ بصرك كقطيع وعولٍ فوق الجبال

رذاذ المطر يعانق عرائس الشمس

قوس قزح وأسراب طيور تحلق فوق الجبال..

تماهي مع الغيم.. تبتعد الطيور

يتلاشى الغيم.. تغيب الشمس

وتبقى الجبال"(13)

إنه بديع صقور "زهرة الريح، عود القصب وعصفور الدوري الشتائي.."

الهواش:

- (1) صقور، بديع: زهرة الريح.. وتبقى الجبال: وزارة الثقافة، دمشق، 2019، ص 24.
- (2) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 21.
- (3) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 45.
- (4) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 77.
- (5) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 76.
- (6) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 99.
- (7) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 102.
- (8) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 83.
- (9) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 81.
- (10) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 476.
- (11) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 477.
- (12) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 78.
- (13) صقور، بديع: المصدر السابق، ص 22.



كاتب... وكتاب

قراءة في رواية عرب
أمريكا

عندما تكتب كلاديس مطر

بقلم: أ. عبد الكريم الخير

قراءة في رواية عرب أمريكا

عندما تكتب كلاديس مطر

أ. عبد الكريم الخير



اخترت هذا العنوان للدخول في محارب الإبداع الساخر كدليل – ولا أجرؤ على قول ناقد – لأن النقد الاستعراضي لا يخلو من إحدى ثلث خصال، الحسد أو الادعاء، أو الجهل، وهذه الخصال جميعها لا تخلو من التجني على الكاتب أو النص أو كليهما، أما وقد جئت دليلاً أكشف عما قرأت، وأعرف بما عرفت وأصف ما لمست، فالكاتبة التي تحمل الوطن همّاً وأمانة بكل جوارحها وتتمتع بعمق الرؤية وبعد النظر وصدق المشاعر وقد حباها الله بقدرة فائقة بالتعبير وسلامة اللغة وجرأة الحوار وقد عرفتها عن كثب فمنذ اندلعت الحرب المجنونة على سوريا الجبيبة أعلنت موقفها الصارخ والصادق على المنابر وفي خنادق المقاتلين تزورهم تشجعهم وتحمل لهم الهدايا ومشاعر العنان والحب.

بالأهل والتراب حتى آخر ذرة في حواري هذا الوطن، فأميرة وقد واتتها فرصة العمل في أمريكا التي تتظرها من قبل اندلاع الحرب وعنديما باعثتها الحرب المجنونة ترددت بعض الشيء إلا أن تشجيع والدها لها ، ترددت كيف تترك وطنها في مجنته وأباها في الخامسة والسبعين عاماً وحيداً على كرسيه المتحرك الذي جناه من مرحلة الوحدة السورية المصرية، هذه الوحدة الارتجالية التي اندفعنا لها بحماسنا القومي فقضت

من هنا نبدأ رحلتنا مع رواية عرب أمريكا تقلنا فيها الكاتبة عبر أماكن الحرب ومنعرجات القرار وتتابع الأيام والشهور بكل ما تحمل هذه القرارات من تآمر وتسعيرو بكل منعكستها على شعبنا من شهداء ودمار وتمزيق. وقد تبنت الكاتبة أسلوب السرد الشخصي بصيغة المتكلم حيناً وارتداء لبوس بطلة الرواية أميرة حيناً آخر، فهي الفتاة الدمشقية ابنة الشاعر الكبير انعام زين الدين الذي أورثها حب الوطن بكل تفاصيله والتعلق

الفنان الحقيقي هو الذي يبصر الواقع ويفهم مكنوناته ويمتد بصره إلى المستقبل فيقرأه رغم ضبابيته يرى ما لا يرى الآخرون، إنه بعدها بصيرته المكثرة يجمع بين الماضي والمنسي والحاضر المعاش والمستقبل المتخيّل، ثم يطلع علينا بلوحته مبيناً ما رأى بعينه بعيداً عن عيون الآخرين.

هكذا أميرة تذكرنا بت卜ؤات العرافين عبر عشرات العقود وربما القرون صدى الحروب الطاحنة والأوبئة القاتلة والجوع المميت وتوقعات النهاية غير قيامة، كل يريدها حسب مخزونه الفكري، ولكنها قادمة لا شك وهي الخلاص الحقيقي لكل معاناتها(ص10) كيف لنا أن ننتصر على القوى المتواحشة ونحن مهزومون من داخلنا جبناء في مجابهة أي عدو، لقد متّا منذ زمن بعيد ولم يبق إلا جسد آلي وعقل غافٍ(ص32).

دخلت أميرة مركز الدراسات المنتظر برفقة كاتي المبسمة دائمًا، كانت واثقة أنه تم قبولها في هذا التوقيت لغاية في نفس يعقوب ولكنها جاهزة للتحدي.. دخلت أميرة وهي مدبوغة بالانتفاء.. قد ترمعي لساعات في الحقول المجاورة وذلك لمعنة التغيير واكتشاف أماكن جديدة ومن ثم تعود لربطها مع بقية الخرمان المدبوغة

على عنفوان الأمة السورية كما يقول والدها، اذهب يا أميرة، فسوريا ستظل بخير وربما استطعت تقديم المساعدة من بعيد حيث القرار والإعلام أكثر من بقائك في خضم أتون مستعر، هنا في حارات دمشق العتيقة.. ودعت أميرة ابنة الخامسة والأربعين (قيميرتها)⁽¹⁾ وجيرانها وتركت والدها العاجز مع سيدة دمشقية تحرسه وتساعده..

حفظت أميرة عن أبيها أن الوحدة الارتجالية أورثت سورية دكتاتورية الأمن وقضت على (نفق) الديمقراطية الموجودة بها..(ص7).

حملت أميرة ذكرياتها الكثيرة عن حارتها وجيرانها ولدها والحرائق التي تعصف به ومضت في رحلتها تسائل نفسها وهي في الطائرة، ترى ماذا ينتظرني في لوس أنجلوس؟ الله وحده يعرف، أعرف أن الحرب ستختفت يوماً ما، ربما أكون ما زلت هنا تفصلني عن سورية مليون آه ودموع غزيرة حارقة، سأغمض عيني وأصلّي قليلاً من أجل راحة نفس الوطن وأولئك الذين ساروا طريق الجلجلة صامتين وواثقين.. أين أنا مقارنة بهم؟ لو كانت لي القدرة على تقبيل أقدامهم فرداً فرداً لما ترددت.. أنا معلقة في الهواء، وكذلك وطني(ص10).

(1) القيميرية: حارة من حواري دمشق القديمة

الثاني وشروعه في البكاء والغفاء العراقي القديم واسعاته الحزينة التي تدفع بصداقاته إلى الذهول ثم الابتعاد عنه ومع ذلك فقد رمم نفسه المنكسرة واستطاع الحصول على الدكتوراه من جامعة لوس أنجلوس وانخرط في حياة جديدة من التأمرك والظهور على الشاشات ليمجده الربيع العربي مبتعداً عن خلفيته الماركسية (ص36).. هكذا إذا، إليك يا أميرة هذا الملف ادرسيه جيداً (التميمة السياسية والأمنية في سورية... طريقة إعادة بناء مؤسسات الدولة وكيف نعيدها للبقاء والاستمرار)..(ص36)

أميركا تفكر بعقل واستغراب كيف ستوازن بين ما تعرفه عن يقين بما يجري بيدها وبين ما يريدون قوله على لسانها عمما يجري زيفاً وهل نسوا أنهم هم الذين زرعوا الإرهاب والدمار في بلدها..

تابع فاضل حديثه وقد أدرك ما يحول في خاطرها.. نحن بالحقيقة لا نثق بالدولة السورية، وأضاف ساخراً: هذه الدولة لا تعرف العلمانية وهم ما زالوا يتكلمون على الله..! لم يفت على فاضل أن أميرة لم تؤمن بكلامه الذي يعبر عن رغبة المركز الذي جنده وجندها للعمل به. وهي الآن أشد استغراباً من تصرف هؤلاء العرب المتشاففين وقد هجرروا

بالانتماء والحب لتمضي الليل ثم تنهض بالصباح لدورة جديدة من الرعي والتزاوج والإنتاج، حرية على بقائهما في حقول صديقة حيث الأمان (فوالدها علمها أن التمرد يتم ضمن أسوار حقله، وبلغة تليق بفهمك وثقافتك ولسبب حقيقي يقلع العين..) ورغم أن الحقول المجاورة لا تناسبها بالمطلق ولكن عليها الاختيار بدقة فليس كل طعام طعاماً يناسبها ولا كل الأفكار يمكنها تقبela..

دخل فاضل الهاشمي رئيس المركز مرحباً بها بلهجة عراقية تناسب عمره بمنتصف السبعينات وشعره الكثيف الأشيب وربطة عنق مرخية وسيكارة بين أصابعه وشرح لها كيف هرب من ديكتاتور العراق ورغم ما قاسى من ظلم وسجن حتى وصل أميركا بمساعدة السفارة الأمريكية وواسطة الصليب الأحمر إلا أن ثقافته الماركسية وأحلامه القومية والحضارية سقطت بفعل الحكومات المخادعة والحروب الطائفية ونشوء الإسلام السياسي المتضاد بفعل اختراق اليسار والناصرية.. ويتابع سرد ذكرياته فيدعّي أن مكانه الحقيقي بين المسيح والحسين والحلاج ومانديلا، لكن دخل الرجل أميركا وتهاوى صرح أحلامه وراح ينتقل من امرأة أمريكية لأخرى وفشل في الزواج بعد أن ابتعدن عنه جميعاً عندما كان يفتح نفسه وحقيقة شخصيته بعد كأس ال威سكي

ثم تنتقل الكاتبة في سردها من صيغة الغائب إلى المتكلم فتبليغ لبوس البطلة أميرة.. كاشفة عن بواطن إحساساتها بمنتهى المصداقية والموضوعية، بعد شهر على وجود أميرة في لوس أنجلوس أصبحت تعرف الجميع ليس بسبب ذكائي الفطري المفرط ولكن لأن (الكل بحاجة لأحد يكتب

أمامه ما بنفسه من وجع) (ص 44)

أبطال الرواية برغم تعددهم واختلاف انتماطهم لن يكونوا أغراضاً على القارئ ما دامت الكاتبة المبدعة ستعرّفهم وتقدمهم للقارئ بكل دوافعهم ومشاعرهم وبتوصيفها الدقيق لمظاهرهم الخارجية وما يعتمل في بواطنهم وكأنها تراهم بعينها النفادية التي تخترق ذاتهم حتى الأعماق.

مرام هذه المرأة الخمسينية الجميلة جاءت من سوريا وكانت زوجة أحد المسؤولين شفوفة بمظاهر الجمال والتحرر واستعراض بذخ الثروة التي تمتلك، تستطر عبارات الإطراء والإعجاب مما حدا بزوجها لطلاقها بعد أن ارتاب بتصرفها مع أحد زملائه، تركت زوجها وولديها وقدمت إلى بلد أحلامها مسلحة برصيد مالي جيد سمح لها بفتح مطعم شرقي والتعرف من خلاله للكثير من الأصدقاء.. وقد تعرفت عليها أميرة عند سماع مشاجرة صاحبة بين مرام وزوجها

بلدانهم والتجأوا للبلاد أحلامهم ناسين أنها هي التي دمرت بلدانهم وشعوبهم، ألم يستمعوا إليهم يقولون: عندما نريد تفتيت بلد ما يكفي أن نطلق إشاعة كبرى أن حرباً طائفية تفتاك بهم وينسحبون لكي يقوم الأغياء.. على حد قولهم - بكل البادي بما في ذلك التمويل..(ص 39)

في حفلة التعارف بالمركز راح فاضل يقدمها للآخرين.. دكتورة ميساء من تونس، دكتور إمام من مصر باحث وطبيب، دكتور سام موريسون من فلسطين ولبناني، الدكتور (حمد) باحث وصاحب فضائل على المركز..

شعرت أميرة بالغرابة بين زملائها الجدد وشركائها في السكن وفي قرارها نفسها كانت تعلم أنها لا تشبه أحداً منهم، إنها تشبه نفسها فقط، تشبه الشام.

الغرابة هي الكلمة الحقيقة التي أحست بها أميرة فهي هنا غريبة وفي عالم غريب بعيد عن الصدق والطيبة، الرقابة الفوقية كبيرة ورهيبة وهي التي تمسك بزمام الأمور في هذا المجتمع الغريب والمتاقض، بل لقد استشعرت بحدسها قرب انهيار هذا الصرح المتآكل من داخله، هنا ليس شعبها المتسامح الطيب رغم حياثاته، هنا كل شيء غامض وكله يسير إلى المجهول.

مجهول مما جعل حياته قاتمة وفقره مدقعاً وأخيراً تجاوز ذلك بجده وتوصل للعمل في المركز وأنه سيعود إلى مصر المضطربة بعد العثور على زوجته وابنته، وعرض عليها المساعدة فلهم نفس الهم وذات الدوافع، صحيح أنه لا يفهم ما يجري في سوريا لكنه يعلم أن هناك نوايا سيئة من أطراف خارجية عديدة.. حسناً هذا يكفيني قالت أميرة في نفسها والأيام كفيلة بكشف الحقائق.. (ص 53)

زيارة صباحية مفاجئة لرام تفاجئ أميرة التي أكرهت على سماع حديث مرام السطحي وتحليلها البعيد عن المنطق والوطنية، قدمت لها فنجان قهوة واستمعت لشكاوها وسيل دموعها وتذمرها من زوجها السوري الظالم الذي لا يسمح لولديه الاتصال بأمهما.

أما فاضل الذي لاحظ تقارب إمام المصري وأميرة السورية وشعر بالحنين لوطنه وأمته ولكن مماليته صاحب الدار وزدواج شخصيته ليحتفظ بمكاسبه ونمط حياته الجديدة. يعود الهم الوطني يدق أبواب روحها، اليوم مئة قذيفة هاون سقطت على شوارع دمشق وهزت سكانها وأرعبت أهلها وأجرت دماءهم حتى الشهادة.. وعندما التقت أميرة بزميلاها في العمل سام موريسون ودعاهما لجلسة قريباً من مكان اللقاء لم تمانع وهناك عرفها على نفسه، اسمي سمير

الجديد الذي طلقها متهمًا بصرفاتها بالعهر فخرجت تبكي وتصرخ بدموع أسالت كحل عينيها فوق حمرة خدودها، وهكذا تعرفت عليها أميرة وفي هذه الحالة ورأت أن ما يجري لرام وخلفياته له علاقة بما يجري لسوريا وشعبها.. وبعد أن ودعتها أيقنت أميرة أن هذه المرأة تحمل علم الشائرين في سوريا وحتى دوافعهم، وتقول تعقيباً: لو كان هذا اللقاء في سوريا لما تكرر ولنسى هذه المدعية وعطورها نفاذة الرائحة. وتابعت أميرة مبدية رأيها في هؤلاء اللاهثين وراء الأمركة المزيفة..

زبالة أزقتنا في الشام أحب من ناطحات السحاب، وكراسي العجائز أمام البيوت المشرعة للشمس أكثر حناناً من مكتباتهم المفروشة والمدفأة، والدروب في دمشق أكثر أماناً من طرقاتهم المحروسية بالكاميرات الخفية.. (ص 47)

إمام الاسكندراني طبيب مصرى، قريبه من أميرة حب الوطن فعندما دعاها لفنجان قهوة، شرح لها ناصريته السابقة، وحبه لسوريا ومصر ولتراث البلدين وكل تعرى في دراسته هنا بسبب تأخر نيله شهادته ولأن زوجته كانت تعمل وتقدم له ولاهماله في التحسيل والحصول على عمل منتج فقد تركته وأخذت ابنته ذات الثلاثة عشر ربيعاً وغادرت إلى مكان

تحارب من دون هواة على أرض الشام، كل يوم أرى أزياء عسكرية جديدة تظهر لحىً طولية وأخرى حلقة تتباھي بالجھيم الذي تفته..

ويجيب الدكتور فاضل: كل الشخصيات التي كنت ترينيها ويعنكم النظام من ملاقاتها.. كلها هنا ورھن إشارتك، افتحي عقلك للطرف الآخر.. توازني وأعيدي البحث ثانية..

رواية عرب أمريكًا ليست حكاية عادية، إنها تاريخ طويل لأحلك أيام المحنه وليلاتها حالكة السواد، عشر سنوات تعاقب حافلة كل يوم أو ليلة بجديد وكل معركة بعده طارئ وأهداف خطيرة ومرعبة وقوافل الشهداء تمتد عبر الدروب، كل تلة أو جبل، كل واد وكل قرية أو مدينة وكل الأشخاص يجسدون مواقف مختلفة، ولأنك في ميدان الشر فالجميع ينفثون السموم وحتم الحقد ناسين أنهم ببعدهم عن بلادهم فهم ابتعدوا عن الحقائق وعن فهم المشهد أصلًا، بل ابتعدوا عن مصالح أوطانهم ومصالح شعوبهم.. وكل إيجاز في هذا العرض يسبب تشويهاً للتاريخ القريب والذي سيصبح بعيداً فيما بعد، ومن هنا كانت مهمة الكاتب في غاية الصعوبة ولكنها كلadiس مطر ببراعة موضوعية ومن خلال شخصوص الرواية وصوابية التحليل وروعة الوصف وال الحوار

حوابشة، دخلت أميركا وأنهيت دراستي وأصبحت بروفيسوراً وأنا من موالي드 مخيم عين الحلوة بلبنان ودرست الجامعة في دمشق وقدمت لأميركا بجواز سفر لبناني.. تسأله أميرة إذاً أنت فلسطيني؟ بلد العبور ضاحكاً، كنت أزور سوريا مرتين كل عام وكانت أحسد كل فلسطيني يعيش فيها أنا أحب الشام ولكني أكره النظام فيها وأرجو لا أكون قد أزعجتك؟ لقد اعتدت على هذا الكلام من بعض الفلسطينيين خلال هذه الحرب على البلد.. غريب أليس كذلك؟

يا عزيزتي أنا أفهمك، سماع الحقيقة أصعب من قلع الضرس تماماً لهذا لم يرد البعض سمعها، علمت منه أنه متزوج من أردنية وله منها ولد أصبح في الثامنة والعشرين يعيشان في مكان قريب من لوس أنجلوس بعد ابتعاده عنهم وهو الآن متزوج من أمريكية وله منها ولد في الرابعة عشرة.. غالباً مبتسماً ومرتاح في البيون حول عنقه والباب يفي يده.. نظرتنا عن الوطن مختلفة.. وعندما ودعته نسيت اسمه الحقيقي سمير حوابشة عن قصد ما دام اختار لنفسه سام موريسون اسماً.

قدّمت بحثي للدكتور فاضل الهاشمي.. كنت أرى بعيني المتعابتين وجوهاً بعضها أتمنى تقبيله وأخرى أتمنى أن أبصق عليها، عشرات الفسائل

دخلت على فاضل لأقول له أريد مراسلاً واحداً للمركز في دمشق، أخفي كأس الـ ويـ كـي وراء الملفات المتراكمة.. حدثه بهدوء بما أفكـر وسأقدم لك المـ لـ كـامـلاً، أـ جـابـ اـكتـبـي ما تـريـنـهـ منـاسـباًـ وـبـأـيـ مـوـضـوـعـ يـتـعـلـقـ بـسـورـياـ،ـ لـكـنـ أـنـجـزـيـ المـ لـفـ الذـيـ طـلـبـتـهـ مـنـكـ وـبـسـرـعـةـ..ـ قـالـ باـقتـضـابـ.

خرجـتـ،ـ لـحـقـ بـيـ سـامـ ليـبرـ مـوقـفـهـماـ،ـ وـأـنـتـ خـفـيـ منـ جـدـتـكـ وـلـاـ تـدـافـعـيـ عنـ الـأـنـظـمـةـ الـفـاسـدـةـ..ـ (ـحاـولـ التـوـدـدـ)ـ أـمـضـتـ أمـيرـةـ اللـيـلـ فيـ مـلاـحـقـةـ ما يـجـريـ فيـ سـورـيـةـ،ـ قـرـأـتـ عنـ أـمـهـاتـ فـقـدـنـ أـوـلـادـهـنـ منـ أـجـلـ بـقـاءـ الـآخـرـينـ فيـ أـمـانـ،ـ قـرـأـتـ عنـ مـنـشـقـيـنـ باـعـواـ وـآخـرـينـ قـبـضـواـ،ـ قـرـأـتـ أـيـضـاـ عنـ مـوـالـيـنـ باـعـواـ وـقـبـضـواـ،ـ قـرـأـتـ عنـ الـأـطـفـالـ الـذـيـنـ تـوـقـفـواـ عنـ الـذـهـابـ إـلـىـ مـدارـسـهـمـ الـتـيـ قـصـفـتـ أوـ،ـ الـتـيـ أـصـبـحـتـ مـلـاـذاـ لـلـمـشـرـدـيـنـ بلاـ بـيـتـ،ـ قـرـأـتـ عنـ الـذـيـنـ عـارـضـواـ وـفـرـّـواـ وـتـجـؤـواـ لـغـرـيـاءـ،ـ وـعـنـ الـمـعـارـضـيـنـ الـذـيـنـ بـقـواـ فيـ الـبـلـادـ يـحـمـونـهاـ بـرـمـوشـ الـعـيـنـ،ـ قـرـأـتـ عنـ الـعـدـوـ الـقـرـيبـ يـسـكـنـ فيـ الـبـيـتـ الـمـقـابـلـ منـ نـفـسـ الـمـبـنـيـ وـعـنـ قـصـصـ الـأـنـتـقـامـ الـكـثـيـرةـ الـتـيـ ظـهـرـتـ عـلـىـ السـطـحـ،ـ وـاستـتـنـجـتـ أـنـ وـرـاءـ ذـلـكـ أـوـ مـعـظـمـهـ،ـ أـشـبـ بـرـيـطـةـ عـنـقـ مـرـخـيـةـ،ـ أـوـ مـنـاضـلـ نـسـيـ قـضـيـتـهـ وـغـيـرـ اسمـهـ الـعـرـبـيـ وـزـوـجـتـهـ الـعـرـبـيـةـ بـأـمـيرـكـيـةـ..ـ ماـذـاـ تـفـعـلـ أـمـيرـةـ وـقـدـ وـضـعـهـاـ الـقـدـرـ وـسـطـ

وـدـقـةـ السـرـدـ قـدـمـتـ الصـورـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـلـعـيـنـ الـبـصـيرـةـ،ـ مـثـلـاـ أـهـمـلـتـ مـلـفـ فـاضـلـ رـغـمـ إـلـحـاحـهـ وـقـامـتـ بـعـدـ اـطـلـاعـهـاـ عـلـىـ أـحـوـالـ مـئـاتـ النـسـاءـ وـالـفـتـيـاتـ الـعـرـاقـيـاتـ وـالـسـوـرـيـاتـ الـلـوـاـتـيـ تـعـرـضـنـ لـجـهـادـ الـنـكـاحـ بـلـ أـبـشـعـ أـسـالـيـبـ الـاغـتصـابـ وـالـزـنـىـ الـمـحـرـمـ وـأـنـتـهـكـنـ بـأـبـشـعـ وـأـقـسـىـ الـأـسـالـيـبـ مـاـ يـعـتـبـرـهـ الـإـسـلـامـ الـحـقـيقـيـ أـكـبـرـ الـكـبـائـرـ بـلـ رـدـةـ حـقـيقـيـةـ عـنـ الدـيـنـ وـتـرـدـ بـالـأـخـلـاقـ وـالـقـيـمـ الـإـنـسـانـيـةـ وـجـمـعـتـ أـمـيـرـةـ مـلـفـ مـخـتـصـراـ وـمـوـثـقـاـ عـنـ هـذـهـ الـحـقـائقـ وـقـدـمـتـ لـكـلـ زـمـيلـ فـيـ الدـارـ نـسـخـةـ مـنـهـاـ،ـ وـكـأـنـهـاـ فـجـرـتـ قـبـلـهـاـ الـأـوـلـىـ فـيـ الدـارـ،ـ ثـارـتـ شـائـرـةـ الـرـجـلـيـنـ فـاضـلـ وـسـامـ وـاحـتجـواـ لـأـمـواـ وـعـتـبـواـ بـهـيـاجـ..ـ رـدـتـ بـالـحـجـجـ الـمـقـنـعـةـ،ـ لـسـتـمـ وـحدـكـمـ مـنـ تـصـدـقـونـ تـحـرـيـضـ دـاعـيـةـ هـنـاـ وـمـفـتـ هـنـاكـ،ـ حـتـىـ أـلـمـانـيـاـ قـبـلـتـ عـودـةـ أـبـيـ حـنـيفـ الـدـاعـشـيـ رـغـمـ إـنـ إـحـدـيـ ضـحـيـاهـ الـتـيـ تـتـعـالـجـ فـيـ أـلـمـانـيـاـ صـورـتـهـ وـرـفـعـتـ تـقـرـيرـاـ وـشـكـوـيـ ضـدـهـ.

تـقـولـ أـمـيـرـةـ:ـ الـعـالـمـ جـنـ إـنـكـارـ الـرـجـلـيـنـ الـبـاحـثـيـنـ،ـ لـأـعـرـفـ كـيـفـ أـكـتـبـ عـنـ سـورـيـةـ وـكـلـ يـوـمـ يـتـفـجـرـ بـيـنـ قـدـمـيـ لـعـمـ،ـ يـلـزـمـنـيـ عـمـودـ نـيـرـ الـجـوـامـيـسـ لـأـنـهـاـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـيـوـلـ الشـاذـةـ النـائـمـةـ وـالـتـيـ اـسـتـفـاقـتـ مـثـلـ وـحـشـ جـائـعـ..ـ أـيـ إـلـهـ يـفـتـيـ أـوـ يـرـضـيـ أـوـ يـسـكـتـ عـلـىـ تـصـرـفـاتـ هـذـهـ الـوـحـوشـ.

لولا حاجته للمال لما بقي يوماً واحداً في ذلك المنزل، في حين كانت هداية مرتاحه في ذلك المنزل وهذا الملاذ الذي ترى فيه ابنها بعيداً عن الانحراف.. لذلك فقد انتقل سمير للعمل في مركز الدراسات بمنطقة بعيدة وبقيت زوجته مع ابنها تتبع حيث البيئة التي ترثا بها مع عمر وببعض الدعم المادي من زوجها الذي حصل على الجنسية الأمريكية للعائلة، وأصبح كما يشتهر (سام ماريسون) وظلت هداية عضواً فاعلاً في الجمعية المتأسلمة بعيداً عن عيون زوجها، وحين بلغ عمر الرابعة عشرة من عمره، كان قد تحول إلى إسلامي كما أراد له الجامع وبدأ الصراع بين تربيته الجديدة وبين رغبه أبيه المتأمر وحياته. لذلك فقد خرج عن طوره ذات مرة واستغل غياب والديه، دخل مكتب والده وحطّم زجاجات الكحول ثم خرج إلى المراقب فحطّم سيارة أبيه الثانية وراح يكسر كل ما يراه ثم وقع منها رأوا بيكي، وحضرت الشرطة بعد اتصال الجيران وحضرت أمه، ثم حضر الوالد مصدوماً لما رأى، حقق الشرطي مع الولد، يريد معرفة سبب ما جرى وبعد أن تأكّد أن السبب ليس ظلم الوالد ولا دوافع تحرش أو ضرب للوالدة، بعد نفي الوالد كل هذه الدوافع وتأكيده فقط أنه لا يريد لوالده أن يتزاول الخمر، وتدخل سمير بحكمة وأقنع الشرطي أنه

جمع من الأعراب (ص82) يحملون في داخلهم رواسب البهرجة والزيف المصور كديمقراطية الدول المتحضره، ويحملون بالتغيير الزائف من الجاهلية إلى التمدن المنشود لديهم في الدول الكبرى حيث الجنس والمال والظلم الملون، ولقد أتوا هريراً من الفقر والضعف وراح كل منهم يحلم بصورة لحياته الجديدة، ومستقبله القادر ناسين شعوبهم وبلدانهم والنضال لقضاياها السياسية.

سمير الحوابشة الذي تلقى علومه في دمشق ونال شهادته الجامعية بيسر وسلامة ثم انتقل إلى مخيم عين الحلوة في لبنان، وكان إلى حدّ ما بعيداً عن التعصب الديني، وزوجته هداية التي تفكّر بطريقة أخرى حسب تربيتها المحافظة، وعندما وصلت العائلة إلى أميركا في منتصف الثمانينيات يحملان ابنهما ذا السنوات الثلاث، سكنت العائلة بيتاً أمنه لهم بعض العرب الذين شكلوا مجمعاً ثقافياً بالظاهر وإسلامياً متطرفاً في الخفاء.

وفي حين نفر سمير من هذه المجموعة، التي أخذت تمارس عليهم ضغطاً مستمراً لحضور الاجتماعات السرية والخطب الطويلة في الجامع تشتم أميركا الكافرة وتدعوه للتهيؤ لليوم العظيم الذي ستقوم به دولة الحق (الإسلامية) وقد عبر سمير لزوجته بأنه

أبيها، وفي عملها بأميركا لا ينفك الصراع بينها وبين زملائها في العمل، الشامتين بالنظام والباحثين عن حياة جديدة في ظل نظام يدمّر بلدانهم ويفتها تحت شعار الربيع العربي، أميرة تتسم نفسها وسط هذا الصراع وتتسى خصوصيتها كأنثى، الأنوثة تخجل من نفسها في الحروب كما تقول فكيف عمن تحمل هم الوطن..

دخلت أميرة مكتب فاضل الهاشمي فرأته جالساً مع حمد بكل أريحية وانسجام دعاها فاضل للجلوس وتناول القهوة معهما، إلا أن دخول سام الماجي وش��واه مما حلّ به من هرب ابنه وانضمامه للمجاهدين بسوريا غير الجو قليلاً، حمد يهنته ويُسخر من تهويل الأمر بدلاً من تهنته والدعاء بالعودة منتصراً.. وقع كلام حمد كالقنبلة على رأس سام وفاضل، أما أنا تقول أميرة فسألته لا بأس أن يذهب إلى سوريا يدمّرها المهم أن لا يفقد حياته؟ لا بأس أن يدمّر بلداً عربياً لم يزره مرّة واحدة في حياته ولا يربطه به سوى الدين واللغة..؟ تدخل فاضل مطالباً بعينه آلاً أتورط كثيراً مع هذا الرجل وراح يعتذر بشكل عصبي ناقلاً يده من كتفي لكتف حمد.. تقول أميرة شعرت أني أحضر مسرحية عبّية في مشفى المجانين (لم تعلمني الشام كل هذا التطرف رغم كل مصائبها).

سيحل الموضوع وستكون هذه المرة الأولى والأخيرة، واحتضن ولده ليدفعه لتخفيض توتر المشهد وفي البيت حكى لوالده عن التناقض الذي يعيشه بين مدرسته حيث الحرية والتحرر ونظرات الساخرية له رغم تفوقه وبين بيئته مع أخيه وفي الجامع حيث يعود إلى الجو المتزمن، مما حدا بسمير طلاق زوجته التي أخفت عنه كل هذه الأمور وياً مهراً بأن لا تضطر على ابنه بالذهاب إلى الجامع ورغم ندمها ووعودها بذلك إلا أن السيف قد سبق العدل.

عمر يفجر قبلة جديدة فبعد نجاحه في شهادته قام بخداع أخيه وقال بأنه مسافر إلى سان فرانسيسكو للاحتفال بذلك إلا أنه كان يخطط للسفر إلى إسطنبول وهكذا كان، وقد أخبرها عند وصوله أنه أصبح في إسطنبول، وأنه سينضم إلى مجاهدي الدولة الإسلامية في سوريا كما هيأ له العاملون في المجمع والجامع..

ضربة صادمة للأبوين، عمر يذهب بزي سائح أميركي ويصل منطقة فاتح حيث يتنتظره من سيوصلونه أخيراً إلى أيدي المجاهدين..

عاد سام إلى زوجته الأميركيّة وابنه ذي الأربع عشر ربيعاً، ببيونتيه التي يختال بها ظاناً أنه صار أميركياً، أميرة تتبع أخبار سوريا بكل الوسائل التكنولوجية والورقية وبتواصلها مع

وينفذ نفسه من داعش وهو يعلم أي شيء لذلك، نقدر عمر ببعض المال مساعدة له، وكان عمر قد أحضر المال ليؤهله نفسه للجهاد تدريباً وتسلیحاً واستمراً للحياة، بيد أنه بعد حکایة أحمد بيرجکلی أخذ يفكـر..

أميرة البطلة تتواصل مع أبيها المريض.. يبلغها عن انهمار الصواريخ على سوريا كالجحيم كل يوم وبصوته الواهي يخبرها، لقد تعينا حتى الموت.. تراقب الشاشات وتقرأ الأخبار تعب عقلها هي أيضاً، أخذ يتداعى ودموعها تخرج بألم وحرقة، هذا سام ماريـسون المتأمرـك ترك فلسطين تعانـي وهـرب من النـضـال وهذا فاضـل الـهاـشـميـ العـراـقـيـ أـضـاعـ وأـمـثالـهـ العـراـقـ وهـربـ إـلـىـ بلدـ عـدوـهـ اللـدـودـ وـحتـىـ حـمدـ المـثـلـيـ الجـلـفـ الحـقـيرـ مـسـلحـاـ بـأـموـالـ التـآـمـرـ يـمـطـرـهـاـ بـكـلامـ يـحرـقـ قـبـلـهـاـ كـنـارـ وـسـتـضـيـعـ بـلـادـكـ لـأـسـبـابـ آخرـيـ وـسـيـضـيـعـ العـرـبـ كـلـهـ لـهـرـوبـهـمـ منـ دائـرةـ العـقـلـ وـالـحـقـيقـةـ وـمـنـ سـاحـاتـ النـضـالـ وـسـتـضـيـعـ بـلـادـنـكـمـ.. هـكـذـاـ تـأـفـلـ الحـضـارـاتـ وـتـمـوتـ الشـعـوبـ وـتـزوـيـ آـثـارـهـمـ فيـ الـوـحـلـ، نـكـرـ أـخـطـاءـنـاـ.. كـيـفـ وـصـلـ هـذـاـ العـقـلـ إـلـىـ حـتـفـهـ.. تـتـابـعـ.. مـذـ وـعـيـتـ عـلـىـ الدـنـيـاـ قـالـواـ لـيـ هـذـهـ الطـرـيقـ إـلـىـ فـلـسـطـينـ وـسـنـحـرـرـهـاـ وـنـرـفـعـ رـأـسـنـاـ عـالـيـاـ، مـشـيـتـ وـرـفـعـتـ الـعـلـمـ مـعـ الـآـخـرـينـ إـلـىـ أـنـ رـأـيـتـهـمـ يـرـمـونـ الـعـلـمـ وـيـأـخـذـونـ طـرـيقـاـ أـخـرـ سـأـلـتـ إـلـىـ أـيـنـ؟ـ قـالـواـ إـلـىـ دـمـشـقـ، ذـهـلتـ

انفردتـ بـسـامـ خـارـجـ المـرـكـزـ يـقـهـىـ قـرـيبـ، رـاحـ يـبـكـيـ كـطـفـلـ، تـرـكـتـهـ يـفـعـلـ، رـبـتـ عـلـىـ كـتـفـهـ حـتـىـ اـرـتـاحـتـ نـفـسـهـ، قـلـتـ لـهـ: دـعـناـ نـحـلـ الـأـمـورـ بـيـنـنـاـ نـحـنـ عـربـ، لـاـ تـخـبـرـ نـاسـيـ فـرـيـماـ يـكـونـ لـهـ حـسـابـاتـ أـخـرـىـ، قـالـ لـقـدـ عـلـمـتـ عـنـدـمـ رـأـتـهـ مـنـهـارـاـ عـنـدـ عـودـتـهـ بـالـفـجـرـ، مـسـحـتـ مـرـتـينـ عـلـىـ ظـهـرـهـ وـقـطـبـتـ جـبـينـهـاـ وـعـادـتـ لـلـنـوـمـ دـوـنـ أـيـ كـلـامـ، عـنـدـ ذـلـكـ شـعـرـ بـوـحدـتـهـ التـامـةـ يـقـنـعـ رـاوـغـ كـثـيـراـ لـيـقـنـعـ نـفـسـهـ أـنـهـ لـيـسـتـ كـذـلـكـ، لـقـدـ حـكـىـ كـثـيـراـ، أـخـرـجـ كـلـ ماـ فـيـ عـقـلـهـ كـمـنـ يـقـيـاـ بـسـبـبـ تـسـمـ، تـرـكـتـهـ يـفـعـلـ يـقـيـنـاـ بـأـنـهـ هـكـذـاـ يـشـفـيـ وـيـنـظـفـ، إـنـهـ تـقـولـ هـذـاـ العـرـبـ الـمـتـأـمـرـكـ مـرـيـضـ بـالـوـهـمـ وـهـوـ جـزـءـ مـنـ عـربـ أـمـيرـكـاـ.. نـاسـيـ بـعـدـ اـسـتـيـقـاظـهـاـ أـعـلـمـ مـكـتبـ الـFBIـ بـهـرـبـ اـبـنـ زـوـجـهـاـ عـمـرـ اـبـنـ سـامـ مـارـيـسـونـ إـلـىـ سـوـرـيـاـ بـقـصـدـ الـجـهـادـ مـعـ الـدـوـلـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ..

أـمـاـ عـمـرـ الـذـيـ سـافـرـ مـصـمـمـاـ عـلـىـ الـجـهـادـ كـمـاـ درـبـهـ مـشـغـلـوـهـ بـالـجـامـعـ فـقـدـ جـمـعـتـهـ الصـدـفـةـ بـزـمـيلـهـ كـانـ يـحـضـرـ مـعـ وـالـدـهـ جـلـسـاتـ الـجـامـعـ وـأـخـبـرـهـ بـعـودـتـهـ إـلـىـ الرـقـةـ مـعـ بـعـضـ الـمـالـ وـفـوـجـئـوـاـ بـالـدـوـاعـشـ الـذـينـ قـبـلـوـ الـرـقـةـ وـغـيرـهـاـ رـأـسـاـ عـلـىـ عـقـبـ، طـرـدـوـ الـوـالـدـيـنـ قـسـرـاـ وـجـنـدـوـاـ الـأـخـوـيـنـ وـقـدـ قـتـلـ أـحـدـهـمـ وـهـذـاـ الصـدـيقـ أـمـهـ بـرـجـکـلـيـ بـعـدـ مـشـاهـدـتـهـ لـأـفـعـالـهـ هـرـبـ إـلـىـ تـرـكـيـاـ لـيـعـيـنـ وـالـدـهـ الـمـرـيـضـ

فتكون تارة قدiseة وتارة أخرى لعوب متصابية يموت الألم على عتبة بيتها ولا يدخل إليه إلا ظلاله المتعددة، أنا لم أخلق لأكون أمّاً هكذا توكد مرام، (ويحدثونك عن الحرب، قل إنها عدوة المرأة الأولى، أما مرام فهي تعامل مع أحدها بسرعة ويسر وكيفما كانت لتتسى همومها وأتراحها وتعود إلى ما تبغيه من استمتاع وبهجة واستعراض مزيف) تدخل المصيبة إلى قلبها فتعالجها بالمساحيق والمجوهرات، وتخرج أخف وطأة وتطلق في حياتها من جديد..

تعود الكاتبة لسرد ما يحدث وكله مؤلم لأصحابه ولبلطنة التي ترى أبناء أمتها الممزقة كلهم ممزقون بين أحلامهم التي تهار وبين الواقع الذي ينبع بكلكله البائس وكما قلب أميرة الذي يتمزق على وطنها وعلى أبناء جلدتها المهزومين نفسياً وأخلاقياً.. صديقتها الأميركيّة تُسر لها أنها تشعر بمعاناتها وأنها تعلم ما يجري بسورية حقيقة، لكن الإعلام الرسمي يقول شيئاً مختلفاً، وهي كالكثيرين لا تجرؤ على قول ما لا يرضي سلطات بلادها.

سام تدمّر نفسياً فابنه ذهب إلى المجهول، وزوجته الثانية تخلت عنه كما الأولى ولكلِّ أسبابها..

إمام الذي يجمعها به عروته ووطنيته، تركته زوجته وصاحت ذلك

دمشق عزيزة محرة والسائلون إليها غرباء يحملون رايات سود وحين سالت عن طريق فلسطين قالوا إنه يمرّ من قلب دمشق من عمق دمار أقدم مدن التاريخ، كما مخطئين واليوم نعدل المسار، سيكون موت ودمار وستبكي الأمهات طويلاً وسوف لن تمحي المجازر من عقول الأطفال لأجيال (فلا كل هدف نبيل ثمن يجب دفعه).

تعود بنا الكاتبة إلى مرام العربية السورية المهاجرة من بلد الكفاح والصمود إلى أميركا بلد قتل الأوطان وقهـر الشعوب ولكن مرام كغيرها من الباحثين عن الحياة وملذاتها العاشقة للحياة ومباهجها، وقد جاءتاليوم تزف لها بشري عودتها من تركيا بعد زيارة ممتعة جمعت فيها ما استطاعت من المال الحرام وعادت فاشترت قصراً كما تقول زينته بما اشتهرت من الثريات والتحف واشتـرت سيارة فارهة تليق بها.. وهنا تتدخل الكاتبة لتعطي مقارنتها بين الجارتين أميرة ومرام وأن ما يجمع بينهما ليس أكثر مما يجمع بين الأم تيريزا وفتحية الشرفنجـق أو بين جميلة بوحيرـد وبين هيـلاري كلينتون.. فليـست كل النساء متشابهـات، بعضـهن جـبات فطرـتهنـ بالـنورـ، خـلقـنـ وـنورـ العالمـ يـخـرجـ منـ عـيونـهـنـ وـالبعـضـ الآـخـرـ جـبلـنـ بـوـحلـ الدـنـيـاـ، هـذـاـ العـصـرـ الـماـرقـ عـرـفـ كـيـفـ يـصـنـعـ اـمـرـأـةـ تـأـرـجـحـ بـيـنـ هـذـيـنـ الـحـدـيـنـ

يتقاسمان الفراش في بيت حمد كشريkin طبيعين..! هكذا إذن يا ابن الصحراء.. جئت إلى أميركا ليعتليك ساقط مثلث ويدلك وأنت تدعى العنتريات مع أدواتك الرخيصة في مؤسستك المأجورة.. إلى هذا الدرك وصلت عزتكم القومية يا عرب أميركا؟

وتمضي الكاتبة بملحقة شخص روايتها دون تدخل إلا مع القلة كـ عمر مثلاً فهذا الشاب يمثل شريحة من أبناء وطنها ضلاله الظروف وتربية والده الدينية البسيطة وظن أنه بذهابه إلى سوريا سيساهم بنشر الشرع الصحيح في دولة أو هم فيه بانحرافها الديني، إلا أن لقاءه المفاجئ برفيقه في الجامع أحمد برجكلي الذي حكم له ما جرى مع عائلته بعد عودتهم من أمريكا إلى بلدتهم الرقة السورية وكيف وقعوا فريسة للدواعش الخلافة المزعومة وكيف تمزقت عائلتهم بين ميت وقتيل وهرب إلى تركيا من بطشهم ووحشيتهم ليعمل بكم لمساعدة المتبقين من عائلته البائسة.. وكانت حكاية أحمد ناقوس (العقل عند عمر فراح يعمل فكره فيما حوله سائلاً نفسه هل أهداف هذه الخلافة تحتاج لهذا النجاح الروحي الأعمى؟).

اقرب عمر من شاطئ الفرات بعد مشاهدته تدريب المقاتلين بحماس

الأسود الأميركي الضخم ووافت أسيرة رغباته وفظاظته التي نفرت ابنتها فهربت مع صديقها اليهودي دافيد العاجز عن حمايتها والتجأت لبيت أبيها تمارس الجنس معه دون زواج، وعندما رأى أبوها الواقع المر الذي فرضته ابنته عليه تحطم مشاريعه وبدأ يبحث عن الخلاص..

هكذا إذاً أنها العرب الفارون من أوطانهم الحالون بالتغيير المزيف بعيداً عن واجباتكم تجاه شعوبكم وأوطانكم.

فاضل ذلك العراقي اليساري المارب من حريم حاكم دكتاتور يقع فريسة ازدواجية عجيبة بين سجادة الصلاة وأشعار التراث من جهة وبين إدمان الكحول من جهة ثانية راضياً الرضوخ لمطالب حمد السعودية مقابل المال ورضي بالعزلة بعد فشله المتكرر باختيار زوجة..

هكذا تمضي الحياة ونعيش الكذبة والتراقص في الدولة العظمى، يزحف الهمشيون على صدورهم ليلحقو بالجوانب الساقطة لمجتمع غريب، وبالصدفة بينما أميرة وصديقتها كاثي في المطعم تقضيان وقتاً ممتعاً على أنغام موسيقى الجاز تفاجأت بـ حمد يلفه.

حمد يلفه صديقه الموشوم حميمة مذلة، وعندما أخبرتها كاثي أن الجميع يعرفون طبيعة العلاقة بينهما وأنهما

قام وأتى بكتابين قدمهما لعمر (lahoot jihad) لأبو عبد الله المهاجر وكتاب (ادارة التوحش) لأبو بكر ناجي، إن قسوة القلوب في قطع الرؤوس أمر مطلوب من الله ورسوله، اقرأ الكتابين علينا أن لا نرحم الرهائن بل نقتلهم بقسوة، عندما دخلت أميركا العراق حدثت فوضى عظيمة وفتح باب جهنم على مصراعيه قالوا عنا إننا القاعدة وهذا يشرفنا ولكننا كنا تقطيم بعقيدة وبعد استشهاد أبو مصعب الزرقاوي أعلننا قيام الدولة الإسلامية في العراق وبدأنا نجمع كل فروع القاعدة وكانت أميركا قد زادت عدد جنودها إلى مئتي ألف وأخذوا يسعون لبناء الجيش العراقي على طريقتهم وراحوا يغرون قبائل السنة بالانضمام إليهم وعدم دعمنا، أما نحن فكنا نتحرك بمعرفتهم إلى أن استشهد (بن لادن) والزرقاوي) وجذنا نفساً محشورين في زاوية ضيقة فولينا علينا (أبا بكر البغدادي) وهو هو بعد ست سنوات أصبح أمير المؤمنين وزعيم دولتنا الإسلامية.. هكذا أنت لم تأت إلى شيء، نحن قوة كبرى وستصبح جزءاً منها (ص141) لقد التقى بالبغدادي في سجن بوكا في العراق الذي فتحه الأميركيون ثم أصبح جامعة تضم الكثير من الضباط والمخابرات ومسؤولين عن منظمة تموز النووية

وهيجان، أخذ يحدق بعقل مطفأ في الظلام الهاجع فوق سطح الماء اللامع إثر انعكاس ضوء يشع من بعيد وقد ظهر رجل خمسيني ملتح جلس بجوار عمر معرفاً بنفسه: أنا طارق العرياوي معروف للجميع باسم (أبو بكر) وأنا قائد المسكر، تربيت على كتب سيد قطب حاربت في أفغانستان وطردنا الروس السوفيات أعداء الله وأبهمنا الدنيا بما قمنا به وحطينا بالكثير من الأموال ودقنا طعم الجهاد هناك وأنت ستذوقه في سوريا حتى تنظف كل دولنا من الكفار، ومن سخرية الأقدار أن نجد أنفسنا نحن والأميركيين في القارب ذاته، كانت تصنان الأموال بطرق شتى وحاربنا عدواً مشتركاً آنذاك وهما نحن اليوم نحارب عدواً مشتركاً(ص136) انظر إلى هذا الجهاز المعقّد في يدي، إنه صناعة أميركية يمكنك الاتصال بواسطته حتى مع الله.. وأطلق ضحكة خبيثة أمام عمر الصامت.. إنني أحذركم كيف بدأت الأمور وكيف كبرت مجموعتنا حتى جعلت الدنيا تقف على قدميها تأهلاً.. سنصلح كل شيء ليس في الدنيا الإسلامية فحسب بل بكل العالم..

تركه عمر يروح بكل ما لديه بعناد وعجرفة ولقد عرفت القاعدة قدرى فوظفوني بتدريب المقاتلين في سوريا ثم

وكوابيس تريره أباه ميتاً ليفيق ويري نفسه في غازي عينتاب وليس في أنهايم وهكذا راح يحاور عقله بمعاناة شديدة، وتمضي الكاتبة في تسلیط الضوء لمرحلة سوداء من تاريخنا الأسود، كيف يلعب الإرهاب بعقول شبابنا تحريضاً دينياً مغلوطاً وتحقيقاً فكريأً متطرفاً ومشوهاً وإغراء بالمال والحوريات وتسلیحاً حديثاً لفتک المروع بأيدي السوريين تحت شعار هداية الكفار والمنحرفين.. كل ذلك تقدمه الكاتبة بسردية منطقية جميلة وبارعة لما يجري في سوريا المذubة وما تراه في أميركا لـ عربها التائهيـن.

هذا حمد الممول والموجه لقيادة حملة التحرير على دول الريع العربي وشعوبها وقد استمالته حرية الشهوات في زواريب الظلام الأميركيـة، تحول إلى بهيمة يعتليها ساقط الأميركيـي ويمارس معها أحـط ما يخطر ببال إنسان سوي لديه عزة الرجولة والكرامة، وهذا فاضل العراقي المناضل تكتشفه أميرة وصديقتها كاثي غالـبـاً عن الوعي في حمام مكتبه نصف عار بين البراز والكحول وبعد أن نقله المسعفون إلى المشفى يعطي مفتاح شقته لأميرة لتأتيه بثياب نظيفة وهناك تقاجأ بسجادة صلاة وذكريـات موجعة من التراث العراقي مما جعلها تتعاطـف معه في وحدته وازدواجـيـته وضيـاعـه..

والكثيرـ من البعـشـيين والـقاـومـة الوطنـية العـراـقـية.. وـكانـ لناـ شـيوـخـ يـعـلـمـونـاـ الـدـينـ وـحـفـظـ الـقـرـآنـ وـالـأـحـادـيـثـ النـبـوـيـةـ.. لـقدـ قـضـيـناـ أـيـامـاـ جـمـيلـةـ فيـ مـعـقـلـ بوـكـاـ وـخـرـجـنـاـ مـنـهـ أـقـوىـ جـسـديـاـ وـفـكـرـيـاـ يـجـمـعـنـاـ شـيـءـ وـاحـدـ (ـكـرهـ أـمـيرـكـاـ)ـ (ـصـ141ـ)ـ كـانـ الـبـغـدـادـيـ يـؤـمـنـ بـالـصـلـالـةـ وـيـحـمـسـنـاـ حـتـىـ أـنـهـ يـرـىـ فيـ الـإـخـوانـ الـمـسـلـمـينـ اـعـتـدـالـاـ لـأـنـؤـمـنـ بـهـ،ـ الـرـجـلـ مـعـجـزـةـ،ـ اـنـظـرـ هـنـاكـ دـوـلـ عـدـيدـ تـطـلـبـ رـأـسـهـ وـمـعـ ذـلـكـ فـقـدـ وـصـلـنـاـ إـلـىـ الـمـوـصـلـ وـأـعـلـنـاـ دـوـلـتـنـاـ وـأـصـبـحـنـاـ جـيـشـاـ قـوـيـاـ لـتـلـعـمـ أـنـتـاـ لـنـ نـكـفـيـ بـسـوـرـيـةـ وـالـعـرـاقـ وـسـنـصـلـ إـلـىـ كـلـ الدـوـلـ الـكـافـرـةـ،ـ شـدـ نـفـسـكـ،ـ قـتـلـ،ـ سـفـكـ،ـ دـمـاءـ لـكـنـ لـشـيءـ مـنـ دـوـنـ دـفـعـ ثـمـنـ (ـصـ142ـ).

ترك أبو بكر عمر مذهبـاـ،ـ إـنـهـ لمـ يـأـتـ لـيـنـفـذـ مـاـ يـقـولـهـ هـذـانـ الـكـتـابـانـ،ـ فـالـخـطـبـ الـتـيـ سـمـعـهـاـ فيـ جـامـعـةـ (ـانـهـاـيـمـ)ـ فيـ لـوـسـ آـنـجـلـسـ لـمـ تـتـحـدـثـ عـنـ هـذـهـ الـكـتـبـ،ـ رـبـماـ خـافـوـاـ مـنـ الـ (ـFBIـ)،ـ إـذـاـ أـيـنـ هـوـ إـلـاسـلـامـ الـذـيـ يـبـحـثـ عـنـهـ؟ـ فـكـرـ عـمـرـ..ـ ثـمـ بـاهـظـ يـاـ اللـهـ إـبـادـةـ..ـ بـلـ إـبـادـةـ لـلـجـمـيعـ بـمـاـ فـيـهـمـ نـحـنـ،ـ تـلـقـيـ عـمـرـ كـتـبـاـ أـخـرـىـ (ـلـابـنـ تـيـمـيـةـ)ـ وـرـاحـ يـسـمـعـ وـيـقـرـأـ وـيـتـدـرـبـ كـانـ يـشـارـكـ الـمـقـاتـلـينـ فيـ فـتـراتـ الـإـسـتـرـاحـةـ فـيـرـىـ وـيـسـمـعـ مـمـارـسـاتـهـمـ وـأـحـلـامـهـمـ السـرـيـةـ فيـ الـحـورـيـاتـ الـعـذـارـىـ وـفـرـاشـاتـ الـلـيـلـ فيـ جـنـةـ صـمـمـهـاـ خـيـالـهـ..ـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ جـعـلـتـ ذـهـنـ عـمـرـ يـشـتـتـ

إعلامية مسخرة لخدمة المؤامرة الاستعمارية وأدواتها العربية والإقليمية، اعتماداً على الدين والسياسة وهو معذوم الفهم الديني والسياسي.

- فاضل بإزدواجيته بين يسارية الادعاء وتراثية الانتماء وهو كما وصفه سام الحواشة بعد أن حلّ مكانه في إدارة المؤسسة حيث قال إنه داعشي أصلي وجاسوس يخبي أسراراً مرعبة وأنه لوطي وكذاب ويقبض من عدة دول نفطية..

- سمير الحواشة (سام) ازدواجي هو الآخر وعندما تركته زوجته الأمريكية بعد أن أخبرت الـ(FBI) عن هروب ابنه عمر لم يعرض خوفاً مناتهمه بالتواطؤ مع ابنه عمر وعاد للتودد لزوجته هداية بعد أن نبذته نانسي وابنه منها الناشط في حركة عدم السماح للغرباء القادمين إلى أمريكا بالحرية بما فيهم والده سام.. هذا وحل أمريكا الطري ذو الرائحة النفاذة..(ص 151)

وتضييف الكاتبة لن ترك أميرة تغوص في وحل أمريكا أما أميرة فتفول لقد ظهر لي إخوة وأخوات كثري في هذا البلد العجيب، كانت المصائب أمينا وأبانا المشتركين، أما في سوريا فقد فرقتنا المصيبة ونبت شارب الخصم الأسود فوق وجوه الجميع، لقد اختلفت كثيراً هنا مع الجميع لكن لم يكن الاختلاف كما

وهكذا تمضي الكاتبة في ملاحقة أبطالها في تفاصيل حياتهم ومشاعرهم مما يجعل القارئ على تماس مباشر مع ما يجري وما تعانيه البطلة الرئيسة أميرة مع هذه التوليفة المركبة العجيبة وكأنها مجموعة مندوبين لمجتمع غريب الألوان وتظل المهاجم الأساسية التي تشغل بالكاتبة تركز عليها الكاتبة لتقدم لوحة هامة الدلالات، واضحة الخطوط دقيقة الوصف:

1 - ما يجري في سوريا من تأمر كل قوى الشر العالمية والإقليمية والأدوات المحلية الغبية التي تساق وراء تحريض داعية أو إغراء مالي أو هيمنة إرهاب فكري مدروس بعناية.

2 - جموح بعض العرب إلى الهروب عن الأوطان متخلين عن الحقيقة جرياً وراء الشهرة أو المال أو لدعاوى الحقد والتشفي من فوقية مقيدة لأبناء جلدتهم.

3 - الواقع العام لدول عربية وغير عربية فقيرة ومتخلفة ترثى تحت نير حكام فاسدين ومن حولهم طفمة أشد فساداً تحميهم وتشجعهم وتسوق لفسادهم.. وتوزع أدوارهم..

- حمد مدير مؤسسة الدراسات التي تعمل بها أميرة، وهي مؤسسة

دقيقة لتجار الدم، وتضرب أم علاء رأسها، كيف وصلنا إلى هذا الجحيم هذا غضب من عند الله.. لقد قسمنا السماء والأرض فيما بيننا، أتفاق ليس لها آخر وغرف عمليات سرية، دويارات ظهرت في هذا الوطن تفصل بينها أمتار، وغاللنا تهرب إلى الخارج ويقبض الجميع عملولهم، بلدي أصبحت عواصم لدول جديدة والرقبة دولة الخلافة، دمشق دولة الكفر، لقد ذهبت سورية التي أحب، من يرجعها بمال الدنيا كلها؟.

أما مرام أنثى الملذات العابرة، عاشقة الحياة الاستعراضية الصاحبة ما إن أتاها خبر مصرع ابنها حتى انهارت كطفل حطموا لعبته الأثيرة وقطعوا حبله السري من أمه الحاملة، لذلك تلقت دعوة ابنتها لزيارتها والعيش معها في سورية بهدوء في حياة عائلية افتقدتها طويلاً فتركـت كل شيء وعادـت مفجوعة خائـبة.

إمام عاد إلى وطنه خائباً مفجوعاً هو الآخر بأحلامه ليرسل إشارة النصر من الإسكندرية لأميرة، راضياً بإياب ذليل وخسارة مؤلمة.

الآن وبعد أن تلقت أميرة نبأ وفاة والدها المهدئ مع ذكرياته المعطرة في صندوق ثياب زوجته، وكان قد بارك لها زواجهـا من مارك عبد الله موصـياً له بالحفظ على جوهرته الثمينـة، فلتـكن

حصل في سورية مع من أكلـتـ معهمـ الخـبـزـ والمـلحـ، حـربـ سـورـيـةـ رـفـعـتـ الغـطـاءـ عنـ طـنـجـةـ الـخـلـافـ العـمـلـاقـةـ وـظـهـرـ حـقـدـ الـكـثـيرـينـ عـلـىـ السـطـحـ، بـانـتـ شـرـيعـةـ الـغـابـ أولـ مـاـ لـاحـ شـبـحـ الـمـالـ وـالـرـيحـ منـ بـعـيدـ(صـ155ـ).

عـندـماـ اـتـصـلـتـ أـمـيـرـةـ معـ أـبـيهـاـ، شـكـاـ لـهـاـ عـزلـتـهـ لأنـ حـارـسـتـهـ أمـ عـلاءـ لمـ تـعـدـ قـادـرـةـ عـلـىـ الـمـجـيـءـ كـلـ يـوـمـ مـنـ الغـوـطـةـ إـلـىـ دـمـشـقـ فـقـدـ تـعـدـدـتـ الـحـوـاجـزـ مـنـ أـطـرـافـ مـخـلـفـةـ، وـهـيـ تـتـقـلـ يـوـمـيـاـ مـنـ مـسـكـنـهـاـ فيـ الغـوـطـةـ الشـرـقـيـةـ بـلـيـتـ انـعـامـ زـيـنـ الدـيـنـ وـالـدـأـمـيـرـةـ فيـ الـقـيـمـرـيـةـ تـعـبـتـ الـمـرـأـةـ الـطـيـبـةـ مـنـ الـمـرـرـوـلـ عـلـىـ عـشـرـاتـ الـحـوـاجـزـ الـمـخـلـفـةـ، لـمـ يـعـدـ جـسـدـهـاـ يـتـحـمـلـ انـهـاـكـ الـذـهـابـ وـالـإـيـابـ وـالـانتـظـارـ، كـانـتـ تـشـعـرـ وـكـأـنـهـاـ تـتـقـلـ بـيـنـ دـوـلـتـيـنـ، تـخـرـجـ هـوـيـتـهـاـ كـلـمـاـ تـوـقـفـ الـبـاصـ عـنـ حـاجـزـأـيـ بـرـمـيلـ وـعـلـمـ وـعـنـاصـرـ يـنـتـمـيـونـ لـجـهـةـ سـيـاسـيـةـ وـكـلـهـمـ مـسـلـحـوـنـ وـمـتـأـهـبـوـنـ لـلـإـطـلاقـ عـنـدـ أـيـ رـيـةـ، تـعـبـتـ مـنـ مـنـاظـرـ الشـوـارـعـ، فـالـزـيـالـةـ أـصـبـحـتـ أـكـوـاماـ، وـالـنـازـحـوـنـ مـنـ الـرـيفـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ ضـاعـفـوـاـ عـدـدـ سـكـانـ الـعـاصـمـةـ فـانـفـخـتـ بـهـمـ كـلـ عـائـلـتـيـنـ أوـ ثـلـاثـ تـقطـنـ بـيـتـاـ وـاحـداـ يـتـحـمـلـونـ قـلـةـ الـمـاءـ وـالـكـهـرـيـاءـ وـالـغـلـاءـ الـفـاحـشـ الـذـيـ أـصـبـحـ غـوـلـاـ يـفـوـقـ شـرـهـ شـرـ الـحـرـبـ عـلـىـ بـشـاعـتـهـاـ فـالـقـذـائـفـ لـاـ تـتـوـقـفـ، وـظـلـتـ الـبـضـائـعـ وـالـمـوـادـ الـغـذـائـيـةـ تـتـدـاـولـ بـيـنـ كـلـ الـجـهـاتـ وـبـحـسـابـاتـ

صدق بريئة حكت له كل ما جرى لها ولعائلتها من مهانة وقذارات وأن اسمها الحقيقي (أمينة) حولوه إلى (روجين) لضرورة عملها الجديد وكيف انتقلت من سوريا إلى تركيا حيث كانوا يديرون معمل الآمن الهدئ حيث كانوا يديرون معمل جوارب صغيرة قبل أن تحل عليهم الكبات وتتشرد العائلة ويموت بعض أفرادها تحت التعذيب والبرد القارس، ومن ثم انقطعت صلتها بأهلها وأدخلوها ميدان عملها الجديد عنوة.. ثم أجهشت في البكاء لهذا المصير الأسود وختمت حكايتها بأيمان مغلظة أنها بنت عائلة وناس شرفاء.

أميرة تقول عن نفسها: ما زالت ذاكرتي طرية ولم أتحول بعد إلى واحدة من عرب أمريكا بالمعنى الحقيقي، يساعدني على ذلك الواقع الحقيقي في داخلي على ما يصيب سوريا، فهناك الحب خجول وربما مأساوي والفرح يحتاج إلى تعاوينه تحميء من الهرب وطموحاتنا مكسورة الخاطر، أما في مدينة لوس أنجلوس المدمرة على بناء الصرح الدينية وصناعة الأفلام الإباحية في آن، المدمرة على ممارسة الفن من غير قيود والإبداعات فوق قدرات العقل، والمدمرة على القوانين الصارمة التي لا ترحم وكذلك الانفلات غير المفهوم.. إنه مجتمع المتاقضات ص 178.

احتفالية أميرة بأنوثتها ومضة أمل في هذه الرواية من تاريخنا الأسود.

أما عمر فلن تركه الكاتبة ضائعاً وهو أنموذج الشباب الذي أضله فتاوى الجهلة الحاقددين في مراكز مشبوهة وجامعأخذت دور الثكنات المموهة وانطلق مع غيره محملًا بالأسلحة الفتاكية لإقامة دولة التكفير والذبح.

Herb عمر من أحضان والدته في أنهaim ليلاقى في مدينة غازي عينتاب التركية قريباً من مناطق سيطرة داعش في شمال سوريا مما جعلها العاصمة الصامدة لهم يتلقون فيها الفكر الداعي للذبح بلا شفقة، وهنا قاده المدعو أبو بكر (قائد المعسكر) للتعرف على حياة غازي عينتاب الليلية حيث ترتع أكثر من مئة ألف فراشة ليل تصنع لتركيا سياحة الدعاارة المريحة، وفي النهار تتحول المدينة إلى مدينة الجنة العثمانية القديمة والطربوش وتحمل السبحة وتبسم...، أخيراً سلمه لحورية أوصاها بالاعتناء به قبل أن يكرمه الله بشهادة تأخذه لعالم الحوريات الآخر، وهنا تذكر عمر (مارغو) التي عرفته الجنس وللمرة الأولى في أميركا قبل سفره إلى الجهاد ص 161.

تعرف عمر لفتاة بخجل، ومن براءة عينيها علم ما لحق بها من ظلم دون شرح وطلب إليها أن ترتدي ثيابها، وفي جلسة

ونظرة عميقة من عينيه شدت إليه اهتمام أميرة لغفويته الصادقة) تابعت أميرة، في الوقت الذي تحفلون به وتطلقون الألعاب النارية وتحلقون حول البو فيه الشهي وتقاشفون أمرور الساعة وترافقون بعضكم البعض في احتفالية الفرح والبهجة هنا، هناك في سوريا صواريخ تطلق وأناس يموتون وأطفال يحرمون من مدارسهم وأهلهم ونساء ترمل أو تسبي.. لا توجد منطقة وسطى بين هنا وهناك إلا نحن، بكلمة واحدة أو قرار منكم يصبح الآلف فصيل محارب هناك فصيلاً واحداً محباً للبلد، ويخرج الغرباء من بلادي، أشعر بحزنكم وافهم هواجسكم، أعرف أن منكم من هو غاضب على وطنه لأنه تركه يرحل... تقولون في أنفسكم لو كان لنا ولطمومحاتنا مكان في وطننا لما رحلنا وجئنا نذوق المرّ في الغربة ولما رأينا أطفالنا الذين تحولوا إلى غرباء بالنسبة لنا.. نعم أطفالكم أصبحوا أمريكيين وأنتم ما زلتم عرباً، تجترون ذكريات قديمة جعلها الحنين جنة مفقودة، كلمة (لو) هي صديقة العربي في هذا المكان، تقتله هذه الكلمة كل يوم يجرها بأسف كل يوم وفي كل مناسبة لا تفعلوا هذا بأنفسكم، فإذا لم تستطعوا العودةاليوم فاحفظوا كرامة الوطن المتبقية ولا تكونوا أنتم والأهل والجيران سكاكين تنهش لحمه.. انظروا إلى لقد عشت أربع

عندما أنجزت مرام قصرها الخرافي بعد عودتها من تركيا، وزينته بكل ما يحتاج من ثريات وصور وتماثيل صغيرة ليبدو جديراً بأحلامها الاستعراضية وأقامت احتفالاً كرنفاليًّا فيه، دعت إليه كل معارفها وأصدقائها ليشاركونها الحفلة الصاحبة كليلة من العمر كما كتبت على بطاقات الدعوة، ودعت أميرة إليها كصديقة من بلد़ها، لبت أميرة الدعوة يحدوها شعورها بأنها امرأة من بلدها وتجمعهما الغربة وأحضرت معها صديقتها كاتي المبتسمة دائماً لكنها شعرت بالغربة وسط هذا الحضور الصاحب، استقبلتها مرام المغطاة بالمساحيق واحتضنتها وراحَت تدور معها في كل أرجاء القصر تريها كل تحفة أو نجفة وتعلن ثمنها الباهظ بسعادة طفلة صغيرة ثم طلبت من الفرقة الموسيقية التي تعزف على طرف حمام السباحة بالتوقف وسحبت الميكروفون وناولته لأميرة بعد أن قدمتها للحضور (الأستاذة أميرة زين الدين من سوريا) ارتبكت أميرة لبعض الوقت، ثم انطلقت في خطاب أرادته أن يكون الشيء الحقيقي في هذا الجو المزيف، قالت: (أنا أستاذة جامعية أدرس العلوم السياسية في جامعة دمشق، أتيت إلى هنا بموجب عقد عمل لمدة ثلاثة سنوات وبعدها سأعود إلى بلدي.. (اقترب رجل ستيوني وراح يصفني إليها باهتمام وعلى ثغره ابتسامة صافية

يريد ليطمئن عليها، كانت ابنتها التي تتصل بها - بعد سنوات من الجفاء - تدعوها للعودة إلى وطنها قائلة (ماما عودي، بيتي بيتك، لدى طفل سورييه معاً وانسي أمريكا ومن فيها..) قالت مرام بهدوء، سأعود لن أنتظر مصيبة أخرى.. كانت كلمات ابنتها أوكسجين اللحظة الأخيرة قبل الموت.. إني راحلة.. رحلت مرام على أول طائرة إلى بيروت وبالسيارة أكملت إلى دمشق.

وكان الكاتبة أفرغت ما تريد مما شهدته من بعض عرب أمريكا.. وجاء دور الحب في روايتها، فهو عنصر أساسي لأي رواية عظيمة، لكنها تريد حباً نقياً مبنياً على القيم الأخلاقية والوطنية الرفيعة الصادقة، بعد أن انتهت أميرة من ملاحقة فاضل - المنافق لإرضاء حمد - بعد أن فضحته تلك الليلة التي أوقعته بين لا وعيه وبرازله وبعد أن قدم لها شكره بعد صحوة قال لها أكتبي ما تشاءين وما ترين ولا تخشي أحداً حتى حمد فإنه لا يقرأ ولا يكتب وهو مشغول بصديقه وحسب ولا يهمه إلا أن يرى كل دولنا مخترقه بالفتح الإسلامي.. ابتلעה حوت الطائفية من زمن وانتهى أمره، ولا يجب على السوريين أن يخشوه أو يهتموا بأمثاله ما دامت سورية بخير.. فهمت يا أميرة؟

سنوات في الحرب وأنا عائدة قريباً إليه، وهذا أمر منته ومحظوم..

أطبق صمت غريب على الحضور، الكل همد ولم يستطع التقوه بكلمة.. اعتذرت أميرة من الحضور لأنها حولت الحفلة الجميلة إلى لحظات حزينة ولم يكن هذا قصدها، تركت الميكروفون جانبها بعد صرخة مدوية انطلقت من القصر حيث كانت مرام جاشية على الأرض مذهولة تبكي بحرقة، حيث اتصل بها زوجها من سوريا للتو يخبرها أن ابنهما الوحيد قد قتل، راحت تضرب فخذليها وتهز رأسها وقد ماع الكحل حول عينيها وتردد صارخة: ابني الوحيد اللي ما عندي غيرو مات، قوصوه ولاد الكلب.. وكان مرام ختمت خطاب أميرة بالدم وجعلته وشماً على جياه الجميع.

استشهد الشاب الذي كان يعمل مع إحدى لجان الدفاع عن الوطن على الحدود التي رسّمتها دولة الخلافة، وجيء به إلى والده ملفوفاً بعلم الوطن مضرباً بدمه..

بدأ المحتفون ينسّلون خارجين وأعيدت آلات الموسيقى إلى عليها، وانقض الحفل بنهاية مأساوية، في حين بقيت أميرة إلى جانب مرام المتيسسة بذهول، رحل الجميع تاركين عشرين عاماً من معرفة مرام وراءهم بلا معنى للصداقة، بقي هاتف سورية الوحيدة الذي

أميرته هذه لا تقل عنه ثقافة واعتدالاً وفهمًا، من كلماتها أنها تمتلك رؤية واضحة ووطنية تلغي كل تعصب موروث أو وجهات نظر قاصرة أو عمياء، ولذلك اندفع إلى مركز عملها يحدوه فهم كامل لشخصيتها وثقة تامة لما يريد، إنه يشعر أنه قد وقع في حب امرأة من بلاده بعد حبه العابر لزميلته في الثانوية وهي ترتدي ثياب الفتاة وتصوب بندقيتها نحو الدريرية، ومن ثم فرقت بينهما رحلة البحث عن المستقبل، وذهب مارك إلى البلاد البعيدة لاكتساب العلم والنجاح تاركاً خلفه حنيناً وذكريات لحب البراءة العابرة.

في أمريكا درس هندسة الطيران وتزوج من ابنة عميد الجامعة ورزقا ولدينهما الآن في سن الجامعة مع أمهما بعد طلاقها منه، والآن بعد سماعه خطاب أميرة وحديثها عن سوريا الوطن أحس أن ضالته أمامه يجمعهما الفهم الحقيقي للألم الوطن وطريق الخلاص.. شعر بأن هذه المهدئة الرقيقة التي ينتظراها منذ دهور بل أنها أقرب إليه من كل الأشياء والمخلوقات وبسرعه تم اللقاء والتعارف والتوعاد وبعد ذلك كانت رحلات الغور في الذكرة ولم يخبي عنها شيئاً في ماضيه وكذلك حاولت هي وشغر الاشان أن الاختلاف في المعتقدات الدينية لا يجب أن يشكل عائقاً ما دام الاشان متواافقين في الفكر والميول والنظرية إلى المستقبل،

هكذا إذاً يمكن للدنيا أن تهمد.. هناك أمل في نهاية النفق.. وإمام كفирه، استسلم كجندى سقط عند أول طلاقه ورضي لابنته العيش كأمها مع ذلك الصعلوك اليهودي، وتخلى عن مبادئه حول العفة والشرع ورحل يجر أذیال خيبته، قال لأميرة سأعود إلى وطني رغم سفاله قوانينه فهو أرحم من بقائي هنا أبصق على شريفي كل يوم، ومرام عادت لوعيها ولوطنها.. وحان الوقت لأميرة أن تهتم بنفسها وتلتقت لأنوثتها.. تذكرت عندما ارتجلت خطابها التعريفي والوطني... أن رجلاً ستينياً اقترب منها مشدوداً لكلماتها، على ثغره ابتسامة رضى وقناعة وعلى وجهه مسحة من البشر والارتياح يعطيها دعماً معنوياً بأن هناك من يؤيد كلامها ويسعد به فتابعت حتى انفض الاحتفال بعد مأساة مرام وبقائهما إلى جانبها.

عندما عاد مارك عبد الله إلى بيته راح يبحث عن هذه التي أرضاً نفسها بكلامها المقنع قرأ لها العديد من أبحاثها بعد أن عثر على اسمها في الانترنت وعلى مكان عملها وعلى مؤلفاتها قبل أن يقرع بابها في المركز هيأ نفسه للمقابلة الهامة فهو سوري ساحلي مسلح بثقافة واسعة استمدتها من الحضارات المتعاقبة على ساحل اللاذقية الجميل ومن خضار جبالها ومن تسامح ساكنيها وحبهم المتبادل وهو يعلم أن

لكي أمشي بهدف قوانين البشر ص 194) تلمس هدوءه وتهذيبه وتذهب معه إلى مطاعم ومنتزهات مبهجة يتشاركان سرد الحكايات والذكريات والأراء... والدها نصحتها قائلاً (لا تكذبي، كذبة واحدة وتفقد الدنيا ثقتها بك) أما مارك (فقد حسم بقوله أحب المرأة الناضجة فطريقي إليها ليس معدتي وإنما عقلها).. ويتابع العاشقان مشاويرهما في شتى نواحي لوس أنجلوس الجميلة والشهيرة ص 198.

تأخذ الكاتبة وهي تسرد علينا لقاءات العاشقين لنحى جديداً فتقول أميرة: حين جلست بالقرب من مارك في سيارته احتضنني طويلاً وتنفس بعمق وقال اشتقت إليك كأني لم أرك منذ دهر، كانت موسيقى أوركسترالية تصدح من مسجل السيارة وليس أغاني (عبد المطلب) القديمة، سألته لا أعرف أنك تحب هذه النوع من الموسيقا؟ قال: ليس كثيراً ولكن هذه أحبها، إنها موسيقى بروكوفيف وباخ تعزفها الآن فرقة مارنيسكي الروسية في المسرح التاريخي لتدمر، دهشت أميرة فقال لها اسمعي..! لقد نقل الروس عشرات الصحفيين ليصوروا احتفال أكثر من عشرين عازفاً روسياً من مسرح تدمر الذي بني في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي ولتصوروا كيف تؤدي

تقول أميرة في نفسها: لم أتخيل أن أقع في حب رجل مسيحي، مع أن ذلك ليس مستحيلاً في سوريا، فهناك الآلاف من الزيجات بين مختلفين دينياً وتستمر الحياة رغم ضجيج الآراء واللوم والنظرات العاتية والتساؤلات التي تقطع نفس الحب حتى التزاوج بين الطوائف من الدين نفسه، ما زلنا نتوارث الخلافات القديمة جيلاً بعد جيل، ما زال تضارب الآراء منذ أكثر من ألف عام يقض مضجعنا ونحن في بيوتنا في النصف الأول من القرن العشرين، ما زلنا منقوعين في بول الجمال التي تناطحت وتصارعت حتى سقطت صرعي في كثبان الرمال الحارة منذ قرون ومع ذلك لن أثور الآن على تاريخ مرصع بالخيبات وساكتفي بتقديم حياتي مثالاً على ذلك. بل أن أميرة ترى أن هذا الحب الصامت سيخفف من وطأة الحرب في سوريا، بل إن وهج الأمل قد شع على روحها وعقلها وغدت أكثر تفاؤلاً وراح تفكّر بأن الحل لكل مشاكلنا هو الحب وأن فقادانه هو ما وراء كل ما يحدث، لقد وقعت في رومانسية تفكير المراهقين الجميلة حيث الحلول تكون بعضها الحب السحرية متناسية واقعاً صليباً ونسجاً قدّ من النوايا الجهنمية للبعض، وبعد تحدثها مع والدها الخبير والمثقف.. ومضت تقول (لم عليَّ أن أخالف الطبيعة التي أوجدها الله

تشبهين الحب والوطن الذي في عقلي
أحبيتك في لمح البصر.. تتبع الكاتبة
تركتهما بأمان وطرت إلى عمر وخيبة
أمله في سوريا.

كل الجبهات كانت تقوى عدتها
وعتادها في سورية تجند رجالاً ونساءً
ليخوضوا حرباً أعطاها كل طرف لقباً
يناسبه، لا هو القاتل كان واضحاً
للمجتمع وكذلك لا هو القتيل، هذه
أمور لا ينتبه لها شباب متهمس تصور
الطائفية من عقولهم وتتسكب كنهر من
حرم حارقة تتسبّب على أقرانهم وعمر
كان واحداً من أولئك.

حين وصل (عمر) إلى الريحانية برأ
ونزل في فندق كنت حيث حجز الإخوة
له غرفة مسبقاً، استقبله (أبو الغيث)
الذي كان يؤمن البزات والأسلحة
للمجاهدين ويؤمن وصولهم إلى الحدود
حيث يوصلهم آخرون إلى أماكن عملهم،
التقى عمر في الفندق بمجاهدين مثله
وتصافحوا وتعاهدوا في اللقاء بالجنة بإذن
الله بعد أن يوطدو شرع الله في سورية
(الكافرة) كما كانوا يرددون.

أخذ القلق يساور عمر، لقد مات
شيء من الحمام لديه مذ غادر لوس
أنجلس، ركع ركعتين لطمأنة نفسه،
تأخر عبورهم للحدود بين تركيا وسوريا
بسبب تدفق اللاجئين الهاربين من شرور
الحرب وبعضهم قام بجرح جسده وتلطيخ

الصلة على شهداء الإرهاب، تتبع
الكاتبة: تركت العاشقين ورحت أمسح
بعيني أدمعت من متعة النظر التاريخ
الغرانيطي الصامد، رأيت المسرح الكبير
ومعابد المدينة، معبد بعل وشمرين ونبو
ومعبد اللات الذي دُكَّ أسده الحجري
الرابض على مدخله بعبارة الأبدية
"يبارك اللات كل من لا يسفك الدم في
العبد" رأيت أعمدة ملوك تدمر (أذينة
وزنوبياً) رأيت المذايا الحجرية النذرية
المكرسة لإله الشمس، رأيت كل مجد
المدينة القديم يرد صدى الموسيقا
الأوبرالية التي أرادت أن تبحر المدينة
بالنوتات الموسيقية، لقد مرّ كثيرون
عليها ولم يضربوها بحجر إلى أن جُنَّ فيه
مسلمون قرؤوا كتبهم بالمقلوب..

كان مارك يمسك يدي ونحن
نستمع له (باخ) يصعد في فضاء التاريخ
السوري القديم المنفك، قال لي: كأني
 أحلم.. أنت أتيت وجئت الخير معك، هل
 يأتي يوم وأعود فيه إلى سورية؟ أجبت:
 سنعود معاً. تحدثت أميرة في اليوم التالي
 مع أبيها كان عصبياً حدثها عن الغلاء
 الفاحش وعن الكفاح المر للناس ليبقوا
 على قيد الحياة، شتم، سبّ كل من
 أوصل البلد إلى هذه المرحلة من نزيف
 الوطن والفتوك بأهله. أما مارك فيتابع
 وكأنه يعترف حالاً، حين سمعتك
 تتحدثين من بيتك صرت أنت الدنيا
 كلها، هدا شيء في داخلي، كنت

يتدرّبون على القتال وتنبّه نبض القلب
بمنظر الدماء الآدمية، أمّا مدن الساحل
السوري فكانت تقوم وتقدّم على
عارضات موسيقية من نوع آخر، تزف
عرساناً لن يبعثهم من جديد القرع القوي
والجناحizi للطبلول حتى لو جُنّت الأمهات
فوق الصناديق التي تضم جثثهم. كان
التعب قد فتك بعمر لدرجة جعلته عصبياً
ونزقاً فقد أنهكه الانتظار وراح يصرخ
ضاماً قبضته بقوّة لكن أبو خالد
استطاع تهدئته معذراً وطلب لهم بعض
الساندوشات وكؤوس الشاي وأخذ
يشرح لهم الخطوة التالية: الرقة. فالرقة
كانت تعج بالفصائل المقاتلة قبل خمسة
شهور، جبهة النصرة، تحرير الشام،
الجيش الحر، كل منها تجد لها مرتعاً
فيها، لكن ما إن أعلن (تنظيم الدولة
الإسلامية) عن نفسه في العراق والشام
حتى عمّد زعيمها لتفكيك كل
الكتائب المقاتلة فيها وجرت معارك
طاحنة بين هذه الفصائل خلفت دماراً
كبيراً في المدينة ليعلن مقاتلون أجانب
ملتحون ومسلحون يرتدون اللباس
الأفغاني قيام ولاية الرقة باعتبارها الولاية
الأولى للتنظيم، رأى عمر هذا على شاشة
ـ CNN ـ شعر بنصر شخصي وبحمية
لم يألفها من قبل، رأى نفسه يرقص مع
هؤلاء بسلاحه ويقطف نمراً من أجل
إعلاه "كلمة الله" صار يدور في الغرفة

شيابه ليتمكن من العبور لعنهم الله كما
يقول أبو الغيث، حين وصلت الحافلة إلى
معبر باب الهوى الذي كان مسيطرًا عليه
من بعض قوات المعارضة. كانت سيارات
الهلال الأحمر التركي تروح وتجيء
وتتقلّب الجرحى أما الفارون فكانوا
يدفعون لقاء الدخول إلى (الجنة الموعودة)
ويتفقون مع المهرّبين العاملين بالاتجار
بالبشر والدعارة، هناك شبّكات لا تهدأ
تعمل في تهريب المخدّرات والنساء
والسلاح عبر حدود يصل طولها إلى ألف
كم متراً حتى السيارات كانت تسرق
وتهرب من تركيا لتباع في سوريا بأسعار
رخيصة، يزداد القلق في داخل عمر
ويتذكر والديه وخيبة أملهما به ويقاد
يلوم نفسه.. في حين أن اباه في أمريكا
تركته زوجته نانسي وابنه منها وأخذ
يتقرّب من زوجته هداية رغم متابعتها
الصلاة.. سام تحدث مع أميرة بكل هذه
الأمور واستمعت إليه حين رن هاتف مارك
فاعذر وتركها تذهب لقاء حبيبها.

كان عمر يحكم خبرته العالمية في
الإنترنت يلاحق الأحداث بتمعن ويظل
مطلاً على ما يجري في سوريا وعلى
عكس الموسيقا التي كانت هادئة وذات
نغمة ساحرة وراسخة في تدمر، كانت
حركة المقاتلين في قلب ساحات المعارك
سريعة وعنيفة وكان هناك أطفال
يحملون أسلحة تفوق أوزانهم بكثير

بدأت حياة جديدة لعمر في مدينة الرقة، كما بدأ حياة جديدة لأبيه، حيث عينه حمد رئيساً للمركز بدلاً من فاضل الذي أصيب بمرض الزهايمر وعزل في بيته وتكفل حمد بنفقات علاجه وعين له مساعدة بعد أن عجزوا عن معرفة أحد ممن يهمهم أمره، عُين سام أو سمير الحوابشة رئيساً للمؤسسة وبدأ برنامج تغيير حقيقي وأعطى لأميرة حرية الكتابة والتواصل كما شاء، وبجامعة دمشق التي يحنان إليها كلاهما الكاتبة المتحمسة لزواج العاشقين أميرة ومارك، ليس للحب الذي يجمعهما وحسب وإنما لوحدة الموقف بينهما وهي الأهم والتي يجب أن تجمعهما لأنها أكثر رسوحاً، واستقراراً، واستمرارية، وهذا ما تحرض عليه الكاتبة، تقول أميرة: أحضر مارك مدینته الساحلية كيئة أكثر افتتاحاً للعيش، أما أنا فقدت له دمشق مختزلة في (القيمية) على طبق من ذهب، خلطنا كل ما لدينا في وعاء واحد وسكبنا الخليط وصنعنا منه سياجاً متيناً وحددنا موعد الزواج، تاركين وراءنا شياطين الغربة تفعّل تآمرها على سورية من دون جدو..

تزوج مارك وأميرة زواجاً مدنياً في مدينة لاس فيغاس عاصمة الزواج في العالم، لم يكن هناك رجل دين، وإنما دعا مارك صديقه (جون) القاضي في إحدىمحاكم لوس أنجلوس ليقوم

كمالمخلوب كان السريخنقة وكذلك الخوف، فكر أن السفر إلى هناك قد يكون النهاية، تواصل مع والديه والتجأ للصلة وتواصل عبر الانترنت مع المسؤولين عن التنظيم طالباً ضمه للتنظيم.

جاء عمر إلى هنا عبر التجنيد الناعم حيث يسجل المجاهدون على هواتفهم النقالة الحلم الإسلامي بأبهى صوره حيث يتلقاه الضعيف وقليل الثقة بالنفس والمتطرف والشبق والماراھق.. وكان عمر يحمل كل هذا بالإضافة إلى حقد فكري على أمريكا الكافرة.. وهنا انضم عمر إلى مجموعة صغيرة يترأسهم شيخ ملتح، قضى عشرة أيام لسماع وتعلم "العقيدة الوسيطة" و"أصول التفسير" و"أصول الفقه" وشرح "الواجبات المتحتمات" وكتب السبي، وكشف الشبهات، للشيخ محمد عبد الوهاب وتجارة الجهاد للشيخ عمر عبد الرحمن وتراثية الدواوين في الدولة... داخ عمر من كثرة التأديب العقلي الذي خضع له. أصبح رجلاً جديداً طالت حياته وترك شعره من دون قص وقل وزنه ولبس الزي الأفغاني والتقوى بأبي عبد الله الحمصي في مدينة الرقة، وبعد اختبارهما من قبل المسؤول الأمني قال لهم أنهما سيكلفان معاً بقيادة سيارة الحسبة التي تجوب مدينة الخلافة..

موقع شرق حلب، الكاتب حتر العربي الأردني مدرج بدمائه بعد ثلاث طلقات غادرة، انفجار الكنيسة البطرسية في قلب القاهرة، ميشيل عون رئيساً للبنان أخيراً، وصول اليمين إلى مشارف الكارثة الإنسانية نتيجة الحرب الحاقدة عليه، خطة محمد بن سلمان التقطيفية في السعودية، محاولة انقلاب فاشلة في تركيا، تفجير بروكسل، هجوم نيس، وفاة فيدل كاسترو آخر قائد شيوعي في العالم، خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي... وتسدل أميرة الستار على شريط الذكريات عندما جاءها نبأ وفاة والدها..

أما عمر الذي عُين مع صديقه المفاجئ أبو عبد الله الحمصي وقد عُين الاشان في الحسبة وسُلّما سيارة هوندا يجوبان مدينة الرقة لمراقبة تفتيذ أوامر مسؤولي الخلافة وتقييد الناس بها.

من وراء زجاج سيارة الهوندا ستيشن، رأى عمر النسخة المحسنة للإسلام. أذيلت السحنة السورية المعاصرة للمدينة في ظل حزب البعث الحاكم في سوريا، واستبدلت بأخرى مقطعة الأوصال في ظل الأحزاب الجهادية وهي في أوج جماح خيالها، توقفت المصارف عن العمل، وتم إغلاق المدارس ولم يبق في المدينة سوى الدكاكين وال محلات التجارية.. لقد فتح المدعون

بمراسيم الزواج، وما أثلج صدر أميرة الفهم العميق عند هذا القاضي لما يجري في سوريا (حتى أنه قدم اعتذاره عما أسماه سفالة أمريكا في هذه الحرب وفي كل الحروب التي شنتها أمريكا ضد الدول الضعيفة في العالم مختلفة وراءها ملايين البائسين..)

إذاً لقد وحدهما هذا الزواج أمام بركة القانون وجعلهما واحداً، أنا لست رجل دين ولكن تمنياتي لكم تخرج من أعماقى وأطلع برجاء لكم يعم السلام ببلدكم وأن تعود بلادي لرشدها..

كانت أميرة قد هتفت لوالدها تخبره بما حديث، فتمنى لها السعادة وزودهما بنصائح خبرته وحناته وحرصه على مستقبلهما، وكانت أميرة قد نقلت أغراضها من غرفتها في المركز إلى بيت مارك، بيتهما، وعندما عادا من لاس فيegas استقبلتهما أكاليل الورد مهنية ومبركة لهما بهذا الزواج، غير أن رسالة (حمد) السامة أدخلت الغصة لقلب أميرة بقوله (أتمنى أن تعودا بلدكم وقد تحرر من الكفار..) عبارة هزت جسد أميرة لولا مواساة مارك بقوله لا تهتمي به فالإناء ينضح بما فيه..

تتابع الكاتبة ما يمر في ذهن بطلتها من خلال متابعتها للأحداث عبر الانترنت.. جنود الوطن يستعيدون الموصل من داعش، الجيش السوري يسترد آخر

لديهم محاكمهم الشرعية وقوانينهم الخاصة يبترون يد السارق، يقتلون بالحجر حتى الموت، يرمون من فوق أسطح البناءيات، يقطعون رأس كل مخالف للعقيدة، رأى عمر بعينه تجاوزات القاضين على أرواح الآخرين وجواز الظانين بأنهم يضعون قطار البشر على سكة الصراط المستقيم.. شعر بالله وقطب جبينه دلالة الاعتراض المكتوب، قال له أبو عبد الله إن الدروس تعطى مرة واحدة في الرقة، بعدها يتلزم الكل وينكس رأسه وآية مخالفة فهي كفر بشرع الله، أبو عبد الله يهرب لأحد الحوانيت ليأمر البائع بحجب صور النساء عن علب الزينة وصياغات الشعر.. ضاق صدر عمر حتى الحلقوم من تطرف هؤلاء الدعاة المضحك حيناً والمؤلم أحياناً، أحس بالاختناق من هذه الرایات السوداء التي تلف حول عنقه مثل حبل المشنقة، كان الجهاديون يتجمعون في الساحات عاصبي الرؤوس ملوحين بالأسلحة ابتهاجاً بمجزرة دامية قاموا بها، كانت النساء المستعدات لنكاح الجهاد مفتونات بمقاتلين أكسبتهم الصراع رهبة ومن فتاة الحرية الخالية من أي قانون يحرم ويحلل بعيداً عن فهم القوانين الإنسانية أو الشرعية السليمة، توليفة مشربكة من اللامعقول، ولدتها حروب مقدسة لم تبق ولم تذر..

مخيمات شرعية لليافعين ولم يوفروا أمراً إلا وقاموا به من أجل تدريب هؤلاء الأطفال، كانوا يخطفونهم من بيوت عائلاتهم ويلحقونهم بمعسكرات شرعية وأخرى تدريبية وتحولونهم إلى حاقدين جهاديين في هدأة ليل طويل لا ينتهي.

حين مررت السيارة في شارع طويل كبير للمدينة، قال أبو عبد الله لعمر: إن التنظيم يحسن معاملة الأجانب أو العرب من أصل أجنبى ومدى يده إلى البناءيات الكبرى والمنازل الجميلة التي فرّ منها أصحابها من المسلمين والمسيحيين (هريراً من المهاجمين الجدد) وقدمت هذه المنازل لهم، ليس هذا فقط إنما هناك نساء تابعات للتنظيم تربى الزيجات للمقاتلين الأجانب ويقمن - بارك الله فيهن - بدور استخباراتي. لأغراض جهادية أخرى، خلال أيام سيكون لنا زوجتين ونسرين في هذه المنازل، وهكذا كان عمر يتجرع الحياة الجديدة بعلقها دون راي منه..

أصبح عمر يخرج هو وأبو عبد الله في رحلتهما الاعتيادية كل يوم والرایات السوداء التي تعم المدينة ترسم الخطوط اللامرئية للمسحوم واللامسروح يساعدها في ذلك حواسيب صغيرة جهزت بها سيارات الحسبة، حصلوا عليها من مقار المخابرات التي استولى عليها التنظيم، يدققون في أدق التفاصيل بطاقة شخصية، ذقن حلقة، رنة موسيقية لهاتف نقال، هم لا يمزحون

تركته لأنني أخشى عليه من الانزلاق
ثانية في وحل هذه الأفلاطونية الدينية
المشيرة للشفقة، ذلك لأنها هي بذاتها من
غرز فيه نصل الحقيقة المدبب.

عمر جاء ليقاتل دفاعاً عن سورية
الفقيرة كما علموه وعن فساد حكامها
ولا أخلاقية نسائها وعن انحراف أبنائهما،
الذين بفعل العلمانية التي يتبنّاهما
دستورها الحاكم وعن الفساد
المستشري، ثم حشروه في الدين ودربوه
على أكثر الأسلحة فتكاً، ولم يعلموا
بما تفعله المنظمات البديلة من فتك
واغتصاب وتدمير لمقامات الصحابة على
التلال المحيطة بالفرات والتي قطع نصف
الكرة الأرضية ليصل إليها وبشارك في
أفعالها وكان ما رأه كافياً لكي يتخذ
قراره بالهرب، إذاً انقض غبار نعليك عن
دولتهم واهرب مع زوجتك رغم صعوبة
الهرب خاصة وأنك أصبحت مجاهداً
عندهم..

في هداء النجر الداكنة، حل عمر
ذقنه وقص شعره وخلع جلبابه وخرج مع
سلمى من منزلهما إلى حافلة كانت
تتظرّهم في شارع ضيق جانبي، في
السابق كانت المعابد في تركيا وال العراق
شنطة بهريب المخدرات والكحول
والدخان وغيرها، أما الآن فيتم تهريب
البشر بكلفة باهظة، اختباً عمر في
مكان مخصص في الحافلة بينما بقيت

بعد وصول عمر إلى الرقة أعطوه
منزلًا وعقدوا قرانه على فتاة اسمها
سلمى كان التنظيم قد اخطفها من
الموصل، هناك أبو عبد الله وأخبره بأنه
أمر بزوجة له من مكتب التنظيم بحلب
رأى صورتها وهويتها على الانترنت وأن
الشحن سيكون قريباً ص 254

دخل عمر على سلمى زوجته وكسر
بلطفه حاجز الخوف والرعب عنها،
أقنعوا أنه في داخله غير ما يظهر من
لباسه ولحيته، راحت تحكي له بصدق
وبراءة عينيها الممتئتين بالدموع كيف
اخطفت وعذبت وأهينت بعد أن قتل
أهلها في الموصل وسبوها مع غيرها من
فتيات الموصل، وتعاقب عليهن رجال
التنظيم رغم أن أحدّهم تزوجها.. وراحت
ترجوه أن يحميها كزوجة ويحافظ عليها
وستظل مخلصة ومطيعة له إلى الأبد...
وعدها عمر بتحقيق ما طلبت وعدم تخليه
عنها وطالها بالصبر وفي نفس الوقت
سقطت ورقة التوت عن حقيقة التنظيم
لديه وجسم الصراع المحتدم في عقله بين
ما جاء من أجله وما رأه من حقائق تختلف
كلياً عن حقيقة الدين، اكتشف عمر
أن عقيدته لا تواجه حرباً، وإنما تتآكل
من الداخل بفعل التسمم الذاتي وبفعل
التوحش المثالى المقدس...

هنا ترتاح الرواية وتقول الآن أطمأن
قلبي فقد فتح ناظريه وأعمل عقله..

عمر زوجته بحنان واعداً بـألا ينساها، استأجر لها شقة صغيرة واشترى لها هاتف نقال تركي وذهب لحجز مكان في الطائرة المسافرة إلى أمريكا.

عندما جلس عمر في مقعده وأسند رأسه إلى الوراء، أخذ يفكر في لقاء والديه، سيعذر منها ويبيكي ندماً، سيخبرهما عن كل شيء وعن زواجه بعد جهاده العظيم، سيعود إلى حياته الطبيعية، لقد رأى الدنيا مقلوبة في الرقة، داخ من كثرة النشازوها هو الآن عائدًا إلى لوس أنجلوس.

وهنا ترك الكاتبة فسحة من حرية الاحتمالات حول مصير أبطالها، ليخمن أو يستنتج كل قارئ على هواه.. وربما مصير العالم يذهب للأسوأ أو أن الله يغير عقول وغرائز البشر..

إنها قراءة سريعة لرواية رائعة أبدعتها ريشة كاتبة مبدعة ترقي بسردها إلى مرتبة التاريخ وبدقه وصفها لدرجة المراسل الإعلامي الخبر، تتضمن وطنية وتمتلك كل الشروط الفنية التي تجعلها في مصاف كتاب الرواية الخالدين، إنها تستحق كل التقدير وجدية بالشكر والتكرير، هذا ما رأيته وأقوله بصدق ودون مجاملة، شكراً كلadiس.

سلمي مع عائلة أخرى، وراحـت القافلة تغادر الرقة إلى ريفها عبر شبكة من المهربيـن والحوالـجزـ التي تـقـبـضـ عمـولـاتـهاـ حتى أصبحـتـ قـرـبـ حـلـبـ، تـرـجـلـ الجـمـيعـ وـمـشـوـاـ بـعـيـداـ حـيـثـ اـسـتـقـبـلـهـ مـهـربـ جـدـيدـ أـخـذـهـمـ بـاتـجـاهـ الـلـاذـقـيـةـ لـوـحـدـهـماـ حـيـثـ دـخـلـتـ العـائـلـةـ إـلـىـ الـبـابـ وـمـنـهـاـ إـلـىـ تـرـكـياـ، أـمـاـ عـمـرـ وـسـلـمـيـ فـنـامـاـ فـيـ مـنـزـلـ تـرـكـياـ، أـمـمـهـ الـمـهـربـ الـحـلـبـ وـفـيـ الصـبـاحـ أـتـمـواـ الـرـحـلـةـ إـلـىـ الـلـاذـقـيـةـ، فـيـ الـلـاذـقـيـةـ رـأـيـ عـمـرـ مـنـ خـلـفـ زـجـاجـ السـيـارـةـ دـنـيـاـ جـدـيدـةـ، نـسـاءـ سـافـرـاتـ وـأـخـرـياتـ مـحـبـاتـ يـسـرـنـ إـلـىـ جـانـبـ بـعـضـهـنـ بـكـلـ وـدـ، طـلـابـ المـدـارـسـ الـمـخـتـلـطـةـ يـمـشـونـ سـوـيـةـ مـبـتـهـجـينـ، عـرـفـ عـمـرـ أـنـ ذـلـكـ لـأـنـ أـهـلـ السـاحـلـ حـمـوـاـ بـلـدـهـمـ مـنـ دـخـولـ الـمـسـلـحـينـ الـمـوـحـشـينـ، قـالـ الـمـهـربـ الـجـدـيدـ الـآنـ سـنـذـهـبـ إـلـىـ كـسـبـ فـيـ أـقـصـىـ الشـمـالـ الـفـرـيـيـ منـ سـوـرـيـةـ وـتـبـعـدـ عـنـ الـلـاذـقـيـةـ قـرـابةـ الـ خـمـسـيـنـ كـيـلوـ مـتـرـ وـهـيـ عـلـىـ الـحدـودـ الـتـرـكـيـةـ، هـنـاـ سـنـتـابـ الـهـربـ مـشـيـاـ عـبـرـ هـذـهـ الـجـيـالـ ولـنـ أـتـرـكـكـمـ حـتـىـ تـأـخـذـكـمـ الـحـافـلـةـ إـلـىـ مـأـمـنـكـمـ، وـرـغـمـ قـسـوـةـ الـطـرـيقـ وـفـيـ الـمـهـربـ بـوـعـدـهـ، رـكـبـ الـهـارـبـانـ سـيـارـةـ أـخـذـهـمـ إـلـىـ غـازـيـ عـنـتـابـ وـمـنـ هـنـاكـ سـافـرـاـ بـسـيـارـةـ أـجـرـةـ إـلـىـ اـسـطـنـبـولـ وـبـاتـاـ فـيـ فـنـدقـ صـفـيـرـ مـنـهـكـينـ، وـفـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ بـدـأـ الـاسـتـعـدـادـ لـلـفـرـاقـ وـدـعـ

رَجْعُ الصَّدْفِ

• الأبعاد القيمية عبر الأنسنة في مسرح

أ.د. جميلة مصطفى الزقايي
ال طفل عند د. هيتم يحيى الخواجة

• الخطيب في حضرة الشعر
د. مأمون الجنان

• النسق الإشرافي في ديوان (غارقُ غني)
د. سمير الخليل

للشاعر العماني سعيد الصقلاوي



الأبعاد القيمية عبر الأنسنة في مسرح الطفل عند د. هيثم يحيى الخواجة

أ. د. جميلة مصطفى الزقاي

ناقدة ومسرحة جزائرية

يعتري مصطلح "الأنسنة" الكثير من الالتباس، على الرغم من قدم وعتاقه استعماله في الآثار الأدبية العالمية انطلاقاً من الأدب الإغريقي واليوناني والهندي ومروراً بالأدب الفرنسي والعربي.

يشتق من مصطلح "أنسنة" الفعل "أنسن" يؤنسن ويقابله في الفرنسية *humaniser* بمعنى يبشر ويخلع على الشيء صفة بشرية، أو بمعنى يتخد صفة بشرية، ولها معان أخرى مثل تهذيب تمثيل تأييس تبشير وتأنس *humanisation*, ومنها أيضاً *Tançs* و*anthropomorphisé* (1) ويجري مجرها اسم المفعول منها مؤنس *humaniser* أي أن الحيوان يتخد شكلاً إنسانياً.

المجتمع البشري. ويضطر المبدع في هذا المجال إلى إبراز سمة ما من سمات هذا العالم غير الإنساني بوصفه إحدى طبائع جنسه الحيواني أو النباتي أو حتى الجماد للتذكير بأصل النوع ولمنع الخلط والتماهي فيما بين العالم الإنساني بغيره. وهذا ما يحدده الأطفال تبعاً لقانون الإسقاط أو الإضفاء القائم على التوهم الذي يذيب الحدود الفاصلة بين عالم الأطفال وعالم الحيوان أو النبات أو الجماد.(3)

أما المعنى الاصطلاحي لمصطلح "أنسنة"، فيكمن في إضفاء صفة من صفات الإنسان على الحيوان أو الأشياء.(2)

وبعبارة أخرى الأنسنة هي عملية نقل سلوك الإنسان الأخلاقي والثقافي والمعري والاجتماعي إلى عالم الحيوان أو الجماد أو النبات، فيصبح هذا العالم شبيهاً أو مطابقاً في بعض الأحيان لعالم الإنسان. ويكون عالم الحيوان المؤنسن إذن عرضة لتطبيق عليه أعراف وقوانين

أخرى.(6) ومفاد ذلك أن "الرمز" يمكن أن يستعرض به في هذا المقام عن مصطلح "الأنسنة" المستحدث الوجود والاستعمال.

بني وأصول الأنسنة:

يعود أصل الأنسنة أو بالأحرى أدب الحيوان كما يتسعى للبعض أن يسميه إلى العهد اليوناني؛ حيث كان السبق لليوناني آصف أو إيسوبوس كما يسمى بذلك في لغته الأصلية هو أول من كتب في أدب الحيوان، وهناك من يرى أن الشاعر هزيبوس هو الذي كتب في هذا المجال في بداية القرن الثامن قبل الميلاد.

ويعتقد بعض الدارسين العرب والفرس أن آصف ما هو في الأصل إلا الوزير سليمان (عليه السلام) بينما يرجع البعض الآخر من الدارسين أنه لقمان الحكيم، وتبقى هذه الاعتقادات مجرد افتراضات تقتصر إلى الدليل المادي. وأيًّا يكن آصف فهو الذي ترك حكاياته متداولة شفهيًّا مما قد يعرضها للتحريف والتحوير.

هناك من يسند ريادة كتابة هذا الفن إلى الهنود، حيث أثبتت بعض الدراسات أن الفيلسوف بيدبا أو بيليا بمعنى رئيس العلماء أو الأستاذ الأكبر هو الذي بادر بتأليف مجموعة من الحكايات باللغة السنسكريتية بعنوان "الفصول الخمسة" في القرن الثاني قبل الميلاد نزولاً عند رغبة ملك دابشليم ملك

ترتکز الأنسنة حول جملة من الخصائص التي يختلف توظيفها من مبدع إلى آخر. حيث يرى د. هيتم يحيى الخواجة أن استخدام الأنسنة في المسرح يتمثل في الحرص على أن يتصرف الحيوان في الخشبة مثلما يتصرف في الواقع كي لا يرفضه، وذلك حتى يقبل الطفل على رؤيته والاقتناع به، لأنه سيرفض أن يكون مثل الحيوان الغادر أو المفترس...(4)

مع العلم أن القصة الحيوانية ظهرت استجابة لحاجة الإنسان إلى التعبير عن ذاته وخلجاته بطريقة متحررة من كل القيود الإنسانية على اختلافها من سياسية إلى اجتماعية وغيرها. فاختيار الكتاب لإبداعاتهم أبطالاً خرافيين من الحيوانات، كما قدموا شخصيات إنسانية في قالب حيواني(❖)، وكان نقلهم لها فوتوغرافيًّا حتى يعتقد بهم أنهم كتبوها وهو معتصمون بالغابة نتيجة تفننهم في الوصف الدقيق والفوتوغرافي لسلوكيات وتصرفات إنسانية تتحدث عن الحيوان، وهي في واقع الأمر انبثقت عن الإنسان.(5)

وهذا ما يجنب به بعض الباحثين إلى "الرمز" وفي ذلك شيء من الصحة استناداً إلى ما يراه غنيمي هلال أن بعض القصص غالباً ما تحكم على لسان الحيوان أو النبات أو الجمامد، ولكنها قد تحكم أيضاً على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموزاً لشخصيات

طرق الأنسنة وأساليبها:

أنسن الأدباء العرب الحيوان في
إبداعاتهم الأدبية الموجهة لشريحة
الأطفال، بأساليب مختلفة منها ما وقفت
عند الموضوع، ومنها ما راعت الشكل؛
وهي ذلك كله سعت إلى الأخذ بالحسبيان
القدرات العقلية والوجدانية والإدراكية،
وما يتماشى مع رغبات الطفل وعالمه
وأحلامه.

وعليه، خضعت أنسنة الحيوان للطفل من حيث الموضوع إلى أساليب:
يعد الأول إلى تأويل وتفسيّر أو
بالآخر تعليل أمزجة الحيوان وبعضاً من
طبعاته وأشكاله التي ينفرد بها عن باقي
الأنواع ، ولذلك يمكن تسميتها بالأنسنة
الشارحة والتأويلية.

بينما يرتكز الأسلوب الثاني على فك الرموز وإبانة المفزي المتواخي من أنسنة الحيوان في قالب قصصي أو مسرحي ... فنقدم دروساً تعليمية ذات أبعاد أخلاقية أو اجتماعية أو تربوية أو حتى سياسية.

أما الأساليب المتبناة في أنسنة
الحيوان من حيث الشكل ، فهي على
وجه ثلاثة :

الحكايا النثرية: وهي التي تتخذ
النشر نوعاً للتعبير الأدبي الفني، فتقارب
عالم الطفل وما يحتاجه من أفكار
وأهواء وخلجان بطريقة يعم فيها السرد

الهنـد، على أن شخصيتا بيدبا ودابشليم هـما اللتان ترتكـز عـلـيـهـما قـصـصـ كـلـيلـةـ وـدـمـنـةـ بـوـصـفـهـمـاـ المـرـسـلـ إـلـيـهـ.(7) يتـبـوـأـ الـحـيـوـانـ مـكـانـةـ مـهـمـةـ وـفـضـاءـ مـعـتـبـرـاـ فـيـ القـصـصـ المـوـجـهـةـ لـلـأـطـفـالـ مـنـذـ ظـهـورـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـأـدـبـ بـخـاصـةـ الـحـيـوـانـاتـ الـأـلـيـفـةـ الـتـيـ تـشـاطـرـ الـإـنـسـانـ حـيـاتـهـ، لـاسـيـمـاـ أـنـ الطـفـلـ عـاشـقـ لـلـحـيـوـانـ، مـيـالـ لـلـعـبـ مـعـهـ وـمـدـاعـبـتـهـ، لـذـلـكـ نـجـدهـ وـلـوـعـاـ بـمـشـاهـدـةـ أوـ قـرـاءـةـ حـكـاـيـاـهـ وـقـصـصـهـ. علىـ أـنـ "ـالـقـصـصـ الـحـيـوـانـيـ" عـبـارـةـ عـنـ حـكـاـيـاتـ مـسـتـظـرـفـةـ وـأـحـادـيـثـ مـسـتـملـحةـ تـتـضـمـنـ أـقـوـالـاـ وـأـفـعـالـاـ تـعـزـىـ إـلـىـ الـحـيـوـانـاتـ وـيـقـصـدـ مـنـهـاـ تـهـذـيبـ الـأـخـلـاقـ، وـتـقـوـيمـ السـلـوكـ، وـإـذـاعـةـ الـأـدـابـ الـراـقـيـةـ، وـنـشـرـ الـحـكـمـ الصـالـحةـ بـطـرـيقـةـ جـذـابـةـ وـأـسـلـوبـ مـؤـرـخـ خـلـابـ."(8)

وردت الحكاية على لسان الحيوان
منذ القدم في القصص الشعبي، ويتميز
هذا الصنف من القصص باتخاذ الحيوان
بطلاً فيها؛ يعمل على نقل الرسالة
التربيوية الأخلاقية ببساطة وعفوية، تقسم
بجمالية تجد صداتها على مستوى المتلقي
الصغير، على اختلاف مراحل نموه،
وتبادر مشاربه، صغيراً أو كبيراً، متعلماً
أو جاهلاً .. فهو مثل الأسطورة يستطيع
أن يمنحك كل ما شئتَ إذ أن ظاهره له
وباطنه حكمة.(9)

أحداث، لتكون بمثابة استراحات يتفسن فيها الطفل الصعداء، وتساعده هذه الفسح الشعرية على التريض والترفيف ودرء الملل؛ الذي قد يخالجه متى طالت الأحداث وتشابكت.

ويؤنسن الحيوان بداخل هذه الثنائية النصوصية (نشر - شعر) ليُبَث الأهداف التربوية الخلقية والسلوكية التي ينشدُها العمل بأريحية تجد ضالتها لدى المتلقي الصغير. كما قد يكون العمل قصة أو مسرحية أو رواية؛ وفي هذه الأجناس جميعها يجد الطفل الشعر المرتع الخصب الذي يحبذه الطفل، ويستأنس بالترنم على كلماته وأوزانه المطردة، محوصلة أو مفسرة شارحة، أو مضافية نوعاً من الجمالية والخفة على أحداث العمل.

أنسنة الحيوان في مسرحيات هيثم يحيى الخواجة:

مسرحية عودة ورد:

١- النسج الحكائي للمسرحية

عمل مسرحي موجه للمرحلة العمرية الثانية التي حددتها علماء سيكولوجية النمو عند الطفل، إذ لا تتجاوز السنوات التسع، وهي سن قروشة التي التف جماعة الأسماك حولها لتحفل بعيد ميلادها، راقصة مترنمة منشدة منوهة بجمالها وأعمالها وحضورها، فتطفئ قروشة الشموع مع مصاحبة تصفيق الحضور. وتبقى قروشة على الخشبة ترتب

بوتيرة أخف من تلك التي توظف في نشر الكبار بعيداً عن التعقيد الحكائي والإذعان في وصف وتقدير التفاصيل التي من شأنها أن تشطط بالطفل عن الأهداف التربوية والسلوكية وتجعله ينفر من أدبه.

الحكايا الشعرية: في قالب شعري يؤنسن الحيوان، فيحس الطفل بجماليته ويدرك معانيه ويشعر بمضامينه، فيفتح خبراته ويدعم تجاربه، وفق إيقاع وقوافي خفيفة تبني على النوطة التي تسافر بالطفل في سحر المخيال الذي يترفع عن السذاجة والنمطية والتکلف، في تناول الواقع اليومية برؤى متعددة، حتى لا يكتفي الشعر بنقل فوتografie للأحداث، ويكون همه الأوحد إمتاع الطفل بما تثيره الموسيقا من أحاسيس وعواطف، وعلى نقىض ذلك يحتفي بنقل الطفل إلى عوالم الحكمة والدروس والعطلات التي تضفي البهجة والحبور على نفسية الطفل، فيتلقى بتعليمية شعرية؛ ما ينمّي مدركاته الحسية، ويرقى بذوقه الجمالي الغض إلى الاكتفاء والتفاعل مع الموضوعات التي تُعرض عليه في شكل شعري أخذ، بعيداً عن التکلف الذي قد يحدث لدى الطفل الارتباك والاضطراب وضبابية الفهم.

الحكايا نثرية وشعرية: يجمع هذا الصنف من الأدب بين النثر والشعر، على أن يأخذ النثر حصة الأسد، فتتخلل المقطوعات الشعرية مشاهده وبعض

قرشة بعد تردد وحيرة أن قروشة نباتية تفضل أكل النباتات والحسائش وتكره الدم الوحشية.

وفي تلك الأثناء يصدر القرش القاضي قراره بمعاقبة قروشة، لكن القرشة تدخلت مستعطفة سائلة منها فرصة للتفكير، ويعزم القرش والقارش على عقد لقاء آخر مع قروشة لعلها تعود إلى رشدتها، وتجو من الهلاك المحتم، ويتوّج هذا المشهد بفناءأطفال القرش ويمثلون الراوي أو الجوقة ويعمدون إلى تلخيص الأحداث وسردها.

وفي المشهد الرابع يلتقي قارش وقروش مع قرشة وقروشة وتحاول الجماعة إقناع قروشة بالتنازل عن مبادئها المتمثلة في مقت القتل والعنف وعشيقها للسلام والسلام والفرح والحب مع احترامها لعقيدة أجدادها ، لأنها تناشد التغيير الإيجابي ، فتبوء مساعي الجماعة بالفشل وتعتذر لقروش عن عجزها على مساعدتها خوفاً من بطش القرش وصرامته.

تقرع طبول إغارة القروش على الإنسان في المشهد الخامس، بينما تصر قروشة على جمع أغراضها ومجادرة المكان بحثاً عن الصدق والحب والحق، فتلقي الحظوة والرضا لدى الأم التي تنهنها على سداد رأيها.

أشياءها، بينما ينصرف الأطفال، وإذا بها تسمع طرقاً قوياً على الباب يصيّبها بالدهشة.

تدخل قروشة وهي تمدد أفق الانتظار حاملة نبأ إصدار القرش أوامر جديدة من شأنها أن تهمّ قروشة، وتخبرها بعد لأي ورد أنه عزم على إشراك قروشة في الهجوم على بني الإنسان، بينما تصرّ قروشة على الرفض ولو كان الثمن حياتها، على الرغم من تذكيرها لها بطبيعة سمك القرش الحقيقية والمتمثلة في النيل من العدو بمحاجمته، لكون لحمه يشكل جزءاً لا يتجزأ من غذائهم. إلا أن قروشة المحبة الإنسانية الإنسان وعشيقها للهدوء والاستقرار والجمال تصر على رفض رؤية الدماء والتلوّح، على الرغم من محاولات قرشة الفاشلة لإقناعها.

ويسدل ستار المشهد الثاني بإصرار قروشة على تغيير ناموس سمك القرش والاكتفاء بأكل الحشائش البحريّة والنباتات، والاستياعض بها عن أكل لحم البشر، فتتصرف خاتمة الرجاء.

ويشهد المشهد الثالث على مقاضاة قروشة على رفضها مهاجمة الإنسان، وتظاهر قرشة وقروشة بنسیان ما دار بينهما من حديث ليفيضا به هيئة المحكمة المتكونة من القاضي القرش ومستشاريه من قارش وقروش. فتفضي

تجد قروشة نفسها في المشهد الثامن بين رهبة من صعوبة إنجاز المهمة التي تكاد تكون مستحيلة، وبين رغبة في إدراك مبدأ الإنسانية وذلك بتحفيز من أفراد جماعتها قارش قرشة وقروش، لكن بالمشهد التاسع والأخير سرعان ما تعود قروشة إلى عزمها وإصرارها على تخلص جبل الأخطاء من الرزايا، وذلك بفسله بالياه النقية، فيقتصر الرعد وتتساقط الأمطار فيتخلص الجبل من سواده فتادي ورد الذي يصمم على انتزاع السيوف من الشجرة دون مساعدة قروشة، لكنها تصر على إعمال الحيلة واستدراج الشعبان إلى سماع الموسيقى النابعة من نايها، وفي ذلك تويه بأثر الموسيقى في تهذيب النفس وتقديرية المشاعر، لكنها هنا وسيلة ناجعة لاستدراج الشعبان والإيقاع به.

ثيمة المسرحية:

تمحورت ثيمة المسرحية وفكرتها حول الانتصار للإنسانية، وعدم التمازن عن المبادئ حتى وإن التف الجميع ضد متبنيه، وقروشة تماسكت وتجلدت حتى ضد طبيعتها الآكلة للجوم مصرة على عدم الرضوخ لأوامر الحاكم الذي كان مصرأً على العنف وإراقة دماء البشر. وتتصوّي حكاية هذه المسرحية ضمن تلك التي ينجذب إليها الأطفال وخاصة في سن ما قبل العاشرة تقريباً، وتدرج ضمن

وعلى مدارج المشهد السادس تستفيق قروشة على رؤية العجوز التي أيقظتها وعرضت عليها المساعدة، بعدما أطلعتها على تفاصيل قصتها، فتعرض العجوز على قروشة مساعدة الشجرة التي أراد الأشرار بترها بالسيف بعدما توقيت عن الإنمار، وحاول الكثيرون تخلصها لكنهم لم يتمكنوا بسبب كثرة أخطائهم. كما أطلعت العجوز قروشة على قصة ورد الذي يمتلئ قلبه حباً وتحاول حل اللغز الذي يفرضه عليها ورد الذي كره فساد وأخطاء الإنسان، ودافع عن الشجرة حتى لا تفتالها يده، فتلبّي قروشة رغبة العجوز غير آبهة بخطر الشعبان الداهم الذي جعله الأشرار حارساً على الشجرة. وتودع قروشة العجوز، عازمة على تخلص الشجرة من السيوف وعلى إنقاذهما.

يشاء المشهد السابع أن تلتقي قروشة بالشيخ الحكيم الذي يحاول أن يشيهما عن عزمها، لكنها تبقى على إصرارها وتشبّثها بفكرة تحولها إلى إنسانة وإنقاذ شجرة ورد، ويدركها الحكيم أن الإنسانية لا تتجسد في الشكر فحسب وإنما في التفكير والأفعال. ويعمد الحكيم إلى إخبار قروشة بأمر الجبل الأسود الذي ما اكتسب هذا السواد إلا من جراء أخطاء الإنسان، الأمر الذي يعقد مهمة قروشة التي يصيّبها اليأس والقنوط وتقرر الرجوع إلى جماعتها.

ويمشهد آخر لحفل مزهر أخضر مليء بالشمار حيث يصل الديك والدب معًا، وقد نال منها التعب والجوع، فيتوسل الدب الجائع لصديقه الديك لعله يمهله حتى يسد رمقه، ويقرران البقاء، لكن صوتاً خارجياً يدعوهما للمغادرة، ولا يمهلهم إلا دقائق معدودات دون أن يسمح لهم بلمس ثمار الحقل، فيخرجان تملؤهما خيبة الأمل.

سرعان ما يعود الأرنب إلى القرية خائر القوى، وقد أصابه ما أصاب صديقه الديك والدب، فيستقبله الغزال بحفاوة مذكراً إياه بمنصاته التي زودهما بها. فيطلعه الغزال على ملابسات الحدث المريع المتمثل في تمكّن الغريبان من ديار القرية، ويقرر الأرنب الوقوف إلى جانبه في انتظار العودة الوشيكة لباقي الرفاق.

يعود الديك لاهثاً من فرط التعب، وقد عزم على عدم ترك أرضه، والتقرير في ثانية لاسيما أنه تعرض لكل أنواع الإذلال والحرمان، بعيداً عن أرضه وخلانه، فيطلعهم على مصير الدب الذي تركه قبل وصوله إلى القرية لمرضه ولفظه أنفاسه الأخيرة، فيقرر جميعهم الذهاب لنجدة الدب المتعب المرهق.

تعود الجماعة وقد أدركت أخطاءها وهي مصرة على استرجاع ما سطا عليه الغriبان وقد تعاهدوا على

القصص التي تجري على ألسنة الحيوانات.(10)

حيث لبى الكاتب الميل الفطري للأطفال ليساعدهم في التعبير عن مشاعرهم من خلال نسيج حكاي قريب منهم ومحب لديهم. وجعل الشخصية البطلة بسيطة في ذاتها لكنها عظيمة جداً بمواصفاتها؛ وذلك حتى لا يستهين الطفل بنفسه وهو بسيط؛ إذ يكفي أن يتسبّع بالقيم الوازنة ليصبح بطلاً حقيقياً مثل "قروشة".

ب - مسرحية قرية الأحلام :

ُتُتَهَّل المسرحية بتقديم الأجواء العامة وشخصوص العمل؛ فيبدو الغزال الحزين متأملاً، والديك إلى جانب الدب البليد، والأرنب الراقص وسط الساحة، وكلهم يرددون وراء الغزال أنشودة يتغنّى فيها بدارمه... يمكث الغزال بأرضه، ويخدمها بطبع ونصب وتقان، وكله غبطة يردد أشعاراً يتغنّى فيها بأرضه، وبما تجود به عليه من خيرات. لكن يحدث ما لم يكن بالحسبان فيه جرأة عليه الغريبان وتتال منه، فيسقط مجرحاً على الرغم من دفاعه المستميت عن أرضه، لكن المعركة لم تكن متكافئة للأطراف، فيرجمونه فلاحاً يجد عوناً ولا ظهيراً، فيندب حظه ومسعاه بعد رحيل إخوانه، ويطلب نجدهم وهو في غياب المعاناة والآلام.

التي أغنى بها مكتبة الطفل العربي. وبالرجوع إلى النص المسرحي الأول "عودة ورد" الذي ولج الكاتب فيه عالمًا عجائبيًا ساحراً يثير فضول الصغار في هذه المرحلة بخاصة، وتجعلهم توافقن معرفة أسرار عوالم البحر المثيرةً بأسمائه وكائناته المختلفة مركزاً على فصيلة يخافها الصغير والكبير إلا وهي "سمك القرش" مناشداً تقويض فكرة الخوف والرعب التي تسكن الإنسان من هذا النوع من السمك بالذات الآكل للحوم البشر. ولذلك كانت شخصيات النص المسرحي تتمحور حول أسرة القرрош ومجتمعهم؛ انطلاقاً من قروشة ووصولاً إلى هيئة المحكمة والجنود وغيرهم. ولن يكون القرش إلا رمزاً لفترة بشرية همها الأوحد هو تسليط الرعب على من هم أضعف منهم. ومن هنا بدأ الكاتب ينفتح بذوراً أخلاقية وتربوية ألقت بظلالها الفيحاً في النص الدرامي من بدايته إلى نهايته وهي على النحو الآتي:

- حب إنسانية الإنسان وعشق الهدوء والاستقرار والجمال.
- الإصرار على رفض رؤية الدماء والتلوّح.
- عدم التمازن عن المبادئ حتى وإن كانت مناؤة للطبيعة التي ولدت عليها.

الموت أو العيش بحرية وسلام. ويدافع الرفاق عن أرضهم باستماتة إلى أن يلوذ الغربان بالغرار ويتفق الرفاق على إعادة بناء قريتهم. ظلال الأنساق الأخلاقية والسلوكية والتربوية في مسرح هيثم يحيى الخواجة:

تزرع إبداعات هيثم يحيى الخواجة التي يوجهها للأطفال على اختلاف أجناسها من قصة ومسرح وأناشيد شعرية وغيرها، بزخم من الأنساق الأخلاقية والسلوكية والتربوية التي يقصدها بطريقة غير مباشرة تجعلها جزءاً لا يتجزأ من لحمة الحكاية، بحيث لا يحس القارئ الصغير أنها ضرب من الوصايا والنصائح المباشرة التي لا تسمن ولا تغبني من جوع بالنسبة إليه، لأنه يلقي بها جانبياً بمجرد سماعه لها. قد تدفعه المبادئ الأخلاقية التي تشربها بأسرته على عدم رفض النصائح جهراً، لكنه مع ذلك لا يلتزم بها. ويزداد إصراراً على فعل عكس ما تؤكد عليه تلك النصائح التي يخطئ أصحابها إذ يقدمونها بخطاب فوج ومباشر.

نفي الكاتب ملماً بالخصائص النفسية والسيكولوجية للشريحة التي يوجه إليها إبداعه، وناهيك عن هضمه للقيم الدينية والأخلاقية والتربوية التي دأب على تبليغها للنشء العربي طوال مساره الإبداعي الزاخر بالنصوص القيمة

- الإيقاع الشعري والأنسنة:

كثيراً ما يلجا المبدع هيثم يحيى الخواجة لشريحة الأطفال قصة ومسرحاً إلى توظيف الأنثودة والأغنية، وما دام هذا ديدنه في أغلب نصوصه، فإنه بمقام آنسنة الحيوان لم يتخل عن هذه الفنية التي تغنى إبداعه لهذه الشريحة التي تستسيغه وتتفاعل معه.

ولذلك نافي الكاتب في وقوفه النظرية عند حاجة مسرح الطفل إلى الغناء والموسيقى يقول "فالغناء قاعدة أساسية للاستعراض الذي يتطلب رقصاً وموسيقى ولباساً وألواناً وإيقاعات مرقصة، وهذا الأمر يجعل الأطفال توافقين ليس إلى العرض فقط، بل إلى الأغاني فيه أيضاً، حتى أن الكثرين يحفظون أغنيات العرض عن ظهر قلب، وهذا يستدعي من الكاتب أن يكتب أغنيات موقعة جميلة ذات هدف، وتتضمن معاني تفید الطفل وتشري لفته وخياله وتمتعه أيضاً".(12) والملاحظ أن الكاتب في كل ما يتوجه إليه من دعائم ومقومات فنية، لا يغفل الأهداف المختلفة، وكله حرص على إمتاع المتلقى الصغير دون إثقال كاهله بالوعاظ المباشر. وكمثال على ذلك ندرج قوله:

(يبدأ الجميع بالغناء والرقص)

قروشة يا قروشة

يا أحلى سمكة محروسة

- مقت القتل والعنف وعشق السلم والسلام والفرح والحب.

- احترام عقيدة الأجداد مما يكلف ذلك من ثمن.

- مناشدة التغيير الإيجابي الذي من شأنه أن يحافظ على توازن المجتمع والسير به نحو الأحسن.

- البحث عن الصدق والحب والحق والعدل.

- كره فساد وأخطاء الإنسان، والعمل على تطهير المجتمع من الفاسدين.

- الاتحاد والتآخي قوة حقيقة وسيف بتار لكل الأشرار الفاسدين.

- الفوز بمبأء الإنسانية يتطلب تضحيات جساماً.

- لا تتجسد الإنسانية بالشكر فحسب، وإنما بالتفكير والأفعال. استناداً إلى تلك القيم المستخلصة من هذين العملين نستشف أن نصوص هيثم يحيى الخواجة لا تحد عن السعي إلى تغذية "أذهان الأطفال فنياً وأدبياً ووجدانياً" ويعمل على منهجية حياتهم عن طريق التأثر بهضمون العمل المسرحي لجهة العبرة المقدمة لهم بقالب مسرحي".(11) وكل ذلك حرصاً من الكاتب على غرس القيم النبيلة في نفس الأطفال وحثهم على الالتزام بها في خطاب تربوي تلميحي يتماهي ومضامين النص وفكرته وموضوعه.

ميلادك أحلى ميلاد	أنت الحلوة، أنت الدرة
تقنن في الأنجاد	أعمالك تصحو مأنوسه
ويفرد عصفور الوادي	في عيدك أفراح وبهاء
قروشة مصباح الأسياد	চন্দে খুবি বিশুদ্ধ
قروشة مصباح الأسياد	فانهزج يا أحلى سمكة
وحرضاً من الكاتب على عنوبة	ولننسد أنت الفانوسة...

الألحان وحفة الإيقاع، نلقيه يعمد إلى التكرار الشعري الذي يؤكّد المعنى ويزين السياق "قروشة مصباح الأسياد". ونظراً لعنابة الكاتب المستمرة بالقيم يضمن مقطوعته مفردات العظمة والرقة "الأنجاد، الأسياد". وبذلك يجمع بين الجميل والمفيد الذي يمسك بأفق انتظار الطفل بطريقة غير مباشرة؛ إذ يندمج في أجواء المسرحية في أريحية تامة.

ويتخد الكاتب من المقطوعات الشعرية محطّات يهدف من ورائها استراحة الأطفال وشعورهم بالرضا حتى لا ينفروا من المواقف القاتمة التي تتعرض لها قروشة والتي قد تؤثر سلباً في نفسية الطفل فيتحول ما هو مأساوي إلى ميلودrama في قوله:

بم بم بم

قروشة تبكي

والكل حزين

الوقد يفكُّ في حل

والقرش فطين

بم بم بم

لجاً الكاتب بهذه المقطوعة من الشعر النثري إلى الاتكاء ببدايته على حرفين مهمّسين هما "السين" والـ"شين" يخرجان من بين الأسنان، فيتسرب الهواء بينها، فيحدث الصوت، ولعل رأس السين يمثل الأسنان التي ينفلت من بينها الهواء.(13) كما أنهما يتسمان بالحرارة وهذا ما يجعل تأثيرهما في أذن السامع فورياً وفي تلقى الطفل مستحسناً نتيجة موسقتة؛ ذلك أن الصورة السمعية تتكرر في نسيج الأسطر الذي يفيض بهجة وطرباً في الاحتفاء بشخصية "قروشة" وتكرار حرف السين المهموس المتواافق مع القافية جعل الجرس موسيقياً يحمل صوتاً قوياً مستثنساً. مع أن حرف السين صوت يمتاز بصفير عال يوحى بنفس قلقه، ويدل على الحرقة والانحدار والعلو...

يتواصل احتفاء المجموعة بقروشة في جو من الطرب والأنس والفرح احتفالاً بعيد ميلادها مشكلاً دائرة كلها احتواء ومحبة وتعاضد واحتفال ينم عن مكانة قروشة لدى المجموعة في قوله:

الأولى نلقي ذلك في قوله: "يلوب يدور" في سطراً واحداً على الرغم من الاختلاف الموجود بين اللفظتين إلا أنهما بدت شيئاً واحداً يخدم النسيج الشعري للمقطوعة. يسع القول في الأخير: إن الأنسنة لدى الكاتب والناقد هيثم يحيى الخواجة قد أدت وظائف تربوية وتعليمية وأخلاقية وجمالية فنية لم يحرض عليها في هذه النصوص فقط وإنما كان نهجه ومنهجه فيأغلب أعماله الموجهة إلى شريحة الأطفال على اختلاف أعمارهم. وذلك لا غرو لأن الكاتب مرب لأجيال من المتعلمين والقراء، الأمر الذي جعله خبيراً بنفسية الأطفال وملماً بطبعتهم. وتفادياً منه للأسلوب التقريري الإرشادي، فإنه آثر الاستعانة بهذه التقنية التي يعشّقها الأطفال ليس فقط في القصص والمسرحيات وإنما في التلفزيون والسينما من خلال الرسوم المتحركة، لكن رسوم هيثم يحيى الخواجة تتحرك الفاظاً منتقاة، وعبارات مؤثرة، ومعاني دلالات ذات ظلال، إضافة إلى الأناشيد المهدّدة للطفل والمرحمة عنه. وكل ما يراعيه الكاتب في ما يوجهه للنشئ منطلقه الأساس هو تتميمة الذائقـة الفنية والجمالية لديهم ليشبوا على حب الأشياء التي تصنع الجمال لتحارب به القبح والرذيلة.

فروشة في رفض قاطع والسمك يلوب يدور يتطلع عن حل ساطع ويغيب يغيب لكن البحر هو البحر والموج يوشوش أحداً ثـا والناس نـيـام والملاحظ على سياق هذا المقطع الشعري مثلاً سبق ذكره توظيف الكاتب للتكرار تارة باللفظ وتارة أخرى بالمعنى؛ وكمثال على تكرار اللفظ ما يلي:
بـم بـم -يغـيـب يغـيـب - الـبـرـ هو الـبـرـ...

حيث كان التكرار في الأول مقطعاً صوتياً موسيقياً غريباً "بـم بـم" والثاني فعلاً مضارعاً يؤكـد على معنى الغياب الذي يدل على التحول والتغيير والانتقال من وضع إلى آخر. بينما التكرار الثالث هو تكرار لمكان له أهميته في النص ألا وهو "الـبـرـ" الذي يجمع بين أطراف الصراع "سمك القرش والإنسان".

وإذا تعلق الأمر بتكرار المعنى الذي لولاه لما فهم الطفل كنه اللغة التي تبدو بعيدة عن مداركه، ولذلك وظف الكاتب ترادفاً يجعل المتنبي الصغير يفهم المعنى من خلال اللفظة الثانية وليس

أنسنة الحيوان عند هيثم يحيى
الخواجة استراتيجية مدرورة من أجل
تحبيب القراءة للأطفال، ونصحهم
وتهذيبهم بطرق تستهويهم وتوثر في
الآباء والآباء ...

الهوافش :

- (1) ينظر، سهيل إدريس، المنهل(قاموس فرنسي - عربي)، قاموس فرنسي - عربي - دار الآداب، بيروت 2003 ، ص 623 ، 624
- (2) محمد بري العواني، أفكار حول الكتابة المسرحية للأطفال، مجلة الحياة المسرحية، ع 49، إصدار وزارة الثقافة السورية
- (3) ينظر، حمدي موصلي، الطفولة في مسرح فرمان بلبل، دراسات وشهادات في تكريم المسرحي فرمان بلبل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003 ، ص 22
- (4) ينظر، هيثم يحيى الخواجة، أدب الأطفال بين النظرية والتطبيق، إصدارات وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، ط 1، أبو ظبي، الإمارات 2014 ، ص 24.
- (❖) وهذا ما اطلقت عليه مصطلح "الحيونة" من خلال تجربتي في النقد المسرحي حيث ألفيت في ذلك التوظيف تقزيماً للإنسان ومساً لإنسانيته؛ إذ يجوز ذلك إذا تعدى التباizer بالألقاب إلى تقديم رسائل مدمدة سخرية وتهكمًا من بعض الطبائع المشينة.
- (5) ينظر، محمد مرتأض، أدب الأطفال، دراسة تاريخية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994 ، ص 104.
- (6) غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار الثقافة، ط 5، بيروت، ص 180.
- (7) ينظر، محمد مرتأض، أدب الأطفال، دراسة تاريخية فنية، مرجع سابق، ص 110 ، 111.
- (8) محمد مرتأض، م، ن، ص 105.
- (9) ينظر محمد رجب النجار، حكايات الحيوان في التراث العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد 24، العدد 1 و 2 الكويت 1995 ، ص 187.
- (10) ينظر، حسن مرعي، المسرح التعليمي: الكتاب و -الموضوعات -النماذج، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، ط 1، بيروت 2000 ، ص 23.
- (11) حسن مرعي، المسرح التعليمي، الكتابة -الموضوعات -النماذج، دار ومكتبة الهلال ودار البحار، بيروت 2000 ، ص 20.
- (12) هيثم يحيى الخواجة، مسرح الطفل ، دراسات مسرحية، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط 1 ، 2013 ، ص 79.
- (13) دليلة مزوز، سيميائية الحرف العربي قراءة في الشكل والدلالة، الملتقى الثالث "السيمياء والنص" ص 280



الخطيب في حضرة الشعر

د. مأمون الجنان

لا يزال الشاعر فرحان الخطيب ابن الجبل الأشم والمتالق ينقلنا بأدبه بين «نبض خارج الجسد» وبين «فيض القلب» بين شعر قديم وشعر حديث بعدهما صقلت تجربته الشعرية موهبته وأغنت مفرداته التي تخطت المصطلح والمفهوم والرؤى وعكست البيئة الشعبية التي اعتمد عليها بشكل كبير التي مكنته من المراوغة بين الدلالات والرموز فضلاً عن تراكماته المعرفية التي هجّعت به نحو مقصوده وكشفت عن مراده مع احتفاظه بثوابت هويته الأصيلة فتناول شاعرنا رؤاه ومصطلحاته وعالجها ببروية وبرؤية بسيطة حكت ما كان يجيشه في وجданه الداخلي الخيالي والتاريخي والعطائي وعبر عن وجهة نظره بإدراك الشاعر المتمرس في الحقيقة التي قامت على المفارقات والانزياحات والاستعارة فقال:

الجليل الجميلة فهي كالرحم قال
الشاعر :
كم من منزل يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل.
ويقوم شاعرنا بنظم قصائد
مستعينا بيئته التي تستهويه حيث نشأ
وترعرع في أحضان الجبل:
أتيتُ يسقيني شعرِي أطيره
اثنان فوق خيول الشوق بين ريا
قد جئت من جبلِ سالتْ مودّته
كالنهر فاستعدب الإنشار والطريا
كأنْ في مضافات لها ألق

وفاض عن شُرفة الأسحار موعدنا
كالليل والنجم عنه ليس يفترق
وقطع الصبح أشواطاً وصار ضُحى
وظلّنا أننا لم يرحل الفسق
تروح والشعر زهارٌ بقامتها
بعضُ من الخجل الفضاح والقلق
حتى إذا لبست غنجًا مفاتتها
راحَت وظللت براح الروح تصطفق
ونلاحظ هنا أن حوامِل نصه
الأساسية مفردات وعوامل ممارسته
اليومية ببعادها وتكويناتها وهذا معهود
ومطلب مشترك بين الشعر والمكان
الأليف وبخاصة لأنه متفاعل مع بيئته

عن توالي عدة جمل فإن التحليل يبدأ بالجملة الأصغر ليصل إلى البنية الكبرى وهذا ما يتيح لنا وصف أهدافه واستقراء موضوعاته ومعناها وكشف البنية التي تشتراك معه في سياق النص وينتقل بنا إلى مقطوعة وشوشة كسمفونية ليقول فيها:

أحبك، بات يلزمني نبيد
ويغشى ليانا ثلج وماء
أحبك غطت الدرج الثلوج
وعتمت المكان الكهرباء
وتعصر أمنيات راحتانا
وهمس واللمى والكستاء
ومدفأة توشوشنا خفوتاً
فنزجرها، فيصطحب اللقاء

في هذه البنية وتجاور حروفها ومقاصدها تخدم وجهة نظر معينة وتحقق المحاكاة أو الماثلة أو التشابه بين النص الماثل أمامنا والنص الغائب عنا ذهنياً من دون المبالغات في التصوير والفحش في المفردات بل جاءت كلماته ومفرداته المتخلية تطرد الشوارد والهواجس وحاول تقديم هذه الفرضية المختصرة بعناصر الحديث الشعري والولوج إلى عالمه المتخيل وإشاراته في استشراف الأيديولوجيا الفنية ما يجعلنا نقول: عند دراسة شعر فرحان الخطيب الذي يدخلنا إلى دائرة التكامل مع الحالة الإبداعية عنده بعيداً عن زحمة المكان والجغرافيا وبذلك يضفي تنوعاً غنياً وبعداً واسعاً على شعره

أثرت حفاوتها الأزمان والحقبا
كأنها في ليالينا مناراتها والهيل
خالط في ترحاله السجبا

يمكنا، بل نستطيع، أن نحكم من خلال التحليل والقدرة على التفكير من فهم الواقع المراد من قصيدة (ريح صبا) عنده ومحاكاتها للواقع في ذكاء وحنكة عكست مشكلاتنا وتدخل النص الشعري مع مفرداته النثرية الجبلية بمنهج أدبي متميز مع مقاربة الحديث في زمان ومكان معين متولد من أحداث تاريخية ونفسية ولغوية توالت في مجتمعاتنا ويختلف نصه الشعري الأدبي بين بينيوي وتاريخي ولغوی ونفسی وظاهري مع وجود فوارق بسيطة لكنها بمستويات عديدة متجلسة مع بعضها البعض في التحليل والتركيب والأسلوب فنراه يقول في قصيدة كالشجر العتيق في رثاء الشاعر الشعبي نعمه العاقل:

غصن القصيدة في يراعك أحضر

وجواد شعرك بين ريعك أبجر
لا زلت تورق في ريو حضورنا
كلماً بأصناف البلاغة يزخر
مطر، فأسرع في البوادي يهدر
قل لي إذن كيف الرثاء لشاعر
هو في ليالي الشعر سطر مقرن

وفي هذا النموذج نستطيع خلاله دراسة البنية اللغوية التي توضح لنا دون لبس كيفية تراقص كلماته وطابعها وترتبطها الفني وبما أن الشعر هو عبارة

خاصة في الذكريات الذاتية أو
الاطارات الفردية التي ارتبطت بحدث ما
آخذة في التحول والتركيب المبني
والنحوى لتأخذنا نحو مستويات مختلفة
بعيدة بين صور نثرية تارة وأخرى شعرية ..

ها أنا الآن راقدٌ في سلام
مثلاًما عشت لا أخالف نفسي
كنت أرعى نجوم شعري ليالٍ
 فهو حزني وفرحتي وهو أنسي
كائن الشعر لم يلمني لفعل
للملمات حين أغتم يُنسى
 فهو عصفور كرمتي حين أصحو
 وهو قنديل غربتي حين أمسى
 هو حي إذا غدوت موت
 وهو وردٌ على حجارة رمسي.

تناول الشاعر فرحان الخطيب هذه
الاتجاهات الموضوعية في شعره وتدخلت
وتأثرت وأثرت بعضها البعض الأمر الذي
أخذنا إلى مناخ آخر في دراسة شعره وقد
اتجاهاته المختلفة ومن الجدير ذكره
وتناوله باللاحظة هو إمكانية عرضه
للمفاهيم الأدبية خلال مدرسة النقد
والشعر الانطباعي الفني بضوء سيرته
ومسيرته، وذلك يكمن في أن شعره يمت
بصلة ما إليه من قريب أو بعيد أو إلى ما
يحبه ويرتضيه ويُعد شعره تعبيراً عن
الذات مباشرة ولا يخضع لقوانين أو
أعراف مسبقة موضوعة أو مسكونة في
 قالب ما بل دراسة مجموعة الشاعر
 فرحان الخطيب "نبض القلب" ما هي إلا

من دون تكلف وبلغة محلية سلسة وفي
إيحاء من الأجراء الخيالية التي تحملنا
إلى عالم آخر غير واقعنا.

ونحن في حيرة وارتباك يحدد لنا
شاعرنا معنى هذا الإيحاء كمظهرٍ من
مظاهر الألق الشعري بعصرية يمتلكها
ويمتلك القدرة على التوليد والإثارة
وتصوير الأحساس المكثفة بما تحمل
مفراداته وبيئته من دلالات فنية عالية
تشعرنا بوجود علاقة خفية وعميقة بين
شعره والصورة النشطة في ذاكرته
فيوظف ويستثمر ذلك بشكل واعٍ ما
أكّبه بصيرة مميزة و شاملة وهذا ما
يعد ارتباطاً بين رؤاه والصور وبعدها
والأفكار المدمجة في خاطره.

ويضمنا بعد ذلك امام منهـل
الذاكرة ومخزونـه الثقافي الشعـبي
فيـستـدـعـيـ تـارـيـخـاـ رـمـزاـ للمـؤـازـرـةـ وـالـتعـاـضـدـ
الـمـسـتـثـمـرـ وـتـارـيـخـاـ معـ بـعـضـ الـاستـعـارـاتـ عـلـىـ
سـبـيلـ المـجاـزـ عـبـرـ التـصـوـيرـ الـذـهـنـيـ وـعـصـفـ
الـأـفـكـارـ فـلـمـ تـكـبـلـ الـمـواـزـينـ وـالـقـوـاعـدـ بـلـ
سـبـحـ فيـ عـالـمـ رـؤـاهـ الحـسـيـةـ فـلـانـ لـهـ
الـحـرـفـ وـالـلـغـةـ فـبـيـنـ مـلـكـاتـهـ وـظـهـرـتـ
الـمـتـعـةـ الـشـعـرـيـ فـضـلـاـ عـنـ مـهـارـاتـهـ الـفـنـيـةـ
الـتـيـ وـظـفـهـاـ فـتـجـاـوـزـتـ التـصـوـيرـ الـذـهـنـيـ
وـبـعـدـ الـفـعـلـ الـإـنـسـانـيـ بـشـكـلـ يـسـتـفـادـ مـنـهـ
فـيـ لـغـةـ الـحـيـاةـ الـعـادـيـةـ الـبـسيـطـةـ.

فـهـوـ يـحـولـ مـقـصـودـهـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ إـلـىـ
صـورـةـ تـعـبـرـ عـنـ الـفـهـمـ وـالـصـورـةـ الـمـنـظـورـةـ

وهنا نلاحظ أن الفن المتعدد مبني على الحقيقة دون رتوش أو تشويه أو تزييف فهو بالبعد الإنساني بعيداً عن العواطف فهو لا يخلط بين هذا وذاك أو ينحو نحو ظاهرة الشعور والشعر.

كل ما في دفاتري من حروف هي بعضي وقد حوته الدفاتر هي دفء على وسادة طفل وحنين ينام بين الستائر هي ذكري تفيق كل شروق وتطل على سخاء المناظر هي عدواني على سفوح تلال وغنائي على دروب البيادر ضوأتها أناملُ والمحاجر حملتني إلى رحاب جمال مثل حلم إلى خيال المسافر تزرع الحب في فؤادي شتولا زاهيات على شبابيك ساهر ويتاول في شعره الوجданى في قصيدة (هي بعضي) مستحضرأً بيته التي ترعرع وتمرس في عاداتها وتقاليدها ومارسها فهي ليست وليدة صدفة بل هي فرصة واستثمار للبدائل...

يا جارة الجبل الريان صاغ فمي براعم الشعر في مفناك فابتسمى فتحن صنوان في سهل وفي جبل ما فرق الغيم بين السهل والأكم كأنني نسمة الريان تحملنى والريح شرقية هبت على (غضم) كأنها حملت بصرى أوابدها

فتحاً جديداً يضاف إلى عالم الشعر والحياة بكل بساطة وتجريد لذا فقد وجد نفسه وأعمل خياله ونضج في طرح قصائده وتحدى عبر رؤاه وكأنه يرى المشهد امامه ليتخطى بذلك حدود العقل والفلسفة الضيقه ولغيرد بفضاء آخر عن طريق حده بعيدها عن الواقع الأرضي الدنوي وكأنه صوفي في محراب الشعر الذي يسود في بعضه عالم من الخيالات والدلالات والرموز...

ليس للشعر منزل غير ذاتي فيه يسمو إلى ذرا المكرمات أقطف الشعر من جنون رياحي وأداريه من دوار الجهات وبنات الأفكار عندي صبايا يستحمن في ضحي المفردات ها هو الشعر نجمة في خيال ومرايا توشوش الفاقات كل فجر يطل أنشى سرابا وخميلا على ندى الأمنيات ييدع الورود من رحيق وما لجنان من السنا ناظرات.

"وقعة مقطوعة" قال: سيفقدك الكرام بذات يوم إذا احتاج المقام إلى كلام لأنك مثل حقل من خزام وما أحلاه قول من خزام وقد لبست معانيك التماعاً كوردو قد تلفع بالغمام.

الصورة الشعرية قدرًا كبيراً من لطفها
وهذا يعد تحولاً جديداً من جمود
الشكل إلى موامة الواقع بين بيئته وبين
قدرته بالتحرر من عقدة المادة التصويرية
الشعرية فيرسم صوراً جديدة تتسمى
وترمز للأصالة وإلى خصائص معينة ومع
بعض الملامح والدلالات بوفرة الخير
العميم.

ومما يعكس عادات وتراث اهل
الجبل الجميل فيقول:

نامت وأبواب المضافة للندى
قد شرّعت للضيف تُقْرِي زادها
والدار ترهج كالنجوم دلالها
وكانها تهُبُ الدنى أعيادها
وهنا قرى لما يزل تاريخها
تاجاً من عز الديار وشادها
هي من بَنَتْ فوق الجروف سطوعها
مثل السيوف وفارقت أغمامها
هي مثل هين الصقر ترقب صيدها
خابت يداً من ظن أنه صادها
من قصيدة الفزعـة من مجموعة
فيض القلب صفحـة ٥٥ وما بعدها
وفي قصيدة "حب" يقول :

أيها الحب أنت سر حياتي مثل نور
يلف بوج صلاتي
نسمة الصبح في مشاتل فل
كالعصافير في ربي معيشيات
كالسنونو بكل بيت تريل
يمنع الدفع لاختلاف اللغات

ونوّحت مجدها في راحتي (وَقَمْ)
كأنني من ذرا تلّاتا عقب
يحف داركم بالورد والعنـم
تعانق اللوز والقمح الذي صدحت
ما بين بينهما عصفورة النـغم
ونجده يتفاخر بوطنـه وأنه من سليل
قائد الثورة العربية الكبرى فيقول :
وطني هنا جبل تربع ضافياً فوق
التلـال

وبالسـنا يعتمد
لو أبرقت في الدـير حتى شامـنا
لمشـى إلى سـوق المـنايا يـرـعد
لبـيك إـنا لم نـزل "سلطـاناً"
بنـخي وإنـا لـلسيـوفُ تـجرـد
نمـشي.. تسـيلُ إـلى البـطاـح بـيارـق
نشـوى.. وتـلتـهم الغـزاـة وتحـصـدـ.

إـلـى أنـ يقول :
وطـني وـعينـي النـصرـ شـاخـطةـ إـلـى
سـاحـ الضـيـاءـ يـحـفـ فيهاـ الفـرـقـ
وـتـعـيـشـ سـورـياـ وـنـحنـ حـمـاتـهاـ
عاـشـ السـلاـمـ وـعـاشـ شـعـبـ أـصـيدـ.

وـأـخـيراـ، ماـ نـرـيدـ أنـ نـقـولـهـ فيـ نـهاـيةـ
الأـمـرـ إنـ شـعـرـ فـرـحـانـ الخطـيـبـ تـعـودـ أـنـ
يلـقـفـ الـواـقـعـ فيـ دـقـةـ مـتـاهـيـةـ لـكـنـ
بعـدـسـتـهـ هوـ دونـ أـنـ يـحرـكـهاـ بـأـوضـاعـ
مـخـتـلـفةـ معـ تـدـقـيقـهـ لـلـنـظـرـ فـيـمـاـ وـرـاءـ
الـأـحـدـاثـ وـالـأـفـعـالـ أـكـثـرـ مـنـ اـعـتـمـادـهـ عـلـىـ
الـرـؤـيـةـ الـبـصـرـيـةـ مـاـ جـعـلـ مـنـ مـفـرـدـاتـ تـتـخـذـ
شـكـلاـ ظـاهـرـيـاـ يـحـمـلـ دـلـالـاتـ تـصـبـ فيـ

محيطة وتحديد مكانه ودوره فيه فعمل على اكتسابه وأسس طريقته الخاصة في الرؤى والرؤى ما يرافق بذلك الاستلهام وصاغ شعره بطريقة أو نظرية ضمن شكل محدد معروفة ومفهومة وهذا ما يؤدي إلى التفاعل والنمو بما يساعد في ازدياد عمليات الترابط والتركيز على القيم والأعراف كما ساهمت ثقافته في عملية التغيير الاجتماعي وبلورة الوعي الإنساني المقبول ضمن طقوس العادات والأعراف بالممارسة والسلوك ودوره الحياة اليومية للأفراد والجماعات وهذا ما يفسر لنا المفاهيم التي أطلقها بين الحين والآخر.

لا ريب أن شاعرنا أراد ومنذ اللحظة الأولى أن تعمم تجربته على مختلف نصه وأراد تشكيل هاجساً شعرياً لدى الآخر المتلقى ويربطه ارتباطاً وثيقاً بشكل خطابه اللغوي والشعري.

ما تراه عيون قلبى جميلاً
لهو عندي كأجمل الكائنات
راجع مجموعة فيض القلب صفحة 77

وفي عهده يقول:

ما دمت حياً أنت قافية
وبحور شعري حين أحترق
ما ظل غيم نفَّ في لغتي
إلا وأنت الورد والحبق
تبقين طول العمر أغنتي
وسفينتي لو مسني غرق.
من فيض القلب صفحة 68

إن أهم ما يميز رؤية واعتقاد الشاعر البحث في الواقع المعيشي الذي يتبع التفاعل والتبادل والاندماج والتشافق، ويبدو أن شاعرنا ينتمي إلى ثقافة نحو تحقيق الذات وهو من قبيل الوعي المحقق في إطار الجماعة وفي ظل الظروف التي يعيشها إذ تمكّن الشاعر من معرفة

المراجع

- كتاب النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ترجمة د. إحسان عباس ومحمد يوسف نجم بيروت
- كتاب مقالات في النقد الأدبي ترجمة لطيفة الزيارات مصر
- وكتاب مناهج النقد الأدبي ترجمة محمد يوسف نجم بيروت 1967
- وكتاب دراسات في النقد ترجمة د. عبد الرحمن ياغي بيروت 1961
- والمجموعة الشعرية فيض القلب لفرحان الخطيب طبعت عام 2019 في سوريا دار الغانم للثقافة.



النسق الإشرافي في ديوان (غارق يُغنى) للشاعر العماني سعيد الصقلاوي

د. سعير الخليل

تمثل الرغبة بأصول القصيدة العربية (العمودية) وتجليات تمثالتها الأولى توقاً تعبيرياً واستعادياً لما ارتكتزت عليه تجارب الماضي وأنضجته التحولات وأفاق الابحار والتجريب والركون إلى صيغ وفضاءات أثبتت عمقها وتأثيرها وأسست لها نسفاً متصاعدةً باتجاه الجزالة وموجهات تعبرية صادحة تمزج بين عمق المعنى وجمالية المطروح. وتزداد ملامح الانطلاق في مثل هذه التجارب الاستعادية لينابيع الإبداع تزداد توهجاً حين يمتزج هذا التوجّه بالاقتران والتماهي مع تحولات العداثة وايقاع العصر.

وتوظيف المكافدة الروحية (الوجودانية) كوسيلة للوصول إلى نوع من (النيرفانا) الشعرية، والإمساك بجوهر الوجود الإنساني بصيغته المتعالية والمجسد في إشرافية الحب بكل تجلياته وتداعياته وأسراره وطقوسه ونسقه الترميزى والتأويلي، والشاعر يخرج بصرياً على القصيدة فيكتبهما على شكل أسطر شعرية وليس بطريقة الشطرين لكنه يلتزم الایقاع الخليلي والقافية الموحدة أو المتوعة أحياناً، والقصيدة المقطعيّة الثلاثية والرباعية.

هذا الاستهلال يمثل ضرورة تحليلية واستشرافاً معرفياً لدراسة انساق القصيدة ومناخاتها ودلالياتها واحتفالاتها المتعددة في تجربة الشاعر العماني (سعيد الصقلاوي) فهي تجربة تغري مجسّات النقد ومساحات المدارسة والتأمل والاستقراء لتفكيك بنية القصيدة عنده، وهي تزأوج بين الإستلهام (الغنائي) / الوجوداني) واستعارة بنية التدفق الإسترسالي في القصيدة وفق تأطير إشرافي يصل أحياناً إلى مشارف النسق الصوفي والاقتران بالتحليق باللغة المجازية

وأن موجهات الخطاب الصوفي في مساحته الإشراقية هو تحرر من محابس اللغة والمنطق التقليدي وصولاً إلى بلاغة روحية مؤطرة باستبطان الذات وغناصية وجданية، ومن هذه الرؤية اللافتة يمكن التعامل نقدياً مع تجربة (الصقلاوي) الشعرية والاقتراب من تجلياتها وملامحها وعناصر الابتكار والتجريب فيها بدءاً من استعارة البوح الإشراقي والمزج بين مناخات القصيدة العمودية وآيقات التفعيلة، وبين الاختزال والصور في تجارب الشعر الحديث، وتعدديّة هذه المستويات هي التي منحت هذه التجربة أهميتها وضرورتها اكتشاف تقنياتها وخصائصها لما تمثله من توجّهٍ تعبيريٍّ جديدٍ وشفيفٍ ومؤثرٍ.

ولعل الاقتراب من الاستبصار الإلهامي والرُّكُون إلى المكابدة الإشراقية والانفتاح على أشواق الإنسان روحًا وجسداً وتوهجاً جعل الشاعر يميل إلى المشهدية البصرية وإلى قصيدة تجمع بين معطيات الحواس وتراسلها فتجد البصر والشم والذوق ممتزجاً بالسؤال والاستفهام والتأمل في وحدة ترتكز على لغة جديدة تتسم بالانطلاق والتدفق من دون تعقيد أو استغراق في غريب الألفاظ أو صعوبة المعاني، فنصوص (سعيد) الشعرية قريبة إلى الإحساس لأنّها ترتكز أساساً عليه وهي تدفق صوري يثير متعة التذوق ويشيع طرياً خفيّاً، وقبل أن نباشر في دراسة المدونة الشعرية والاستشهاد بنصوصها

يوظّف الشاعر في معظم نصوصه تقنيات اللغة الصوفية القائمة على الجدل والتماهي بين الثنائيات الضدية وبين الاستثمار اللغطي في إيجاد أداء يجسد حالة التوق الإنساني والإمساك بالمعاني المستترة والضمنية كصياغة تعبيرية تجعل النصوص في ارتحال يعيها ويعصمها ضد المأثور والسائل والانزلاق إلى المباشرة، لكن صوفية (سعيد الصقلاوي) ليست صوفية التراث والتجارب النسقية المعهودة، إنّه يستعيد رداء العرفان والأسلوب البياني لصياغة برهان وجданى شفيف ولا تتوجّل نصوصه في التأغییز والشطح والمطلق... فالمطلق عنده هو الحب المركّز على الجمال والنقاء والتطهير وصولاً إلى الطقس (البيورتاني) الذي يصلق الألفاظ ويعيد اكتشافها وينجحها من عقب البوح الكثير من الإشارات والإحالات وأبعاد الترميز والتأويل، وبذلك فتجربته هذه تمثل شكلاً مقدماً ورحباً في نزعتها التجريبية وتطويع الأداء الصوفي وتوظيفه وأساليبه وعوالمه وشتغالاته واستعاراته للتعبير عن أزمة الإنسان المعاصر وهو يعاني اغتراباً سوداويّاً بسبب نقص المحبة والتواشج الإنساني... والتجربة برمّتها تحمل رسالة ضمنية وبوحاً تشفيرياً يرتكز على ثنائية الاستههام والاحتجاج والعودة إلى اليقابع لتأشير حدود الاغتراب وفداحته والصادم المعاصر الذي تسال إلى الإنسان وصيّره كتلة من البرود والبلاهة والتعقيد الذي لا يسمح بأي بوح وانطلاق وتحرر، لاسيما

أحمر اللون
يهيجاً يتجدد... (الديوان: 23).
إذ نلاحظ النحت الدلالي الموحي في
النص:

ترسل الأشواق حرى
والندى
من فوق خديها
حناناً يتودد
ووجمالاً عبقرىًّا
وهوى
وحكايا
في سماها تفرقـ (الديوان: 24).

ويمكن التوقف عند هذا النحت الاشتقاقي (تفرقـ) وهو فعل اشتقة أو أجاز اشتقاقة الشاعر من الاسم (الفرقـ) أو (الفرقـان) المعروفيـ الدلالة وهو توظيف جديد، ينطوي على دالة انتزاعية على مستوى تشكيل المفردة واستخراج معنى جديد ومبتكـ، ونجد مثل هذا الاشتراك فيـ نص (اقرار) وهو من النصوص المؤثرةـ والموحيةـ:

إنـ قرـ بالذنبـ معشوقـ لعاشرةـ
فذاكـ حبـ لدىـ العشاقـ مغلوبـ
والقصدـ فيـ الـ هجرـ معلومـ ومستـ
الروحـ أجـ نحةـ والـ قلبـ يعـ سوبـ
ولـ انـ تـ ساـ كـ بـ دـ مـ دـ نـ الفـ سـ عنـ ولـهـ
فالـ وجـ دـ بـ سـ تـ اـ نـهـ والـ شـ وـ قـ منـ صـ وـ بـ.

يمـ كـ نـناـ القـ وـ لـ إنـ تـ جـ رـ بـ (غـارـقـ يـغـنـيـ) هيـ
مـغـامـرـةـ شـعـرـيـةـ وـ توـ غـلـ فيـ مـسـاحـاتـ تـعـبـيرـيـةـ
جـديـدـةـ فـضـلاـ عنـ الـ اـرـتـهـانـ إـلـىـ نـسـقـ
إـشـراـقـيـ فـيـ هـالـةـ مـنـ الجـمـالـ وـعـقـمـ الـعـنـيـ
وـإـلـاـشـارـةـ الشـعـورـيـةـ، إـلـىـ جـانـبـ آـنـ النـصـوـصـ
اتـسـمـتـ بـرـصـانـتـهاـ وـتـمـاسـكـ بـنـيـتـهاـ مـاـ جـعـلـهاـ
تـمـيـلـ إـلـىـ الـاخـتـرـالـ، وـالـبـحـثـ عـنـ الـعـانـيـ
المـؤـثـرـةـ وـالـظـلـالـ الـموـحـيـةـ، وـاعـتمـدـ الشـاعـرـ
أـسـلـوبـ فيـ الـعـنـوـنـةـ يـكـرـسـ فـيـهـ لـفـظـةـ أوـ
مـفـرـدةـ وـاحـدـةـ مـثـلـ (ذـكـرـيـ، العـيـدـ، فـرـحةـ،
بـدرـ، صـبـاحـ، تـرـاسـلـ، حـالـاتـ، اـعـتـرـافـ،
بـسـمـةـ، الـمـعـشـوقـ، بـحـثـ، رـؤـيـةـ، إـشـراقـ،
الـجـسـرـ، الـوـشـاءـ، وـدـاعـ، غـرـلـ، خـرـيفـ،
عـيـنـاكـ، قـبـلـاتـ، اـبـتـدـاعـ، خـشـوعـ، أـيـامـ،
دـرـبـ، اـرـتقـاءـ، رـنـوـ، مـسـيرـ)، وـهـذـهـ ظـاهـرـةـ
كـرـسـهـاـ الشـاعـرـ لـخـلـقـ نوعـ منـ الـاخـتـرـالـ
وـانـقـاءـ مـفـرـدةـ تـغـنـيـ عنـ الـشـرـشـةـ الـعـنـوـنـيـةـ
وـالـأـلـفـاظـ الـفـائـضـ، وـلـيـسـ مـنـ السـهـلـ بـطـبـيعـةـ
الـحـالـ أـنـ تـكـوـنـ مـفـرـدةـ، وـاحـدـةـ تـبـعـرـ عـنـ
فـكـرـةـ غـيـرـ مـحـدـودـةـ دـاخـلـ بـنـيـةـ النـصـ.
إـنـ نـصـوـصـ (سـعـيدـ الصـقـلـاوـيـ) الـشـعـرـيـةـ
تـجـرـحـ لـهـاـ فـرـضـيـاتـ تـعـبـيرـيـةـ جـديـدـةـ وـتـقـرـبـ
لـنـفـسـهـاـ مـسـارـاـ تـجـريـبيـاـ، حـتـىـ عـلـىـ مـسـتـوىـ
الـمـفـرـدةـ وـتـرـحـيلـهـاـ عـبـرـ فـعـلـ الـاـنـزـيـاحـ إـلـىـ الـعـنـيـ
وـالـتـشـكـلـ (المـوـرـفـوـلـوـجـيـ)ـ الـجـديـدـ الـذـيـ
يـضـمـرـ فيـ أـعـماـقـهـ صـورـةـ أوـ دـلـالـةـ مـبـتـكـرـةـ،
فـيـ قـصـيـدـةـ (عـطـرـ مـتجـسـدـ)ـ الـتـيـ تـبـدـأـ بـهـذـاـ
المـطـلـعـ:

هذه الوردة عطر
قد تجسد

(الديوان: 109).

الذات المحلّقة بعيداً عن أمراض الصور وتلغياتها وعدميتها في تجارب القصيدة الحديثة التي طفى فيها الجانب الذهني والمعري في على الجانب الغنائي والوجданى والاشراقي مما جعلها نصوصاً مغلقة ومستغلقة، وتتمرّكز حول الفموض والمعاضلة واللامعنى.

يبدو أن التوهج والوعي الشعري وجمالية الملكة عند (الصقلاوي) جعلته يكرّس هذه الإنتباهه، ويضع نصوصاً مضمّنة بالإيقاع، والتحليق والابتکار وصولاً إلى صناعة (فخ جمالي) ينطوي على الفكرة والإشارة، وعذوبة الألفاظ وسحر الإيقاع الذي يمزج بين جلاله القصيدة العمودية ومجدها ومساحات الإيقاع القائم على التفعيلة، وقد يلجاً أحياناً إلى التكرار، والتكرار لديه ي匪يد في تعزيق الإيقاع والتغيم إلى جانب دلالة التوكيد، وشدّ الانتباه كما في نص (صمت صارخ) بعنوانه الذي يحمل مفارقة دلالية صارخة:

صارخ بينهم
صارخ حولهم
صارخ عندهم
صارخ....
صارخ..
لا أذنَّ تسمعه
لا عينَ تتبعه
لا قلب يودعه
هجروه

تلحظ مماماهة واقتراب من البوح والتوصيف الإشرافي والصوفي، ويمكن التمعن في الفعل (تساکب) وهو توظيف اشتقاقي جميل ومؤثر إلى جانب الاستعارة الدالّة (تساکب دمع النفس) ولم يقل دمع (العين) بدلالة الكل عن الجزء، بمثل هذه

التوهجات التعبيرية والنsec الإشرافي توجّب على المجاهدة الوجدانية أن تبتكر لها لغة مجازية وانزياحية وخروجاً على المأثور والصياغة المعيارية.. فاللغة عنده مرتبطة بتدفق الحواس وفوضاها الجميلة.

وحين تتحقق النصوص كلها نجدها تدور في ملكوت البوح الشفيف والاختزالي وتقرب من التوحد والفناء بالحب والأشواق والانصهار الجمالي في معبد القيم الإنسانية في جانبيها الذي يمجّد العاطفة بوصفها ينبوع العذوبة والصدق والرقى بكلّ معانيه، ولذا نجد أنّ هذه النصوص ترتكز وتكرر وتؤدي وسط

هذه الدلالات، ويكثر الشاعر من ذكر هذه المفردات الموحية لبقايا الرومانسية لديه وتمكنّها من روحه الرقيقة (العيد، العطر، المطر، الحب، الشدو، الأطيار، البشارات، الاعتراف، اللقاء، الشوق، الأزاهير، الأفراح، الأحلام، العصافير، الآمال، الأحلام، المنى، السنّا، الوجد، البساتين، الفردوس....)، وبما يمثّل مرجعية لفظية ودلالية وقاموساً يكتظ بهذه الإشارات التي تؤدي بالبوح الجميل ولغة

يُبيِّن	أطْرَقَ فِي الْمَجْهُولِ
سَمْعُوهُ	فِي الزَّمْنِ الْمَطْلُولِ
قَدْ سَرَدَتْهُ الْدَّهْشَةُ	فِي الْعَلَّةِ وَالْمَعْلُولِ
وَاضْعَاتِهِ الْحَكْمَةُ	فِي الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ
فِي جُوَهْرِهَا	فِي الْعَرْضِ وَفِي الطَّولِ
عَرْفُوهُ... (الديوان: 73).	يَتَبَسِّسُ وَحْدَتِهِ
تطفو في النص مفردات تُوحى بأجواء الاستبصار (النظر) (الفائت) (اليقين) (الدهشة) (الحكمة) (الجوهر) (المعرفة) .. وهي إشارات وحالات نجد كثيرةً من النصوص حافلة بهذه الموجهات، ونجد أيضاً نزعة التماض مع الأفكار ومع الموروث الأدبي والميثولوجي مثل نص (صخرة سيزيف) ذات الجذر الإغريقي ودلائل المعنى السизيفي بوجود المكافدة: (73).	وَبِسَايِرِ غَرِيبِهِ وَسَائِلِ نَظَرِهِ جَهَلوهُ.. فَمَهِ مَفْتُوحٌ صَمَتْ يَنْخِرُهُ وَهَوَاءُ يَمْخُرُهُ وَغَيَابُ يَحْفَرُهُ..
وَقَلْبُ سَمَاهُ نَجُومٌ تَقْيِضُ عَلَيْنَا ضَيَاهُ يَعْنِقُ فِيهِ حَنَانًا وَيَمْلُؤُنَا مِنْ هَنَاءٍ عَلَى صَخْرَةِ الْحُبِّ سِيزِيفٌ أَهْدَى الْجَمَالِ هَوَاهُ يَغْنِي الزَّمَانَ يَنْدِي الْمَكَانَ جَمِيلُ رُؤَاهُ يَزْكُّي الْمُحِبِّينَ قُلْبًا وَيَزْهُرُ فِيهِمْ جَنَاهُ وَأَئِنْ صَبَاهُ يَطِيرُ	وَاللَّاْفَتْ تَوْظِيفُ الشَّائِيَّاتِ الضَّدِّيَّةِ ذَاتِ الْمَفَارِقَةِ، وَالْمَصْطَلِحَاتِ مِنْهَا (الْعَلَّةُ وَالْمَعْلُولُ)، وَالْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ، وَالْعَرْضُ وَالْطَّولُ).. وَهِيَ مَدْخَلَاتٌ عَلَى مَسْتَوِيِّ الْفَكَرِ، وَتَوْظِيفُهَا فِي الْبَوْحِ الإِشْرَاقِيِّ، وَأَسْهَمُ التَّكَرَارِ فِي الْإِشْهَارِ وَوُظْفَيْتِهِ الْأَنْتَبَاهِ وَتَعمِيقِ الْفَكَرَةِ وَالتَّوْيِيعِ فِي الْإِيقَاعِ الْمُوسِيَّيِّ، وَيَتَمَاهِي النَّصُّ نَفْسَهُ بِاتِّجَاهِ مَسَاحَاتِ عِرْفَانِيَّةٍ وَمَفْرَدَاتٍ (صَوْفِيَّةٍ):
	الْتَّفَتُوا لِلصَّوْتِ السَّاْكِتِ
	وَانْدَهَشُوا لِلنَّظَرِ الْبَاهِتِ
	وَالْتَّجَوَّلُوا لِلْوَقْتِ الْفَائِتِ
	وَانْتَبَهُوا..

يمجد روح الحياة
هو الحب
وحي الخلود
وجناته... وسناه.. (الديوان: 75 ، 76).

وتداولية المسعي الجمالي في الابتكار والتوظيف، وهو جزء من روح الاستبصار وقراءة الواقع والمضامين وفق تأثير مفاهيمي وليس مجرد تضمين أو توصيف بلاغي عابر.

ارتقي الشاعر (سعيد الصقلاوي) مساحة البوح الإشرافي ووفق رؤية تقترب وتماهى مع النسق الصوفي عبر نموذج اتسم بالعمق وذروة الجمال الروحي والإشارات والإحالات وتراحم المعاني والشفرات الوجدانية الغارقة بالذوبان في نص يوحى بالتحليق وفق دلالة العنوان (ارتفاع) الذي يحمل كثيراً من صبوتات الفناء والاتحاد:

أنا إلى الأحد
كليٌّ ومعتمدي..
فكيف لا نفسي
تبدو ولا جسي
إلا ترى حلمي
يعشي على القدر
إلا ترى مدددي
في عين معتقدني
إلا ترى كلامي

في سمع منتقله. (الديوان: 153 ، 154).

تلحظ لدى الشاعر تصرفات إيقاعية ليست نمطية في ميله للأوزان الرشيقية المتدفقة والتوع في توالي القوا في بطريقة

وليس من الصعب اكتشاف القلب الذي أحده الشاعر باستعارة الفكرة (السيزييفية) وتوظيف معناها بشكل يتراقص مع مدلولها الأول فأسطورة (سيزييف) تمثل العنة والعذاب الدائم والتجدد من خلال الجهد اللامجي، والخالي من المعنى وقد عوقب (سيزييف) بأن يحمل الصخرة إلى أعلى الجبل ثم تهوي إلى الأسفل في دوامة دائرة من المكافحة والعذاب والمعاناة التي تقترب من العبثية، لكن الشاعر (الصقلاوي) قدم قراءة مناقضة ومتصادة حين جعل من الحب بديلاً عن العذاب والمعاناة اللامجذبية، وتحول العذاب إلى أزاهير نور ونجوم وحنان، وجمال يفيض في الزمان والمكان، وهو زكاة المحبين بل يصل إلى ذروة التعبير الوجداني فهو (روح الحياة) وهو (وحي الخلود)... وقد قلب خلود (العقاب الجسدي) إلى خلود الزهو والحب المشع وهو جوهر الحياة المجدية والوجود البهي المنتج عبر نسق إشرافي يمنحك الأمل بالحب وحده، ويمكن تسمية هذا النوع من التعامل النّصي بالتناص المضاد، فمن البديهي أن التناص يوظف باتجاه مضاعفة المعنى الذي يحمله وليس المعنى المضاد له، وهذه اللمحات تعكس روح التجريب

تفرضها الدفقات العاطفية والروحية،
ويتوغل في العروج والبوج الصادح المكتمل
الإشارة والبهاء، وبصور توحى أكثر مما
تخير أو تصف:
العروج العرفاني:

القلب عرش الله لا يكسر
والروح روح الله تستبشر
والضوء طهر النفس تستغفر
والحب بيت الله لا يهجر
هو الجمال والرضا الأزهر
هو الحياة والمنى الأوفر
هو البهاء والعلا الأكبر
هو الجلال والسنا الأنضر...
(الديوان: 157).

ويتصاعد النسخ الإشرافي الروحي في الولوج إلى عالم التّوحُّد وتوصيف مدارج الارتقاء، وفي النص ملامح الفيصل (السايكلولوجي) وبحث الذات عن هاجس التماهي المطلق مع الجمال حتّى يصل إلى ذروة تعبيرية شفيفية، وهو يصف الحب بمعنى المطلق والكوني:

كَيْ يُسْتَرِيحَ الْحَبْ بِفِي
جَنْ الرِّضَا...
يَهْبِ الْهَنَاءَ إِلَى الْحَقْوَلِ
فَأَنَا الَّذِي
جَذْرِي تَمَدَّدْ فَارِعًا
وَالْأَصْلُ تَعْرِفُهُ الْأَصْوَلُ (الْدِيْوَانُ:

.(161- 160

تفرضها الدفقات العاطفية والروحية،
ويتوغل في العروج والبوج الصادح المكتمل
الإشارة والبهاء، وبصور توحى أكثر مما
تخيّر أو تصنف:

ما مرّ بي، وجع
إلاّ به رشدي
أو طاف بي فرّ
إلاّ به كبدّي
عيّني على أفقٍ
فيّاضة الرغد
قلبي إلى عمق
يموج بالسعاد
أسمو إلى الأبد
أرقى ولي عمدي
فكيف لا أحد...
أنا وبّي أحدي
. (155)

يتشابك النسق المفرداتي الضاج
بالمعاني النورانية والفيوض و (الرشد) و
(طاف بي فرج) (فياضة الرغد) (يموج
بالسعادة) (أسمو إلى الأبد) (فكيف لا أحد)
(أنا وبّي أحدي) وتلك مفردات قصيدة فيها
الكثير من المجاهدة والارتقاء إلى مدارج
البهوج والتعمق المتواصل مع الذات الإلهية
وبلغة شفيفة وصور أخّاذة موحية وملائي
الاشداق الدوح

وَثُمَّ نص آخر لا يفوّتا التّويه به
والإشارة إليه، وهو ينتمي إلى نسق النص

يمشي به قدر
كأنما قدرى
سرّ واعلانٌ
xxxxxx
أمشي حديثاً
وروح الله.. لي بصري
ولي به
في جنан الروح.. ريحانٌ...

(الديوان: 163 - 166).

تحفظ البنية الإشارية التي تشد الذات الإلهية وتعبر عن بوج ذاتي فيه الكثير من الخشوع والسكنينة، والسعى إلى توازن يجعل الإنسان متماهياً مع نورانية اللطف الأعلى، ولعل توجهنا في تشخيص البوح وأنساقه في هذه النصوص هو ما تكشف عنه قصيدة تمركتز حول هذا المعنى (السايكولوجي) في حوارية ذاتية منتجة لدلالات ومفاهيم مع انتقاء شعرية المفردات وعناية في رسم الصور الشعرية التي تقترب من التجسيد الصوري، والنونق البصري وهي دلالة على المراهنة على فكرة الاستبصار والنور والتجسيد الكنائي والسعى إلى التشكيل المشهدى بكل رمزيته وتأويلاته، ففي نص (بوج يغري) نجد التعالق بين البوح والصمت:

ولماذا يغرينا بوج
والصمت لنا معبد
أنراه مرآة القلب

ونجد ملهمًا جماليًا ودلالياً في النونق التصاعدي، والتعالقي بين النصوص وكأنها مشدودة إلى خيط ينتظمها وهي تقدم فيوضات وزوايا وتصنيفات تكمل بعضها بعضاً، ونشعر لاسيما في النصوص الاستبصارية - ذات الإشراق الوجوداني - أنها تقدم صوراً متراابطة، ومساحة يطل منها الشاعر ويقودنا إلى رحلة إبحار لصور تتضافر لتشكل رؤية كونية ترتكز على مقاربة مع أعمق معانى الكمال والاكتمال، والتاغم المطلق مع ملاحظة الاهتمام في انتقاء المفردات وتدفق الجرس اللغطي مما ينشئ إيقاعاً وتغييراً فيه روح التمجيد، والتبسيح، واستعارة جلال اللغة كنون مواز لجلال المضممين، وهو يصف رحلة الروح الباحثة عن الفيض والنورانية وإقباس السر المطلق الذي يضفي على الموجودات سحرًا وسكنينة، وهذه المقدمة الإشارية لنصل حمل عنوان (مسير):

أمشي..

تحاورني الأسرار

في وله

بعض لبعض

كتاب السر

برهان..

أمشي

تفارقني الأطلال مزمنة

ولا يفارقني.. ضوء وإيمان

أمشي.. على قدرٍ

للنحو الاشتقاقي كما مرّنا في الفعل
(يقرف) و (يشاكي) وهنا نجد اشتقاقةً
جميلاً ودالاً (يتتسجد) وهذه خاصية من
خصائص الشاعر، وولعه في الاشتقاء
وابتكار المفردة الدالة، وتحقيق مساحة
من الانزياح باتجاه معنى أكثر بوحاً وأياباً
وتحقيقاً لمعنى المراد بكل دقة وتجسيد.

أما القصيدة التي حمل الديوان أو
المجموعة عنوانها (غارق يُغنى) فهي إبحار
في فيض من الأسئلة الوجودية وتوصيف
مكابدة الذات الإنسانية الباحثة عن
كونيتها عبر لغة شفيفة، وعبر مساحة من
تصادم الأفكار بين الثنائيات المتصادمة،
ولغتها فيها مساحة السؤال المعرفي
والوجودي بنسبة كبيرة، وهي تصور
التناقض الظواهر الحياتية والإنسانية:

ذاك الغارق في الظل
على حدّ الجرف يغنى
هل يبصر أحلاماً
في ضوء القلب
ويدرك أنّ الأيام تمنّى
هل يسأل عن زمن الظل
عن روح الطلّ
عن شفف النخل
عن وجع الرمل
عن ما في عين الحق
وعن ما في عين الظن...؟
أيفكّر في مشهد مقترباً

وعين النفس
أم هو للداخل مشهد
هل يعطي البوح ضياءً حقيقته
يهديننا زهر سكينته
أو يسوقنا ماءً محبتة
أو يمنحكنا أفياءً حديقتة
ويتوّجنا فرحاً يتتسجد
وهل البوح طيور الأسرار
 وأنفاس الأشجار
حكايا الأنوار
وكشف الأقدار
تصيد ولا نتصيد... (الديوان: 143 - 144)

وهذا النص تحديداً يختزل جوهر
الديوان ويعبر عن فلسفة وفيوضات البوح
بكلّ تجلياته، فهو يسعى إلى هذه الطريقة
حتّى في النصوص التي لا تتناول مضامين
عرفانية مطلقة، وتجسد المفردات ذات
النحو النوراني ومن ملامح التوظيف
السيميائي للغة الوجود، والفناء عباراته
(مرأة القلب)، (عين النفس) (البوح
ضياء...) (زهر سكينته) (ماء محبتة) و
(أفياء حديقته) و (فرحاً يتتسجد) و
(أنفاس الأشجار) و (حكايا الأنوار) و
(تصيد ولا نتصيد)... نسق نوراني تشفيري،
وإحاله إلى نسقية مجازية وإشارات رمزية
تحمل الكثير من الصور والمعانوي العميقية
الشفافة والمستترة ونجد أنموذجاً آخر

مستوى البناء وتعزيز المستوى الدلالي في
توكييد المعنى المراد ويختزل روح المفارقة
والتناقض في جملته الشعرية:

"هل يشقى في فرح؟" وهي صورة
شعرية تجمع التناقض لتثير كثيراً من
التساؤلات، وتحرض الذهن على التأمل
والبحث عن المعانى القصصية وتلك هي
خصيصة من خصائص أسلوبية
(الصلابي) في اللجوء إلى اللغة المجازية
ذات النسق الإشاري، وهذا التوجه يعكس
نزعة في التعامل مع البنية اللغوية والمنطوق
اللسانى على أنه مساحة لإنتاج المعانى
والأفكار وتأسيس منظومة المضامين
وليس اللغة مجرد وسيلة للنقل والبوج العابر.
أبارك للشاعر (سعید الصلابي)
نزعته الحداثية وجمعه الجميل بين التراث
والمعاصرة وإن كان حيّاً في مواضع أو
نصوص كثيرة إذ يكتب العمودي بطريقة
سطرية ليوحى بحدثها، وهذا وحده يحيل
إلى أنّ الشاعر يحمل بذرة التجديد في
الشعر العماني المعاصر، وهناك قصائد
لديه تتتمى إلى ما يسمى بـ(قصيدة الشعر)
التي نظر لها العراقيون وأكثروا منها.

أو متعدداً أو ما بين البين...؟
هل يتحسس ذكراه
يتلمس منفاه
يتوجس معناه
هل يشقى في فرح
أو يسعد بالمضني
كيف يغتني...؟
كيف يفتن...؟ (الديوان: 135 - 136)

وهذا النص مكتظ بالصور ومؤطر
بروح الأسئلة الوجودية لما تتطوّى على
كينونة الحياة والوجود من جدلٍ وتعالقٍ
وتناقض، وهي بحق قصيدة مختلفة إيقاعياً
عن الشعر العمودي وتتمي للشعر الحر
(التعليمة) بل مختلفة في منحى تطور
(سعید) الشعري الذي خرج بصرياً في
مجمل نصوصه ولم يخرج عروضاً، فهو
يكثّر من الأسئلة الاستفهامية لاسيما
بتوظيف (هل) وهي تتكّرّر في أكثر من
سطر شعري تقريباً، أو مقطع منها وهذا
يعينا إلى ولع الشاعر بتوظيف اسلوب
التكرار لتعزيز النسق الإيقاعي على

قامة سديان

لا تبكِ يا حنظلة فالدم له

طعم المأساة

1987 - 1963

أ. فلك حصريّة





لا تبكِ يا حنظلة فالدم له طعم المأساة 1987 - 1963

أ. فلك حصرية

آه... وألف آه يا حنظلة كيف للاسم أن يخلع رداءه، والمفترض أن يحافظ ويحمي مساماه،
كيف لاسم جذر اللغو حطّ عند باب النجاة... كيف يا حنظلة سقط الناجي وغاب العلي...
وتشردت سنواتك العشر عند عتبة النسيان...
مضى.. غاب بل تمت تصفية صاحبك وصديقك

ورفيق دربك... مبدعك المناضل الأسطورة: ناجي العلي...
ترك مكانه شاغراً... وبارداً... ومهملاً...

"إن حنظلة هو بمثابة الأيقونة التي تمثل الانهزام والضعف في الأنظمة العربية"

- ناجي سليم العلي

تعود الذاكرة، وُشرق المخيلة لتلتقي دماء مبدعين فلسطينيين دفعاً حياتهما ثمناً لموافقهما،
فما أشبه "غسان كنفاني" بـ "ناجي العلي" وبا لعظمتهما ورجولتهما، وإيمانهما، وحضورهما
النضالي المشرف الذي يتجدد مع انبساط دوره الحياة، وفصول تقلباتها.. اختطفاً - هكذا وبكل
بساطة - وتمت تصفيتهم الجسدية، وغيّباً بوحشية حاذفة آثمة حقيرة، في عالم يدعّي صون حقوق
الإنسان، ويتشدق بالحربيات الزائفة الكاذبة المخالفة والرعنوية... ببساطة ومن دون ضمير كانت
عملية الاغتيال الأكثر دموية في الحياة، والأبعد عداوة وصلفاً، وتمزيقاً وذبحاً، كان الأدب فيها
درب الآلام، والنّفـن الكاريكاتيري خنجر الصـلـب الذي ما انفك ينـزـفـ، ويفتسل بـسـائـلـ الأـحـمـرـ
القـانـيـ مـذـكـرـاـ التـارـيـخـ وـمـجـداـ، نـاكـئـاـ الجـراحـ، فيما الكلـمةـ تـتحـدىـ الموـتـ، وـتـجـاـوزـ الفـنـاءـ.

ولد المناضل الفلسطيني المبدع "ناجي سليم العلي" في قرية الشجرة الواقعة بين "طبريا
والناصرة". بعد احتلال فلسطين من شذاذ الآفاق والغاصبة "إسرائيل" هاجر مع أهله في العام
1948 إلى جنوب لبنان، ليعيش في مخيم "عين الحلوة" ومن ثم ليهجره وهو في سن العاشرة، لتدأ
 بذلك حياة لا تعرف الاستقرار - أبداً - فما بين اعتقال إسرائيلي وتلزيم سجين في زنزانة العدو بدأ
 تحليقه الفني، ورسوماته الطافحة بعشق لا يجاري لأرض غادرها ولم تغادره، ومضى عنها وهي
تسير أشواكاً تستعر لها شرائينه، وتتأجج بين خطوطها نيران الفراق، ولطى الشوق... هي
فلسطين - يا حنظلة - فلسطين التي اضطر إلى مغادرتها فما كان - من بد - أن يقع بك ولها
جدران الزنزانة، ودرّب الحياة وألم الحنين، لتبقى العودة ماثلة، حاضرة، وحقيقة لا محالة...

يقول الشهيد المبدع ناجي العلي:

"هكذا أفهم الصراع: أن نصلب قاماتنا كالرماح ولا نتعب."

لقد نجح - وبامتياز - أن يبتعد ناجي العلي شخصية "حنظلة" التي تمثل صبياً في العاشرة من عمره، ظهر هذا الرسم لأول مرة في جريدة السياسة "الكونية" في العام 1969 وقد أدار ظهره في سنوات ما بعد 1973، عاقداً يديه خلف ظهره ليصبح توقيعاً لنجي على رسوماته وقد لاقى حنظلة وصاحبها الحب الكبير والإعجاب لدى الشعب العربي على امتداد الساحة، وخاصة الشعب الفلسطيني، لما لهذه الشخصية من مدلول ورمزية لفلسطيني القوي والمُعذَّب، والشاهد الصادق على الأحداث، حيث لم يكن أو يضعف، رغم كل الصعوبات، ووطأة التشرد واللجوء. هذا وبعد يوم الخامس من حزيران لعام 1967 بمثابة تاريخ ولادته، لينطلق بعدها حراً، جرياً، قوياً، مناضلاً، فدائياً حقيقياً.

تميز رسام الكاريكاتير الفلسطيني الكبير في إبداعه وموافقه، ووطنيته بجرأته النقدية اللاذعة التي تمهّر الانتباه والوعي بقوة الحضور، وثبات الموقف، مما أهله ليكون أحد أهم الفنانين الفلسطينيين الذين عملوا على رياضة التغيير السياسي، ومنهجية المقاومة، باستخدام الفن كأحد أسلحة النضال، وتكثيف أساليب وأشكال الدرب والوجود القوي والإيمان العميق بأحقية الفلسطيني في العيش فوق أرضه، وأرض أجداده، وأرض أولاده وأحفاده من بعده. وهنا لا يفوتنا أن نتّوه إلى أن الصحفي والأديب الفلسطيني غسان كنفاني كان قد شاهد ثلاثة أعمال من رسوم ناجي العلي في أثناء زيارته إلى مخيم "عين الحلوة" فنشر له أولى لوحاته في مجلة "الحرية" العدد 88 في 25 أيلول 1961.

وفي العام 1963 سافر العلي إلى الكويت ليعمل محرراً ورساماً ومخرجاً صحياً فعمل في صحيفة "القبس الكويتية" والسياسة والطليعة الكويتية، والقبس الدولية، والسفير اللبناني".

والحقيقة أن شخصية "حنظلة" التي عرف بها ناجي لم تكن الوحيدة، إذ كانت إلى جانبها شخصية نسائية أخرى "فاطمة" التي احتلت مساحات في العديد من رسومه. فاطمة الشخصية التي لا تهادن، ولا تضعف أو تتراجع، تقابلها شخصية زوجها التي تقف على النقيض منها تماماً ...

في الـ 22 من تموز لعام 1987 تعرض رسامنا الفلسطيني الشهير "ناجي سليم العلي" لعملية اغتيال غادرة من مجاهولين، تمت في لندن، حيث أطلق عليه الرصاص الذي أصابه تحت عينيه اليمنى فدخل بعدها في غيبوبة حتى وافته المنية في 29 آب 1987، ودفن في لندن بعيداً عن حلمه بأن يوارى الثرى في مخيم "عين الحلوة" بجانب والده حيث كان من الصعبه بمكان تحقيق طلبه.

مضى يا حنظلة صاحبك، مات غريباً، ودفن في مقبرة الغرباء... رحل الرسام الاستثنائي يا حنظلة تاركاً خلفه 40.000 رسم كاريكاتيري، وجائزة القلم الذهبي لحرية الصحافة المقدمة من الرابطة العالمية للصحافة 1978 فيما لا يزال طابعه وتوقيعه "حنظلة" يدير وجهه بانتظار موعد رؤيته بشرط حده ناجي عندما سئل عن موعد رؤية وجه حنظلة فأجاب:

"عندما تصبح الكرامة العربية غير مهددة، وعندما يسترد الإنسان العربي شعوره بحريته وإنسانيته".

في رحاب القصبة

- القمر الأخير
 - خيبة شاهقة
 - اسم على مسمى
 - كيف صرتُ لصاً...
- أ. ملك حاج عبيد
- أ. توفيقية خضور
- أ. ايمن أبو شعر
- أ. مفید العبدون



القمر الأخير

دكتور أ. ملك حاج عبيد

أدور في بيتي لأملاً عيني منه، أتجول في أرجائه أدخل الغرف... المطبخ... آخر إلى الشرفة، الشمس تزحف بتأنٍ لتفوض في البحر، يصطبغ الأفق بلون أرجواني قان، الحياة تمور بصبح على الكورنيش... صبايا وشباب وسيارات وأصوات باعة ودراجات هوائية ونارية أغانٌ صاحبة. أزعجني الضجيج فانسحبت إلى الداخل وأغلقت الباب خلفي فساد السكون، سكون موحش قاتل سكون يقول لي أنت وحيدة فالكل قد هجرك لا إخوة لا زوج لا ابن، لا إنسان يزورك لا إنسان تتحدثين إليه، لا أحد يواسيك ويخفف عنك تباريع الوحدة والآلام المرض لماذا يا رب أكثرت علي المصائب؟ تركت الجرميين والسفلة والأنذال ينعمون بالصحة وأوقعني بالمرض؟ أي ذنب ارتكبت لتعاقبني عليه أنا لم أخرج عن تعاليمك، لم أرُد أحداً لم أسرق لم أزن لم أكذب، حياتي كانت هادئة هادئة، وهذا ما انتهيت إليه!

فراشة جمال وزهو كنت، أينما سرت توجهت إلى الأنوار ولا حقتني العيون، البنت الوحيدة بين صبيين... حبيبة أمي ومدللة أبي، كنا عائلة متميزة أبي هو المحامي اللامع محظوظ احترام الجميع، وأمي المدرسة الجميلة المتألقة... أخي قصي مشروع محام يسير على الطريق الذي سيمهده له أبي وصغيرنا مروان يحلم بأن يصبح طبيباً في المستقبل، وأتيه بين زميلاتي ما الذي ينقصني في هذه الدنيا فقد حزت كل ما تمناه فتاة في مطلع الصبا.

عندما دخلت الجامعة ازددت إحساساً بسطوة الجمال والفن، نظرات الإعجاب تلاحقني ولكن لا أحد تجرأ على إبداء إعجابه ، ماعدا منذر فقد اخترق حاجز الخوف وتسلل إلى القلب وسكنه، ما كانت الوسامنة تتقصه ولا كان الفنى يعوزه... كنت في سنتي الثانية في كلية العلوم وكان في السنة النهائية في كلية الهندسة

ولكنه كان دائمًا يعتمد أن يكون في طريقي تلاقى نظراتنا فأحس شوقاً عذباً
لشيء غامض يخفق له قلبي ولا أدرك كنهه ...

في كافيريا الجامعة كانت لقاءاتنا، لقاءات حلوة عنده مملوءة بالأحلام، أحلام
ترسم لنا صورة مستقبل جنابه الروح والقلب، يا الله ما الذي يفعله الحب بالإنسان!
شعرت أنني أرق... أسف... أطير إلى عالم من نور وورد وعطر، عالم لا يعرفه إلا
المحبون، عالم يصبح فيه الحب سماء تحقق فيها أرواح البشر وكل منها يبحث عن
يفتقد فإذا التقاه داخله الرضا والأمان.

عندما تقدم متذر لخطبتي رحب به أبي فقد اكتشف أن والده كان زميل مقعده
في المرحلة الابتدائية وقد افترقا في الإعدادية ثم تباعدت طرقهما هو اختار طريق
التجارة والمقاولات وأبي اختار المحاماة.

لم تطل مدة الخطوبة فقد كان متذر الولد الوحيد لوالديه مع اخت تصغره
فكانت هدية والده شقة في بناية أنيقة مطلة على البحر انقينا أثاثها وسجاداتها
وثيرياتها ولوحاتها من أرقى المحلات، أما شهر العسل فقد أمضيماه في إيطاليا
وإسبانيا ...

ما الذي أريده من الدنيا أكثر مما حصلت عليه؟ الإنسان الذي أحب والبيت
الرائع والأهل الذين يحيطوننا بالحب، ثم هل علينا ياسر فدعا معشوق العائلتين فهو
أول الأحفاد، بعد سنتين جاء مجد، كنا عائلة جميلة وكانت الحياة تضحك لنا
واعدة بأيام حلوة ثم حدث الانقلاب.

بدأت أسمع أحاديث متذر وأبيه عن متعهد حوت يريد احتكار مناقصة أحد
ال المشروعات فبدأت مضايقاته لازاحة والد متذر من المنافسة بالتلميح تارة وبالتهديد تارة
أخرى ثم انتهت بحادث سير مدبر أودى بحياة متذر ووالده.

كل الدلائل كانت تشير إلى تورط الحوت بالحادث فالمتهم كان واحداً من
أزلامه ولكن ما من سبيل لإثبات التهمة على المحرّض ، قال المحقق لوالدي "ما الفائدة
التي ستجنحها من زج من تشتبه به في القضية؟ هل هذا سيعيد أقربائك إلى الحياة؟" وما
سؤاله قصي "وماذا عن الحق والعدالة؟" نظر إليه ... تأمله ولكن لم يكلف نفسه عناء
الإجابة.

رحل متذر، رحل الإنسان الذي أحببته وعشت معه أجمل سنوات عمري، رحل
أجمل وأحن زوج وأب في هذا العالم... في كل لحظة أنتظر إطلالته من الباب ابتسامته
الحلوة ... سلامه .. صوته وهو ينادي الصغارين... كيف أصدق أنني لن أراه

وأنه لم يبق منه إلا قبر أزوره لأبكي إلى جواره!

طوفان ود وعطف غمرني به الأقارب والصديقات في أيام الأولى ثم انصرف كل إلى حياته، قليلاً ما يزورني أهل منذر فالآم قد هدّها الحزن والمرض وبعد عام لحقت بابنها وزوجها أما أخته فقد تزوجت قريبتها وسكنت في دمشق فلم يبق لي إلا أهلي.

ذات صباح رحل أبي بسكتة قلبية، لم يفلح طبيب المستقبل في إنقاذ أبيه فعندما وصل به إلى المستشفى كان قد فارق الحياة.

شعرت باليتم والضياع ، فقد كان الشجرة التي أظللتني طوال حياتي ، كان القوة والمحبة والحنان وكان السندي بعد غياب منذر، افتقدت هاته يسألني كل يوم عما أحتاج إليه، افتقدت رعايته لشئوني، افتقدت زياراته وتدليله لولدي... يا إلهي لم كتبت على فقد من أحب؟

لكان وجود أبي كان السد الذي منع تفرق العائلة ، فقد قرر مروان أن يذهب إلى فرنسا ليكمل اختصاصه في جراحة الأعصاب فأثار في نفس قصي توجه للبحث عن إجابة لسؤاله القديم عن الحق والعدالة ، أغلق مكتب المحاماة وسافر إلى أخيه.

قبل زواجهما كانا يتربدان على البلد ، بعد الزواج تباعدت زيارتهما ، لم يبق في البيت إلا أمي تتحسر على رفيق الدرب الذي مضى وعلى بيت كان يضج بالحياة وغدا الآن صامتاً كثيراً فرحلت بهدوء كما عاشت حياتها قبل أن تجيء المصائب.

جاء أخواي حضرا جنازتها وعزاءها ، أخذتهما الشفقة على فقاً لمن يغلق بيته ولن نتركك وحيدة وسنأتي كلما سنت لنا الفرصة لنجمع معاً ، ولكن الوعيد بقي وعداً.

أحياناً كنت أزور بيت أهلي أفتح نوافذه لأجدد هواءه فأجلس في شرفته أسترجع الذكريات... هذا البيت الذي شهد طفولتي وصباي أصبح ماضياً لا تربطني به إلا زيارات راحت تتلى حتى انقطعت.

لم يبق لي إلا ولدائي ينموان أمام عيني شجري حور فتيتين ، دخل ياسر فرع الهندسة ليصبح مهندساً مثل أبيه أما أمجد على الرغم من معارضتي فقد انتسب إلى المعهد العالي للموسيقى فمنذ صغره كان عاشقاً للكمان وقد تبأ له أستاذ المعهد بأنه سيصبح موسيقاراً عالياً فسكنه الحلم، أستعيد صوته وهو يقول: "الموسيقا صلاة الروح في محراب الكون هي التبتل للجمال، هي العذوبة والنقاء والرقة مذابة في لحن"

يرد عليه ياسر ساخراً "ولكنها لا تطعم خبزاً" فيجيبه "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان".

ينهي ياسر دراسته يؤدي خدمة العلم ويتوظف في وزارة السياحة، ذات يوم جاءني وقد بدا عليه القلق، أخبرني إنه تعرف إلى فتاة كندية جاءت سائحة إلى سوريا وأنهما ترافقا طيلة مدة الرحلة ويعتقد أنه سيرتبط معها وعندما سأله هل أحببتها قال أرى أن حياتي ستكون أفضل معها لا مطالب لا شروط لا تعقيدات يكفي رغبتي في أن نعيش معاً، عاودت سؤاله هل تقبل بالمجيء إلى سوريا والعيش فيها قال أنا الذي سأذهب إلى كندا أعتقد أن حياتي هناك ستكون أفضل، ولما وجهت إليه السؤال الموجع هل ستتركني؟ ضمني إليه وقال "مجد سيبقى معك وسأزورك دائمًا وستذهبين لزيارتني".
بعد سنتين أرسل لي صورة ابنه وبعد ثلاث سنوات جاء لزيارتي مع زوجته وابنه فعاد للبيت أنسه وفرحة. امتلأت عيناي بالدموع ليتك كنت معنا يا منذر لترى أول الأحفاد.

العرب:

بدأت الأحداث في تونس ثم انتقلت إلى مصر وما ظننت يوماً أنها ستصل إلينا، بدت مقلقة في بدايتها ثم دامية ثم عاصفة، فعصفت بهدوء مجد وسلامه الروحي، كنا لا نصدق أن ما نراه يجري في بلدنا.

قال لي:

- لست خائفاً من الموت ولكنني سأهاجر إلى بلاد تحترم الإنسان وتلبى متطلبات روحه.

سقط قلبي فلم يبق لي من عائلة سواه فكيف سيغادرني، كدت أرجوه أن يعدل عن قراره، لكن كرامتي منعتني، ورغم خوفه عليه من المجهول لم أشأ معارضة أحلامه ، قلت له وأنا أتصنع الابتسام:
- انطلق إلى تحقيق حلمك.

احتضنني ووعدني بأنه أول ما يحصل على الإقامة فيها سياخذني إليه وسنعيش أعلى حياة هناك، التمع في رأسى بارق ثم ما لبث أن خبا ماذا سأعمل في تلك البلاد البعيدة فجاءني الجواب الموجع وماذا تفعلين في بلدك؟ مؤامرة كبرى حيكت ضد وطنك والكل مشارك في تنفيذها تفتحين التلفاز على الأخبار فترى بلدك وهو يُدمر،

غرياء يأتون من الخارج ليعيثوا فساداً في أرضك، ترين الناس وهم ينزعون من مدنهم،
يهاجرون من وطنهم ترين قوافل النزوح وترين مخيمات اللجوء، تشاهدين المهاجرين في
زوارق الموت بوجوههم المتعبة الخائفة، وصولهم اللاهث وهم ينطرون على الرمل
وعلى أرصفة الموانئ ترين عبورهم الحدود بين بلاد ترحب بهم وببلاد ترفضهم وعندما
يضيق صدرك مما ترين تخرجين لتتشقى الهواء فتسمعين صوت سيارات الإسعاف
وهي تقدم الجنائز وترين صوراً معلقة على الجدران لمجندين بعمر الزهور يبتسمون
للحياة ولكن رياح الحرب عصفت بهم وألقت بهم في وادي الموت.

أعناق مجد، أقف بالباب وهو يهبط الدرج ، أخرج إلى الشرفة أراه وهو يركب
السيارة، ألوح له مودعة أتابع السيارة حتى تغيب عن ناظري ثم أدخل لأجهش بالبكاء
فقد ذهب آخر من يذكرني بأنه كان لي عائلة.

كنت قد اعتدت غياب ياسر أما غياب مجد فقد ترك فراغاً كبيراً في حياتي ،
كان زهرة البيت وروحه وموسيقاه وأنسه، وغداً يتزوج فتاة سويدية تتسييه أمه وجذوره
وبيلده.

تتراءى لي صورة أمي بوجهها الجميل الحزين الآن أحس بمشاعرها وبمعنى
الوحدة التي عانت منها.

.....

أسمع جرس الباب يرن، من تراه القادم؟ أتمنى أن يزورني أي إنسان أتمنى أن
يتحدث معي أي إنسان، علاقاتي مع الآخرين واهية، في البداية منعني حزني من
التواصل مع الناس، ثم منعني الكبرياء خفت من قلق الصديقات والجارات من أرمالة
شابة قد تغيري الأزواج بالغمارة، ابتعدت حرضاً على كرامتي فألفت الابتعاد، ثم
جائت الحرب فقبع الناس في بيوتهم نسوا الزيارات نسوا حتى الاتصال الهاتفي.

من هذا الطارق يا ترى؟ نهضت من مقعدي نظرت من العين فرأيت وجه امرأة لا
أعرفها سألتها من وراء الباب ماذا تريد فسألتني عن أناس سكناً هذه البناء
مؤخراً، للحظة تمنيت أن أفتح لها الباب لأتحدث معها بأي موضوع، أجري معها أي
حديث فأنا الآن بحاجة إلى إنسان أتحدث معه ولا يهمني حتى لو كان غريباً، راودتني
الفكرة ثم عدلت عنها، ما أدراني ربما كانت لصة، ربما كانت نصّابة، ربما
كانت فرداً في عصابة، ما عاد الناس بعد الحرب وأحداثها يثقون ببعضهم، كل
أغلق على نفسه الباب واكتفى بأهل بيته أما أنا فما عاد لي أهل بيت، وما عاد لي

أهل، هي مكالمات تأتيني من بلاد بعيدة راحت تتأى حتى كادت تتقطع.
خذلتني الحياة تخلى عنِي أقرب الأقرباء، الوحدة تجرحني والضجر يقتلني
والفراغ يفتت أعصابي ما عاد شيء يفرحني ما عاد شيء يهمني كل آمالي انحصرت
في أن يغادرني هذا الألم اللعين.

.....

أقوم إلى المكتبة أخرج منها ألبومات الصور، أفتح الألبوم الأول وفيه صور
الطفولة مع العائلة، ودائماً أنا في قلب الصورة، أتأمل وجهي أمي وأبي يا للجمال
واللوسامة والابتسامات الهائلة، أتأمل وجوهنا الصغيرة النضره وهي تتظر للكاميرا...
توارد إلى ذاكرتي صور الماضي صخباً وضجيجنا ضحكاتنا ومشاجراتنا، صوت
أمي وهي تؤنبنا، ابتسامة أبي تضامناً معنا... نزهاتنا، أعيادنا، رحلاتنا... أين الحاضر
القاسي من الماضي الجميل، الكل غاب، لم يبق من الإخوة إلا الذكريات قلت
أنساهem كما نسوني ولكنني بحاجة إليهم بحاجة إليك يا مرؤان لا يخطر ببالك أن
تستدعيوني إليك وتجري لي العملية التي أحتاجها؟ هل تخاف من إغضاب زوجتك أم من
إزعاج أولادك؟ وأنت يا قصي يا من وعدتني بعد رحيل والدنا بأنك ستبقى إلى جانبي
ولن تتخلى عنِي لم أخلف الوعد؟ كم أتمنى لو أن لي آخرًا لكي كانت أحن على منكما
أيها الجاحدان؟ سراب... سراب... سراب أيعقل أن تكون الإخوة سراباً؟

أفتح ألبومي الخاص، هذه صوري وأنا في الحضانة في المرحلة الابتدائية في
الإعدادية في الثانوية في الجامعة...

هذه صوري يوم خطوبتي لمنذر... كان الفرح يتائق في عيني وأنا أزهو بشوبي
الجميل وكان منذر إلى جواري وسيماً حيياً بيدو محراجاً وسط القربيات
والصديقات... هذه صورة زفافنا، مهرجان أناقة وجمال... يومها مال منذر على أذني
وقال لي أنت أجمل فتاة في الدنيا وهذا اليوم أسعد يوم في حياتي... هذه صورنا في شهر
العسل في إيطاليا أمام برج بيزا... في البندقية ونحن نركب الجندول... هذه صورنا في
إسبانيا في غرناطة... في قصر الحمراء ...

أفتح الألبوم الثالث صوري مع ياسر ومجد يا الله كم كان متعلقاً بالطفلين،
يأتيني صوته وهو يقول "أحس الآن أنني أكرس حياتي لغاية نبيلة، رعاية برمجين حتى
يتفتحوا ويشتدد عودهما" كان يتبعهما بكاميرا يسجل لقطاتهما الطريفة، كان
حريصاً على تثبيت كل مرحلة من حياتهما بصور تذكرهما بطفولتهما وشبابهما
ليعطيها لهما عندما يصبح لكل منهما بيت ولكن العمر لم يمهله فغادرنا وما زالا في

طفولتهما الغضة ، تابعت هذه المهمة ولكن العصفورين هجرا العش ما عادت تهمهما الصور ، طار كل منها إلى الحياة التي اختارها وتركتاني وحيدة مع ذكرياتهما ومكالماتها.

حيوات كاملة اختصرت في صور ، صور الراحلين وصور الجاحدين وصور الواعدين... يا الله ما أسرع عبورنا في هذه الحياة وما أقسى هذا العبور.

أتأمل آخر صورة لي مع مجد قبل سفره وقبل أن أبدا رحلة الآلام ، أبدو حزينة ولكن ما زلت قوية متفائلة ثم كانت الكارثة ، زلة قدم على درج البناء أدت إلى انزلاق قوي في إحدى فقرات ظهري ألقاني طريحة الفراش لمدة شهرين وعندما نهضت عرفت أنني قد فقدت شيئاً ثميناً كنت أملكه وما عرفت قيمته إلا الآن ، غادرتني الصحة وفقدت القوة ، أنهض متعبة مت塌فة مجرورة المشاعر فالكل خذلني حتى جسدي !

سنتان بطعム الألم والقهر مررتا علي ، كان السير على الكورنيش عند الغروب هو المتعة الوحيدة المتبقية لي في هذه الدنيا ، ما عاد باستطاعتي نزول الدرج وما عاد باستطاعتي السير إلا في البيت ، ما أكرمك أيتها الدنيا حتى هذه المتعة الصغيرة سلبتها مني ! يا الله لم خلقت المرض؟ ألا تكفينا كل مصابينا؟

عندما وصل الخدر إلى ساقي سكبني الخوف ، هل سيداهمني العجز هل سأملك في السرير غير قادرة على الحركة؟ أهذا هو المال؟ أهي ذلة وأهي قهر وأهي يأس سكبني؟

قال لي الطبيب "لا خلاص من الآلام إلا بإجراء عملية جراحية وستحتاجين إلى استراحة تامة ورعاية" قلت له: "إنني أعيش وحدي" رد "لا بد من تأمين من يرعاك على الأقل في الشهور الأولى".

استتجدت بمروان فأعطياني عنوان طبيب يعرفه وقال إنه سيتواصل معه قلت له في سري "يكفيك لماذا ستتعب نفسك؟" استتجدت بياسر فطلب مني مهلة ووعدني بالحضور.

يفرح قلبي أنسى آلامي تزهر الحياة أمام عيني ابني لم ينسني وهو قادم ليقف إلى جانبي ، أهيء البيت لاستقباله أسترجع في ذهني الأكلات التي كان يحبها ولا بد أنه مشتاق إليها... أحلم بمشاوير معه قبل إجراء العملية ، أحلم بالجلوس معه في مقهى بحري نستعيد الذكريات ، في آخر وقت خذلني باعتذاره ، استتجدت بمجد فأنجدني

بِمَكَالَاتِهِ وَعُوَاطِفِهِ لَكَنْهُ قَالَ إِنَّ قَوْنِينِ الْجَرْجَةِ الْآنَ لَا تَسْمِحُ بِالْعُودَةِ.

الألم يلزمني يلتصق بي يذكرني بنفسه في كل حركة فأحس بضعفه وعجزي وعدم قدرتي على الاحتمال، أتمنى يداً تأخذ بيدي أتمنى أن تستجد بأحد ولكن لم يبق لي من استجد به، صلتني بالعالم لا تتعدى حدود الشغالة التي تأثيني لتنظر لي البيت وتعدد لي الطعام وهي بحاجة لمن ينجدها، فقد رملتها الحرب وغدا في عنقها مسؤولية ثلاثة أولاد صغار وأم غدت مقعدة، أفكر بالاستعاة بممرضة ولكن كيف أدخل إلى بيتي شخصاً غريباً يعايشني شهوراً وأنا لا أعرفه.

استزفت صحتي وصبري ومالي، ولكنني لن استجدي أحداً ولن أطلب شفقة أحد، يثور في نفسي الكبرياء، حياتي ليست حياة إن لم يعش الإنسان الحياة التي يحبها فالأفضل له أن يغادرها، كانت الصحة والشباب ومستقبل الأولاد تحملني على الاستمرار فما الذي بقي لي لأتابعها؟ ما عدت أحتمل مهانة المرض وذل الصبر وقهر الوحدة.

سيطرت علي فكرة الموت، أغمض عيني فأري نفسي ملفوفة بالكفن والأيدي
تنزلنـى إلى القبر فأشعر بالراحة.

أستعرض في ذهني أفضل طريقة لمغادرة هذه الدنيا، أقلب طرق الموت فلا أستقر على واحدة منها هل هي حيلة النفس لاستلهال تتنفيذ القرار؟

أَقْوَمْ لِأَغْلِيْ فِنْجَانْ قَهْوَةْ، أَمْلَأْ الرُّكْوَةْ بِالْمَاءْ أَضْعُفُهَا عَلَى النَّارْ وَأَنْتَظِرْ غَلِيانِهَا، يَنْقُطُعْ التِّيَارْ الْكَهْرَبَائِيْ، أَتَلْمِسْ طَرِيقِيْ إِلَى زَرِ إِضَاعَةِ لَدَاتِ الْبَطَارِيَّةِ أَتَعْثِرْ أَكَادْ أَقْعَدْ فَأَتَمْسِكْ بِحَافَةِ الطَّاولَةِ، دَاهْمِنِي الْبَكَاءُ لِكُنْيِي ضَحْكَتْ، ضَحْكَتْ ضَحْكَتْ حَتَّى بَكَيْتْ "حَتَّى فِي آخِرِ لَحْظَاتِي تَلَاحِقِينِي أَيْتَهَا الْمَصَابِ، خَذِي فَتْرَةَ اسْتِرَاحَةِ اتْرَكِيَّنِي ارْحَلْ دُونَ عَاهَةَ جَدِيدَةَ"، يَغْمُرُ الضَّوْءُ الْمَطْبَخِ أَعُودُ إِلَى الْمَاءِ عَلَى الْفَازِ، أَضْعُفُ الْبَنِ عَلَى الْمَاءِ أَرْقَبُ فَقَاعَاتِهِ وَهِيْ تَزْدَحِمُ عَلَى السَّطْحِ تَلْعُو تَلْعُو ثُمَّ تَخْمَدُ يَرَاوِدُنِي الشَّعُورُ بِأَنَّ حَيَاةَنِي إِلَى فَقَاعَاتِ تَلْعُو وَتَصَبُّخُ ثُمَّ تَتَلَاشِي... أَصْبَحُ الْقَهْوَةَ وَأَضْيَءُ أَضْوَاءَ الْبَيْتِ كَلَهُ، أَذْهَبُ إِلَى الشَّرْفَةِ، الظَّلَامُ يَغْمُرُ الْمَدِينَةِ، الْكُورْنِيَّشُ خَلَا مِنْ رَوَادِهِ لَا صَوْتُ إِلَّا هَدِيرُ الْبَحْرِ يَأْتِي رَهِيبًا مَوْحِشًا نَسْمَاتٌ بَارِدَةٌ تَقُولُ إِنَّ الْخَرِيفَ قَادِمٌ، أَجْلِسُ عَلَى الْكَرْسِيِّ أَرْتَشِفُ قَهْوَتِي بِتَمْهِيلٍ فَهَذِهِ آخِرُ عَهْدِي بِمَذَاقِهَا... مِنَ الْأَفْقَ الشَّرْقِيِّ يَتَبَدَّى الْقَمَرُ بِدَرَّا يَصْعُدُ وَحَوْلَهُ هَالَّةُ ضَيَاءِ، تَمْتَلَئُ نَفْسِي افْتَنَانًا وَرَهْبَةً، أَتَأْمَلُهُ أَطْلِيلُ النَّظَرِ إِلَيْهِ، أَحْسَنُ أَنْهُ يَيَادِلَنِي النَّظَرَ أَتَابِعُهُ وَهُوَ يَتوسِّطُ السَّمَاءَ... سِيَكْمَلُ دُورَتِهِ وَيَغْبُ وَغَدَّا سَيَشْرُقُ الشَّمْسُ أَمَا أَنَا...".

أدخل إلى غرفة نومي أقف أمام المرأة لأودع نفسي فتمتلئ عيناي بالدموع أيتها الروح أين المستقر وأي مصير ينتظرك أيها الجسد؟ أذهب إلى المطبخ أملاً الكأس بالماء أجلس على حافة السرير أتناول علبة الأقراص المنومة من الكومودينا أفرغها في كوفي ابتلعها دفعة واحدة، آخذ الماء أستلقي على ظهري... من باب الغرفة المفتوح يطالعني القمر أرفع رأسي أتأمله وهو يسري في السماء، يرتسם أمامي وجه أمي وأبي ومنذر تحضرني صورة ياسر مع ولده... أرى مجد وهو منكب على كمانه أراه يرفع رأسه ويترسم لي ثم ينهض ويحمل جوّاله... يرن هاتفي يتعالى الصوت يتواتي الرنين فأحاول النهوش لكنني أحس بثقل في رأسي وبهمود في جسديأشعر أنني أنزلق إلى وادٍ عميق عندما وصلت إلى قراره وجدت أرضاً خضراء منبسطة رحت أسيير على عشبها الناعم... من بعيد تلوح لي أمي قادمة بثوب أبيض طويل، أركض إليها فتسرع إلى عندما التقينا احتضنتني وقالت " كنت أعلم أنك لن تطيلي الغياب".



خيّة شامقة

أ. توفيقه خضور



جرس الهاتف يرن بالجاج، فتجيب ليال بلشنة طفولتها الغضة:

- (ألو.. أهلين.. عمي محمود؟! اشتقتلك كثير.. لا تنسَ تجعلي لعبة... إيه..؟)

ثم تحضن لعبتها، وتحاطبها:

- (افرحي يا ماما.. رح يصير عندك أخت.. مو متلي أنا، كل ما بحكي لأمي بدّي أخت، بتحكي لي: أبوك استشهاد.. وأنا ماني عارفة شو علاقة اختي باستشهاد أبيوي..؟)

ثم تذهب إلى رفيقتها ميس، لتعبا لعبتها المفضلة (بيت بيوت)..

تستقبلها ميس، وترحب بها على طريقة أمها:

- أهلاً وسهلاً جارتا، زارتـا البركة.. تفضـلي، تفضـلي.

تبسم ليال، وتجلس، وهي تُسوّي ثوبها على طريقة أمها هي الأخرى..

وتهتمك الجارتان بأحاديث مُطْرِزة بتفاصيل الحياة اليومية، وفجأة تتبهـ ميس إلى أن ليال مازالت تحمل طفلتها، فتقـلـ بـودـ:

- (ولـو جارتـا) خذـي راحـتك.. ونـزلـي بـنتـك عن حـضـنك، لـتـلـعـبـ مع بـنـتيـ، الـبـيتـ بيـتكـ..

فتجـبـها بـحـسـرةـ:

- لا أـسـطـيعـ، فـقـدـ تـعـرـرتـ هـذـاـ الصـبـاحـ، وـسـاقـهـاـ مـازـالـتـ تـؤـمـلـهاـ يـاـ عـيـنـ أـمـهاـ..!

تهـزـ مـيسـ رـأـسـهاـ اـسـتـكـارـاـ، وـتـقـولـ:

- لا بد أن السبب هو ثوبها الواسع الطّوّيل، الذي لا أعرف لماذا تُصرّين عليه..!
تنتهي ليال، وتقول بحيرة:
- صدّقيني لا أعرف لماذا أحبّه.. ربما لأن جدّتي تلبس مثله، وأنتَ ألا تلبس جدّتك
مثلك هذا الثوب..؟
- لا.
- لماذا..؟
- لا أعلم.. ربما لأننا لسنا فلسطينيين.
- لستم فلسطينيين..؟! وهل يوجد أحدٌ في العالم ليس فلسطينياً..؟!

(2)

عاد عمّ ليال من السفر، وقدم لها الهدية التي وعدها بها.
فتحت ليال العلبة الملونة، فتجمّدت عيناهَا على اللعبة المستلقية داخلها، نظرت
إلى جسدها العاري، وثوبها الكليل، ثم رمتها بعيداً وحضرت لعبتها، وهي تهمس لها:
- آسفة يا حبيبتي ما رح يكون عندك أخت..
وتساءلت مقهورةً:
- (معقول يكون عمّي محمود مش فلسطيني هوّي كمان..!) ..



اسم على مسمى

أ. أيمن أبو شعر



بعد أن فُصل سعدي من عمله كدليل سياحي تم تعيينه "صدفة ودون أية وساطة...!" مديرًا لدار الأيتام.. وقيل أن عدداً من هؤلاء الأيتام هربوا من المأوى هكذا دون سبب يذكر...! لكن السيد سعدي أصبح شهيراً على أية حال، والجميع باتوا ينادونه فيما بينهم السيد سادي..!! ولكن لماذا؟

كان سعدي بعد تخرجه من المعهد الفندقي يعمل دليلاً سياحياً، ولاحظ صاحب الشركة أن الزبائن تحاشي الخروج معه بعد المرة الأولى إلا اضطراراً... استغرب مدير الشركة خاصة أنه عرف عن سعدي أنه ثرثار مرح، وهذا يفرح السياح عادة...

ذات يوم تحدث المدير مع مجموعة سياحية من النرويج باللغة الإنجليزية مستوضحاً لماذا لا يرغبون الذهاب مع سعدي، وكان بعض أفراد المجموعة قد تعلم قليلاً التحدث باللغة العربية، فأجابه معظمهم بالإنجليزية والعربية "نوعاً ما" إنه سادي! "sadist" - ساديست" لقد استفسرنا عن معنى سادي بالعربية، وهو بالفعل سادي: اسم على مسمى! وهو لا يتوانى عن التحرش بالنساء موحياً أنه يمزح!!! أو أنه تلخص مع هذه الحسناً أو تلك نتيجة كوابح الميكروباص فجأة، كما أنه يشارك الآخرين في معظم الأحيان طعامهم دون أن يدعوه... ولا يتوانى عنأخذ موزة أو تفاحة هكذا خطفاً، بمعنى أنه سرقها مرحًا!!! وأحياناً يترك المجموعة بلا فطور بحجة أن السائق تمهل في قيادة السيارة فخسرنا الحجز في المطعم على الطريق، ونحن نفهم أنه أخذ ثمن الفطور لنفسه!!!

اندهش مدير الشركة كيف أتقن السائح لفظ المثل الشعبي بطلاقة "اسم على مسمى" وخشي أن يكون هناك التباس، فقد لاحظ أنهم يلفظون اسم سعدي: سادي

لصعوبة نطق حرف العين، فراح يشرح لهم أن سعدي من السعادة، وليس من حب تعذيب الآخرين، وأن هذا السعدي ظريف ولطيف، ويحب النكات كثيراً كما سمع عنه...

هنا انتقض أحدهم وقال أية نكات، هذه حكايا مأساوية وإجرامية... في هذه الأثناء جاء الدليل الآخر الذي استدعاه المدير واصطحب المجموعة السياحية معه، وغادر الجميع المكتب.

بعد دقائق جاء سعدي، وسأل أين الوفد، أنا جاهز يا معلم!
لكن المعلم لم يجبه، بل سأله: أية نكات طرحتها أمس على المجموعة السياحية...

فقال سعدي: غريب أمرهم! طرحت النكتة الأولى فلم يضحكوا.. فقلت في نفسي لأوغل قليلاً بحيث أدهشهم، فطرحت النكتة الثانية، لكنهم حتى لم يبتسموا، وحين لجأت إلى النكتة الثالثة رغم أنها قوية جداً انفضوا من حولي ...
هؤلاء لا يحبون المرح! معقدون كئيبون يا معلم!

سأله المدير: وما هي النكتة الأولى؟

وقف سعدي وراح يتحدث محركاً يديه وكأنه يمثل المشهد وقال: من النكات الشعبية الشائعة عندنا، والتي لا يعرفها أحد في أوروبا، تقول النكتة: إن وزير الداخلية في إحدى الدول كان معقداً إبان طفولته شريراً، سريع الغضب والانفعال فاشترى له آنداك والده قطة صغيرة ليسلّى بها، ولكي تخفف بهدوئها من حدته وعنه.. بعد بضعة أيام وجدها قذرة ففسلّها ... وفي اليوم الثاني سأله الأب أين القطة فقال: غسلتها فماتت، قال الأب: ألم أقل لك لا تغسلها، فهي ما زالت صغيرة جداً، أجا به الطفل الذي غدا وزيراً للداخلية فيما بعد، ولكنها لم تمت من الغسيل يا أبي بل من العصر... وضحك سعدي إلا أنه انتبه إلى أن مديره لا يضحك بل سأله مباشرة: والثانية فقال: قلت لهم إن مدير مزرعة تعاونية لاحظ أن الديكة لم تعد تقفز فوق الدجاجات، وبالتالي لن يكون هناك صيصان وإنماج جديد، ففكّر جيداً وقرر أن يؤثر على الديكة إغراء كما يفعل عندما يأتي مسؤول التفتيش، حيث كان يدعوه إلى ناد ليلى يقدمون فيه عروضاً مثيرة!!! وراح المدير ينتف ريش الدجاجات وهي تصرخ، إلى أن أصبحت مثل الفراريج القابلة للشيء، فسأل المدير: ولماذا؟ فأجاب سعدي "ستريتيف" يا معلم، وراح يضحك... قال المدير متھكم: غريب، ولم يضحكوا؟ فقال سعدي

نهائيًّا... تنفس المدير بحرقة وقال: وما هي النكتة الثالثة التي قصمت ظهر البعير، فقال سعدي: قلت لهم إن ثلاثة أصدقاء من حارة واحدة كبروا، وباتوا يعملون في الأمم المتحدة، واحد في مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، وآخر في مكتب برنامج الأغذية العالمية، والثالث في مفوضية حقوق الإنسان... تذكروا شبابهم حين كانوا معًا في حارة واحدة، وأنهم ذات يوم تباروا من منهم أحقر من الآخر، فقال أحدهم مررت ذات يوم ضجرًا في الحارة، فوجدت عجوزًا تحمل بعض الأغراض، وبالكاد تسير متعبة، فوضعت قدمي أمامها فتعثرت، ووقيعت على الأرض، وراح تئن فبت أضحك، فقال الثاني بل أنا الأحقر فقد كنت قريباً وشاهدت الحادثة فدست على يديها بقوة ، وحطمت زجاجة الحليب التي معها، وهرست الخبز والجبن بحذائي، وضحك بصوت أعلى، فإذا بالحقر الثالث يقول ضاحكاً أنا أفوز عليكم، فأنا أحقركم هذه المرأة هي أمي، وقد ذهبت لإحضار الحليب لطفلها، والجبن والخبز لفطوري، وكانت على الشرفة، وشاهدت كل ما فعلتما بها، ورحت أضحك بقوة، ثم دخلت إلى الغرفة كي لا تتديني لأساعدتها كي تقف...

وقع المدير كتاب فصل سعدي وسأله وهو يقدم له الوثيقة... كيف يلفظ الأجانب اسمك يا سعدي فقال: سادي...
أجاب المدير حقًّا اسم على مسمى.

كيف صرتُ لصاً...

أ. مفيد العبدون

جدتي سامحها الله ورحمها وغفر لها ستحمل وزر آثمها، لأنها كانت تترك باب
القن مفتوحاً وقت الظهيرة كي تبيض داخله دجاجاتها

- ابن أربع سنين عاري سوى ما يستر الجهات العليا من جسدي، كنت أذهب
خلسة نحو القن، أنحنى وأدخل رأسي من بابه أرقب دجاجة وهي في مخاض الإباضة،
لا تكترت لوجودي إلا بعدما تمنّ على جدتي ببيضتها (تقافي) بصوت عال مفاجرة
بمقدرتها على الإنجاب، تنهض هاربة، فأبعد وجهي عن طريقها لتخرج من القن،
تندحرج بيضة بفعل ذعرها نحو فائقيتها، التفت إلى اليمين ثم اليسار كي لا يراني
أحد..

في أقصى اليسار كان ينتظري لص عتيد يكبرني بأعوام قليلة يأخذ البيضة
مني مقابل (فرنك) أشتري به قطعة هريسة لا يراني وأنا ألتهمها سوى الله..

كبرت وكبرت معى سرقاتي إلى أن تخرجت من الجامعة بتفوق نتيجة سطوتى
ومعي شلة على مكاتب الأساتذة وسرقتنا للأسئلة.

لت شهادة الدكتوراه بالحال هذه المرأة، إذ دفعت ثمنها من عرق جبين زوجتي
الأجنبية ..

عدت إلى البلد لأتبوا منصباً رفيعاً في التخطيط ومن غرائب الصدف كنت
مرؤوساً لصديق طفولتي الذي كان ينتظري في أقصى اليسار وبشترى البيض مني...
لكنه لم يبق في اليسار بل اتخذ لنفسه موقعاً في الوسط وعلى رأسها عندما
تجمعنا طاولة لນخطط للمرحلة القادمة من مستقبل البلاد..

دونكيشوت الرابع عشر

- بداية المغازلة امتلأت عيناه بالقذى، سقط والسرج من على ظهر حصانه، انكسر سيفه وعاد متكمًا على ما تبقى من عصا رمحه جاراً بيده الأخرى درعه المحطمة، وصل إلى الديار فاغسل.. وهي تعطيه حبة المسكن أقسم لزوجته بأنه جزٌ عنق الريح..

تسوية وضع

حال وجود الأولاد بينهما وبين الطلاق، انشق عن البيت وانضم إلى كتائب الرقص الشرقي التابعة لفيليق نوادي السهر الليلية، يوم بلغ السبعين من عمره اتصل بـلجان المصالحة الزوجية سلم طقم أسنانه، وعاد إلى حضن الوطن..

رسالة من مدحنة...

السادة أعضاء غرفة النتف المحترمون:
إن بعض فراخنا قليلة الخبرة بالحياة والمغرر بها تروج عن مدجنتنا أخباراً ملقة بل كاذبة..

فيالإصالحة عن نفسي وبالنيابة عن إخوتي وأخواتي من دجاجات وديكة..
أنا الديك الأحمر بينهم أصرح وأقول:
بأننا جميعاً نقف صفاً واحداً، ونحن على أهبة الاستعداد للتصدي لكل من تسول له نفسه النيل من صمودنا وثباتنا على الرغم مما تعانيه من سوء الأحوال الجوية والبرية والبحرية...
ونعدكم أيها السادة بأننا سوف نسمن بالقرب العاجل وسنزيد من أوزاننا قدر المستطاع، وسنكون جاهزين للذبح وقتما تشاءون..

أرجوأخذ العلم مع فائق الاحترام والتقدير..

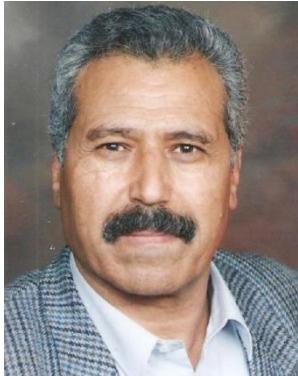
التوقيع الديك الأحمر - أحمر الديكة..

ضفاف

قصص منوعة في مجموعة

(حين تتعزق الظلال) للقاص بدیع حقي

أ. عوض سعود عوض



قصص منوعة في مجموعة (حين تتمزق الظلال) للراحل بديع حقي

أ. عوض سعد عوض



تتنوع قصص مجموعة حين تتمزق الظلال بتتنوع حياة الناس ومتطلباتهم، وما يحدث في حياتهم من مصادفات ومصاعب. قصصها اجتماعية وعائلية ووطنية بوليسية. بداية قصة (حين تتمزق الظلال) مقدمة لإظهار الحقيقة، وليرقول النص ما هو مستور وغير معروف في حياتنا. تتحدث القصة عن أحمد عامل النظافة، الذي يجد حياته ومستقبله في عمله هذا، ومع ذلك يحاول أن يجد لعواطفه مكاناً، حتى لو أدى ذلك إلى إعادة السوار الذهبي إلى صاحبته، بعد تنظيفه ومسحه من القمامنة، ليتلقي مكافأة تقدر ببليرة سورية، وأنه رأى في هذه الفتاة جماليات الحياة أحب أن يهدى صورته، لكن أنى له أن يصل إلى قلب هذه الطالبة التي مزقت صورته، فمزقت قلبه، ولم تتحقق أمنيته، بعد أن ضحى بالبليرة التي دفعها ثمن الصورة، وكان يمكن أن يشتري بها عشرة أرغفة وعشرة أقراص فلافل.

إن الهدف الإنساني الذي قام به عامل التنظيفات بإعادة سوار الذهب إلى صاحبته، كان هذا مقدمة لعلاقة عاطفية مع فتاة من غير بيئه تأخذها سيارة إلى مدرستها وتعود بها. تسكن في شقة، فكان جوابها تمزيق صورته ورميها في حاوية القمامنة.

انتقل إلى قصة (خروف إلى ابني عماد) حيث يعقد عماد صداقة مع هذا الخروف، ويعيش حياة ملؤها الحب لخروفه، الذي يبادله الحب، لكن عندما حان وقت ذبحه، عمل عماد كل ما في وسعه للاحتفاظ بالخروف، فاختبأ معه في غرفة المؤونة، إلا أن هذا لم ينجيه من يد حمدي اللحام، الذي ذبح خروفه وأبقى الجلد لعماد. أما قصة (دمية) فتحكي تعلق الطفلة بدميتها المصنوعة على شكل عروس، قادرة على نطق كلمة ماما وعلى تحريك جفونها في وضعية محددة، أعجبت الطفلة سعاد باللعبة، التي غدت تقضي لها بما تعرفه. بينما الدمية تتبع سرد قصتها، وكيف جاء يوم وأغلقت عليها سعاد صندوقاً وضعتها فيه، تتبع حياة سعاد تتزوج وتلد طفلة تقول لأمها إنها تريد اللعبة، فتخبرها سعاد إنها لك يا بنتي.

تحدث قصة (هدية) عن الرجل المريض رشدي وعن الطبيب الذي يداويه مجاناً نظراً لحالته الاجتماعية والصحية، وعن صيدلية الخواجة جبران، صاحب الصيدلية الواقعة في سوق ساروجة. يبين القاص الفرق في معاملة رشدي وما بين معاملة الطبيب الذي يعطى عليه، والصيدلي الذي يرفض أن يمنحه دواء، لأنه لا يملك نقوداً. يقرر رشدي أن يشتري بالليرة التي لا يملك غيرها هدية إلى الطبيب تقديراً لموافقه الإنسانية اتجاهه.

تشاء المصادرات أن يجد إسماعيل ساعة جيب، فرأى أن اقتداء ساعة شيء مهم وعظيم، خاصة وأن الذين يحملون ساعات مثلها قلائل. إلا أن هذه الساعة شغلتة. بدأ يتضيق منها، فقرر أن يعيدها إلى المكان الذي وجدها فيه، إلا أن الزمن لم يمهله، ذهب إلى الجامع واستغرق في سجنته، فكانت نهايته، وذلك في قصة (الساعة).

قصة (القميص) التي تتحدث عن العدوان الإسرائيلي عام 1967، ونزوح الفلسطينيين إلى الضفة الشرقية، وما عانوه من أهوال الاحتلال، وقرار الأسرة المؤلفة من الأب محمد والزوجة خديجة وأولادهم، بالنجاة بأنفسهم. لاحقهم الطيران وهم يقطعون نهر الأردن، إحدى الرصاصات أصابت ابنته فاطمة، فتراحت يدها وجرفها النهر، بينما احتفظ الأب بقميصها الأخضر. حزن وقرر العودة والأخذ بثأر ابنته. أوصى ابنه قاسم بأمه وبأخيه. نفذوا العملية مع رفاق له، وعاد إلى المخيم ليجد زوجته ولدت بنتاً اسمها فاطمة.

أما القصة البوليسية فهي قصة (**اللص والعكا**) قصة فيها خدعة، استخدمت الدين وخاصة الصلاة لتفطية العيوب، ولجعل الطرف الآخر مصدقاً لكل ما يقال. وملخص ذلك أن حرشوا احتال على سليمان التاجر الحلبي. أوهمه أن لديه فتاة جميلة تحمل شهادة الدراسة الابتدائية. أخذه ليراها، يمران من مقبرة وهناك يغدر به ويأخذ ليراته الذهبية.

الناحية الفنية :

الزمن: لا شك أن ثمة تلاعباً بالزمن لصالح القص، نرى أنه بدأ قصة حروف إلى أبني عماد من نهايتها حيث يتحدث الحروف عن ذاته فيقول أنا الحروف الصغير، بعد ذبحي سوى جلدي الصغير صفحة 35 علماً أن ذبح الحروف كانت نهاية التي هي نهاية القصة والتي جاءت في بدايتها. أما قصة (دمية) فتبدأ من وسطها كما في التالي: (لم أكن أعرف أن ألتج بشيء سوى ترديد هذه الكلمة: ماما. كانت تتساب من صدري الصغير) صفحة 47 وهذه البداية بعد شراء اللعبة وأخذها إلى البيت، لتعنم بها الأبناء سعاد.

تبدأ قصة (**القميص**) بما يشبه تقديمًا للقصة كما في: (هتفت عصفورة، فوق غصن زيتون : الصباح مشرق ضاح، وهذا الغصن خير أرجوحة لفراخي الصفيرة، إنني أرى إلى هذا النهر المتدق يسعى مرحاً، نشوان، وأخاف على فرخ غافل من فراخي، أن يسقط في الماء، فيجرفه ويلوي به). صفحة 87 لعل هذه المقدمة إشعار لنا بأن ثمة من سيسقط في النهر ويجرفه، وهذا ما حدث مع فاطمة. وفي قصبة (هدية) وقف رشدي أمام وجهة صيدلية الخواجة جبران القابعة في ركن سوق ساروجة متربداً قليلاً. صفحة 59 والمعروف أن وقوفه ثم دخوله إلى الصيدلية، لأن الدواء لم يكن بداية القصة، حسب ترتيب وقوع أحداثها. وفي قصبة (**الساعة**) وصف للساعة، ومثل هذا الوصف يأتي بعد أن أخذ الساعة.

في قصبة (**حين تتمزق الظلال**) يحدث عامل التنظيفات نفسه فيقول في غير مكان: (إنها قطعة من مرآة مكسورة، لعلها تعكس صورة الوجه مثل مرآة الحلاق محى الدين الدوماني الذي يشتغل بسوق ساروجة) صفحة 14 وبعد صفحتين يتخيّل فتاته تبحث عن السوار، ثم يتحدث كيف سيدس صورته من تحت باب بيتها، وكيف ستتصرف.

في قصة (خروف إلى ابني عماد) يؤنسن الخروف الذي يتحدث عن ذاته. يستعيد ماضيه ويستمر في ذلك إلى نهاية القصة، من بداية القصة يتحدث الخروف فيقول : (لم أكن أعرف شيئاً من الدنيا ، حين فصلت عن أمي النعجة سوى المراح الذي ولدت فيه ، والسهل الأخضر الذي كنت أرعى فيه وأسرح ، ولم يبق في ذاكرتي من ضرعيها الممتلئين المتغامزين ، المتدقفين لبنا) صفحة 35 ومثل هذه الأنسنة نراها في قصة (دمية) نرى أن الدمية تتحدث عن ذاتها ، عندما كانت في واجهة أحد محلات ، ثم شرائها للطفلة سعاد ، وبعد ذلك انتقالها وحبسها في علبة كرتون ، ظلت سنوات ، وعندما فتحت العلبة ، قالت سعاد لزوجها : (كانت هذه الدمية سلواي وسميرتي ورفيقه طفولي ، سأخذها لابنتي). صفحة 56

يتحدث (القميص) في قصته عن ذاته : (أنا القميص الأخضر ، أشعر بريقه ينسحب من بين أسناني المطبقة على أهابي ، إنه يسري في خيوطي شيئاً فشيئاً ، مكتسحاً ، ممترضاً بلهاته الندي الدافئ). صفحة 97 وفي مكان آخر من الصفحة 100 و 103 و 107 و 109 وفي صفحات عدة يتحدث فيها القميص عن نفسه : (بلى أنا القميص العذب ، أشعر بماء النهر ، تنعم في خيوطي المتube) صفحة 113 في نهاية القصة المنلوج في الصفحتين 117 و 118 : (ورامت عيناه الغائتان بالدموع طفلته الوليدة الجديدة ، وتمثلها ، وقد ترعرعت ونمّت في سن اختها الشهيدة).

يبدا القاص بديع حقي قصصه بعتبة أو أكثر ، حيث بدأ قصة (حين تتمزق الظلال) بعتبتين وقصة (خروف) بعتبة واحدة ، وكذلك قصة (دمية) وقصة (هدية) أما قصة (الساعة) فبعتبتين ، وكذلك قصة (القميص) وأخيراً قصة (اللص والعكازة) بعتبة واحدة . كما يلاحظ أن القصص مقسمة إلى مقاطع بين المقطع والآخر ثلاثة أشكال دائيرية ، باستثناء القصة الأخيرة (اللص والعكازة) التي لم يقسمها إلى أقسام أو مقاطع.

الوصف :

في مجموعة (حين تتمزق الظلال) يشكل الوصف ركناً أساسياً من أركان قصص القاص بديع حقي في هذه المجموعة ، ومع أن الوصف يوقف الحدث ، ويأخذ جانباً غير هام من القصص هذه الأيام ، إلا أنه في هذه المجموعة كان مهماً للحدث والشخصية ، وتکاد لا تخلو قصة من قصص هذه المجموعة من الوصف في غير

مكان من القصة. ففي قصة (حين تتمزق الظلال) نرى الوصف من بداية القصة، ثم وصف صعود الفتاة إلى السيارة، ووصف آلة التصوير، ووصف المصور الذي يدخل رأسه في آلته السوداء العجيبة : (وأدخل المصور رأسه في آلته السوداء العجيبة، فأضحى هو وآلته التصوير جسمًا واحداً منسجماً ذا خمس أرجل وعنق متجمدة ممطوظة كعنق السلفادور، وعين زجاجية بارزة جامدة، تحدق إلى أحمد وتحصي أنفاسه). صفة 25

ووصف اللعبة في قصة (دمية) : (وكانت حمرة تشي بالعاافية، تعلو وجهي دوماً، وكان فمي أشهب بكرزة قانية شهية، وكان شعري ناعماً، سبطاً، لعله يكون منتزعاً من خصلة شعر أشقر، حمل إلى دفع الرأس الإنساني الذي تخلى عنه إلى، أنا الدمية المسكينة التي خلت في الظاهر من الحياة، إلا من هذه الكلمة الطيبة : ماما). صفة 48 وتتابع الوصف في الصفحة 50 في المقطع : (وكانت تخاطبني وتدعوني لولو وتغمزني بعينها اليسرى).

في قصة (الساعة) وصف الساعة والمكان الذي وجدت فيه صفة 75، ووصف مكان بعد الجامع الأموي الذي يقضي إلى ساحة النوفرة، وذلك في بداية قصة اللص والعكار.

يتناول الوصف مع لغة شفافة ليعطيينا مقاطع شاعرية كما في : (كان الليل نهراً لجيأً متلاطماً أسود. قاعة السماء الرحبة، تتلامح فيها لآلئ وأصداف، وسطحه الأرض، تسبح فوقها طيف وأشباح.

وكان نهر الأردن ضفيرة عائمة طافية، فوق الظلام المنتشر المتلوى في منسوج النظر) صفة 111 من قصة (القميص) التي وجدنا فيها الكتابة بخطين، خط غامق يظهر فيه قول القميص عندما يتحدث عن ذاته، والكتابية بالخط العادي لباقي الأحداث والشخصيات.

في قصة (هدية) مجموعة أوصاف خاصة في الصفحتين 60 و 61 عن الخواجة جبران صاحب الصيدلية، وواقع الصيدلية المشحونة برائحة الأدوية العابقة، وبكرش صاحبها وبهذا الوصف : (وكان يتدلّى من السقف مصباح كهربائي، ينوس على هينمة الهواء الخفيف القادم من الباب، ويُسكب أشعة قلقة كانت تترجح على أنفاس القوارير...).

لقد عرى القاص في هذه المجموعة الأوضاع الاجتماعية والفقر، وما يسببه من جوع ونش بحاويات القمامنة، والواقع الحياتي، وعدم قدرة بعض الناس على شراء أدوية لهم، وكذلك عاقبة اللص والإنسان المحتال في السجن، كما عرى جرائم إسرائيل في حق الفلسطينيين في أرضهم، ولما حقتهم وقتلهم، وما يفعله الفلسطينيون من مقاومة للاحتلال والعيش في المخيمات.

◆ حين تتمزق الظلال قصص للقاص بديع حقي - إصدار اتحاد الكتاب العرب دمشق 1980 - تقع المجموعة في 136 صفحة من القطع فوق المتوسط في سبع قصص.

مسك الختام

إلى اللقاء...

د. عبد الله الشاهر



وإلى اللقاء...

د. عبد الله الشاهير



أسعدتم أوقاتاً أيها السادة الأكارم

هنا تقف المجلة لتقول إلى لقاء.. ونقول: تغادروننا وتلتقيكم، تسامروننا وفتتح
صفحات مجلتنا لتكونوا سماراً على صفحاتها بما تحظه قلوبكم قبل أياديكم...
حديثا لا يكتمل إلا بحضوركم، ورؤانا لا تتضح إلا من خلال أقلامكم،
بكم نكبر، ولكم نشر، وعلى وقع نبض قلوبكم نشع شموع الأدب الموسى
بالحب...

بنتجاتكم تزدهر أفكارنا، وبسيط عواطفكم تكتمل سعادتنا، ولا يزدان
الحرف إلا بنبض أقلامكم...

فشكراً للقلوب النيرة المتواجهة بيننا وعلى صفحات مجلتنا التي تشكل
إضافة في طريق الكلمة الواعية المسؤولة...

وشكرأً لتواجدكم معنا حرفاً وكلمة وفكرة وعطاءً.. بكم نعتز، ولكم
فتح أبواب الحب مشرعة من خلال مجلتكم التي هي للأدب والفكر والنتاج الحر
ميداناً للذين يلجون مواكب النور من خلال أدب صادق.. من خلال نصٍّ يضيف إلى
القلب نشوء، وإلى الروح شهوة..

وشكراً من القلب أيضاً لأنكم تملكون من خلال نتاجاتكم قدرة فائقة على سلب تأشيرة الرضا من أرواحنا كي تكون جسر محبة فيما بيننا..

وشكراً من القلب أيضاً لأنكم تملكون من خلال نتاجاتكم قدرة فائقة على سلب تأشيرة الرضا من أرواحنا كي تكون جسر محبة فيما بيننا..

وشكراً للبعض منكم الذين يمنحون أنفسهم حق الإقامة الأدبية فيما رغمماً عناً فيصبحون مواطنين أصليين في قلوبنا..

وشكراً للبعض الآخر أصحاب النبض الصادق والعميق الذين يتحكمون في مشاعرنا وعواطفنا ونصبح متيمين بعطر عطائهم..

خلطة من العطر، وباقة من شذى الأدب نضعها بين يدي قرائنا ومثقفينا قطفناها من حصاد نتاجات جمة لتكون واحدة أدب نعتز بها..

وإلى لقاء وعلى موعد آخر من الكلمة النابضة وال فكرة الناضجة، والقطعة الأدبية المائحة صورة وكلمة وفكرة..

غذاء مجلتنا نتاجاتكم.. وعطاؤنا أنا ننشر لقرائنا ومثقفينا هذا العطاء.. وإلى اللقاء...
.